



آيات المنهاج في القرآن الكريم (جمعاً وتفسيراً) وتطبيقاتها على الواقع الإسلامي المعاصر (دراسة تأصيلية تربوية دعوية)

سعد السيد قطب الشال

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

كلية العلوم الإسلامية

١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

آيات المنهاج في القرآن الكريم (جمعاً وتفسيراً) وتطبيقاتها على الواقع الإسلامي المعاصر (دراسة تأصيلية تربوية دعوية)

سعد السيد قطب الشال

PTF161BO346

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

كلية العلوم الإسلامية

المشرف:

الأستاذ المشارك السيد سيد أحمد محمد نجم

شعبان ١٤٤١هـ / أبريل ٢٠٢٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاعتماد

تم اعتماد بحث الطالب: من الآتية أسماؤهم:

The thesis of.....has been approved
By the following:

المشرف

الاسم : الأستاذ المشارك الدكتور التوقيع:

المشرف المساعد (إن وجد)

الاسم :

التوقيع:

المشرف على التعديلات

الاسم : الأستاذ المشارك الدكتور

التوقيع:

عن رئيس القسم

الاسم : الأستاذ المشارك الدكتور

التوقيع:

عن عميد الكلية

الاسم : الأستاذ المشارك الدكتور

التوقيع:

عن مدير مركز الدراسات العليا

الاسم : الأستاذ المشارك الدكتور

التوقيع:

التحكيم

التوقيع	الاسم	عضو لجنة المناقشة
.....		رئيس الجلسة
.....		المناقش الخارجي الأول
.....		المناقش الخارجي الثاني
.....		المناقش الداخلي الأول
.....		المناقش الداخلي الثاني
.....		ممثل الكلية

إقرار

أقر بأن هذا البحث من عملي وجهدي إلا ما كان من المراجع التي أشرت إليها، وأقر بأن هذا البحث بكامله ما قدم من قبل، ولم يقدم للحصول على أي درجة علمية من أي جامعة، أو مؤسسة تربوية أو تعليمية أخرى.

اسم الباحث : سعد السيد قطب الشال

التوقيع : 

التاريخ : ٢٣ / ٨ / ١٤٤١ هـ يوافق ١٦ / ٤ / ٢٠٢٠ م

DECLARATION

I acknowledge that this research is my own work except the resources mentioned in the references and I acknowledge that this research was not presented as a whole before to obtain any degree from any university, educational or other institutions

Name of student: **saad elsayed kotb elshal**

Signature: 

Date: 23-8-1441 16-4-2020

جامعة المدينة العالمية

إقراراً بحقوق الطبع وإثباتاً لمشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٠ © محفوظة

اسم الطالب

عنوان البحث

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب موقع من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
- ٢- استفادة جامعة المدينة العالمية بماليزيا من هذا البحث بمختلف الطرق، وذلك لأغراض تعليمية، لا لأغراض تجارية أو ربحية.
- ٣- استخراج مكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا نسخاً من هذا البحث غير المنشور، لأغراض غير تجارية أو ربحية.

أكد هذا الإقرار.

الاسم: سعد السيد قطب الشال



التوقيع:

التاريخ: ٢٣ / ٨ / ١٤٤١ هـ يوافق ١٦ / ٤ / ٢٠٢٠ م

شكر

أشكر الله تعالى أولاً أن وفق وأنعم عليّ بإتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتجاوز عني فيما ندّ به قلومي، ثم أشكر - على وجه الإجمال - كل من ساهم وعاون في تمام هذه الرسالة، وأخص من ذلك:

- إدارة جامعة المدينة العالمية بجميع أقسامها.
- الأستاذ الدكتور السيد سيد أحمد محمد نجم، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الرسالة.

إهداء

أهدي هذا العمل - جعله الله مشكورا - لأهلي، وأولادي، وعشيرتي، وإخواني من العلماء وطلاب العلم، وسائر الدعاة والمصلحين، ولسائر إخواني المسلمين، سائلاً المولى الكريم رب العرش العظيم أن ينفعهم بما فيه؛ تصحيحاً لنهج منحرف، واستقامةً على السبيل والسنة.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِمُ كَمَا أُمِرْتُمْ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

وقال النبي ﷺ: "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة؛ وإنَّ عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد"^(١).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "لست تاركا شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به؛ فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ"^(٢).

(١) رواه أبو داود في السنن، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٢٣٤/١٢)، (٤٥٩٤)، والترمذي في السنن، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٤٤/٥)، (٢٦٧٦)، وابن ماجه في السنن، المقدمة، باب اتباع الخلفاء الراشدين، (٤٧/١)، (٤٢)، وأحمد في المسند، (١٢٦/٤)، (١٧١٤٢)، أرنؤوط، وابن حبان في الصحيح، المقدمة، باب ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفتقر عليها أمة المصطفى ﷺ، (١٤٥/١)، (٥)، والحاكم في المستدرک، كتاب العلم، (١٧٥/١)، والطبراني في الكبير، (٢٤٥/١٨)، ومواضع أخرى تلو هذا الموضع، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (٩٣٧)، (٢٧٣٥)، ونقل اتفاق الحفاظ على تصحيحه.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس، (٦٥٦/٧)، (٣٠٩٣). ومسلم في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ لا نورث، (٣٢٠/٦)، (١٧٥٩). وذلك في قصة طلب فاطمة رضي الله عنها ميراثها من رسول الله ﷺ.

ملخص

فكرة هذا البحث: جمع الآيات القرآنية المشتملة على المنهاج النبوي الصحابي، وتفسيرها بما يستخلص منه أصول المنهاج الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، والذي كانوا يطبقونه في جميع جوانب الحياة: عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وسلوكا وآدابا، وسياسة، وغيرها، وتطبيق هذه الأصول على الواقع الإسلامي المعاصر؛ أملاً في إصلاحه واستقامته على منهاج النبوة. وتتجلى مشكلة هذا البحث في بيان المنهاج الصحيح في فهم الإسلام، والعمل به، والدعوة إليه على ضوء القرآن الكريم، معالجة علمية وعملية، نظرية وتطبيقية، حيث تطرح الرسالة تفسير هذا النوع من الآيات القرآنية بما يستخلص منه هذا المنهاج القرآني الذي هو أصل كل علاج وإصلاح. وقد اعتمد في هذا البحث المنهج الوصفي بتتبع الآيات التي تتعلق بالمنهاج الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وجمعها من خلال المنهج الاستقرائي، ثم تصنيفها بحسب جوانب المنهاج وأصوله، ثم استخدام المنهج التحليلي الاستنباطي لتحليلها والوقوف على أهم نتائجها، حيث يتم تناول تلك الآيات بالبيان بما يبين ما فيها من معالم منهجية، ثم بيان كيفية تطبيقها على الواقع الإسلامي المعاصر. وقد أسفر هذا البحث عن مجموعة من النتائج من أهمها: أن الآيات المنهجية في القرآن الكريم كثيرة، وهي دالة على طريقة القرآن الكلية في البيان بحيث يتكون من مثل هذا النوع من الآيات أصول المنهاج القرآني. ومنها: أن هذه الآيات مشتملة على المنهاج بمعناه الخاص في جانبه العام، وأنه الطريقة العامة للقرآن الصالحة للتطبيق على جميع الأمور، وجميع الجوانب الأخرى للمنهاج وهي الجوانب الخاصة. ومنها: أنه اجتمع في هذه الرسالة من هذا النوع من الآيات مائة وعشرون أصلاً وقاعدة من قواعد المنهاج القرآني، وتم تصنيف هذه القواعد والأصول في مجموعات أخرى، مردها كلها إلى اتباع الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. ومنها: أن إصلاح هذا الواقع لا يحصل إلا بتطبيق المنهاج القرآني النبوي الصحابي في جميع جوانبه، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

Abstract

The idea of this research: Collecting the Qur'anic verses that include the Prophet's Companion curriculum, and interpreting them in a way that extracts from it the principles of the method that the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and his companions, may God be pleased with them, used to apply in all aspects of life: belief, worship, treatment, behavior, etiquette, and politics And others, and the application of these principles to contemporary Islamic reality; Hoping to be reformed and upright on the method of prophethood. The problem of this research is clarification of the right method in understanding Islam, working with it, calling for it in the light of the Holy Qur'an, a scientific and practical treatment, theoretical and practical, where the message proposes the interpretation of this type of Qur'anic verses in the way that this Qur'anic curriculum which is the root of all Treat and repair. The descriptive method was adopted in this research by tracing the verses related to the curriculum that the Prophet and his companions were upon, and collecting them through the inductive approach, then classifying them according to aspects of the curriculum and its origins, then using the deductive analytical method to analyze them and stand on their most important results, where these verses are addressed with the statement Including showing the methodological features in it, and then explaining how to apply it to contemporary Islamic reality. This research has resulted in a set of results, the most important of which are: The methodological verses in the Noble Qur'an are many, and they are indicative of the Qur'an's overall method of clarification, so that this type of verse consists of the origins of the Qur'an approach. Including: that these verses include the curriculum in its special meaning in its general aspect, and that the general method of the Qur'an is valid for all matters, and all other aspects of the curriculum, which are the special aspects. Including: that a hundred and twenty origins and rules of the Quranic curriculum were combined in this message of this type of verses, and these rules and principles were classified in other groups, all of which is due to following the straight path, the path of those whom God has blessed, neither the angry nor the lost. Including: that the reform of this reality does not happen without the application of the Qur'anic curriculum of the Prophet in all its aspects, and the last of this ummah is not suitable except by what is correct in the first of them..

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
صفحة العنوان	أ
البسمة	ب
الاعتماد	ج
التحكيم	د
الإقرار	هـ
DECLARATION	و
إقرار بحقوق الطبع	ز
شكر	ح
إهداء	ط
ملخص	ي
Abstract	ك
فهرس المحتويات	ل
المقدمة	١
مشكلة البحث	٤
أسئلة البحث	٥
أهداف البحث	٥
مصطلحات البحث	٦
أهمية البحث	٦
الإطار النظري	٧
الدراسات السابقة	٨
منهج البحث	٩
حدود البحث	١٠

١٠	إجراءات البحث
١٠	أدوات البحث
١١	الباب الأول: باب تمهيدي
١٢	الفصل الأول: تعريف المنهاج
١٢	المبحث الأول: التعريف بالمنهاج لغة واصطلاحاً
١٢	المطلب الأول: التعريف بالمنهاج لغة
١٥	المطلب الثاني: التعريف بالمنهاج اصطلاحاً
١٧	المبحث الثاني: أقوال العلماء من المفسرين والسلف في المنهاج
١٧	المطلب الأول: أقوال المفسرين في قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)
٢٢	المطلب الثاني: بعض أقوال السلف التي يستفاد منها تعريف المنهاج
٢٧	المطلب الثالث: ما جاء عن الصوفية المشهورين من التمسك بالمنهاج
٣٢	الفصل الثاني: المصطلحات ذات الصلة بالمنهاج في القرآن الكريم
٣٣	المبحث الأول: المصطلحات الظاهرة
٣٣	المطلب الأول: السبيل، وما يلتحق به
٣٥	المطلب الثاني: الصراط، وما يلتحق به
٣٧	المبحث الثاني: المصطلحات الخفية
٣٧	١. الفرق بين الدين والملة والأمة
٣٧	٢. العقود
٣٨	٣. المكانة
٣٨	٤. صبغة الله
٣٨	٥. مُدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق ومقعد الصدق
٤٠	الفصل الثالث: مكانة وأهمية المنهاج في القرآن الكريم

٤١	المبحث الأول: مكانة المنهاج في القرآن الكريم
٤١	١. أنه منهاج رب العالمين
٤١	٢. أنه منهاج رسوله الخاتم ﷺ
٤١	٣. أنه منهاج الأنبياء جميعا
٤٢	٤. أنه منهاج عباد الله الصالحين الذين أنعم الله عليهم
٤٣	٥. أنه ليس كمثله منهج
٤٧	المبحث الثاني: أهمية المنهاج في القرآن الكريم
٤٧	١. حصول الهداية التي هي أعظم المطالب
٤٧	٢. حصول الاستقامة
٤٩	٣. النجاة من التفرق والأهواء
٥٠	٤. حصول الخيرية للناس
٥١	٥. حصول الصلاح في الأرض
٥٣	الفصل الرابع: جوانب المنهاج في القرآن الكريم
٥٥	المبحث الأول: الجانب العقدي (العلمي)
٥٥	١. التذكير بالميثاق الأول وبالفطرة
٥٦	٢. إقامة الحجة على العباد بإرسال الرسل
٥٦	٣. شهادة الله تعالى وملائكته وأولي العلم
٥٧	٤. البراهين العقلية
٥٧	٥. الآيات الكونية
٥٧	٦. القصص القرآني
٥٨	٧. الأمثال القرآنية
٥٩	٨. البدء بعقيدة التوحيد في الدعوة إلى الله تعالى
٦٠	٩. دحض جدال المعاندين وحججهم الداحضة
٦٢	المبحث الثاني: الجانب التعبدية (العملي)

٦٤	المبحث الثالث: الجانب السلوكي الأخلاقي
٦٦	المبحث الرابع: الجانب الفقهي التشريعي
٦٨	المبحث الخامس: الجانب التربوي
٦٩	المبحث السادس: الجانب الدعوي
٧١	المبحث السابع: الجانب الديني
٧٢	المبحث الثامن: الجانب السياسي
٧٤	الفصل الخامس: أسباب الانحراف عن المنهاج القرآني
٧٤	١. الغلو في الدين
٧٥	٢. التفرق والاختلاف
٧٦	٣. الجهل
٧٧	٤. اتباع الهوى
٧٧	٥. تقديم العقل على النقل
٧٨	٦. الابتداع في الدين
٧٩	٧. اتباع المتشابه
٨٠	٨. التصميم على اتباع العوائد، وإن فسدت، أو كانت مخالفة للحق
٨١	الباب الثاني: الآيات المنهاجية في القرآن الكريم (١) (من فاتحة الكتاب إلى سورة هود)
٨٤	سورة الفاتحة
٩٢	سورة البقرة
١٠٨	سورة آل عمران
١٢١	سورة النساء
١٣٠	سورة المائدة
١٣٣	سورة الأنعام
١٣٨	سورة الأعراف

١٤١	سورة الأنفال
١٤٢	سورة التوبة
١٤٤	سورة يونس
١٤٧	سورة هود
١٥٣	الباب الثالث: الآيات المنهاجية في القرآن الكريم (٢) (من بقية سورة هود
	إلى سورة يس)
١٥٧	تابع سورة هود
١٦٠	سورة يوسف
١٦٢	سورة الرعد
١٦٦	سورة الحجر
١٧٠	سورة النحل
١٧٤	سورة الإسراء
١٧٨	سورة الكهف
١٨١	سورة مريم
١٨٢	سورة طه
١٨٣	سورة الأنبياء
١٨٥	سورة الحج
١٩١	سورة المؤمنون
١٩٨	سورة النور
٢٠٣	سورة القصص
٢٠٦	سورة العنكبوت
٢٠٩	سورة الروم
٢١١	سورة لقمان
٢١٣	سورة الأحزاب

٢٢٠	سورة سبأ
٢٢٣	سورة فاطر
٢٢٥	سورة يس
٢٢٨	الباب الرابع: الآيات المنهاجية في القرآن الكريم(٣) (من بقية سورة يس إلى سورة الكافرون)
٢٣٣	تابع سورة يس
٢٣٠	سورة الصافات
٢٣٢	سورة الزمر
٢٣٦	سورة غافر
٢٣٧	سورة فصلت
٢٣٩	سورة الشورى
٢٤٧	سورة الزخرف
٢٥٠	سورة الجاثية
٢٥٢	سورة الأحقاف
٢٥٤	سورة محمد
٢٥٥	سورة الفتح
٢٥٦	سورة الحجرات
٢٥٨	سورة النجم
٢٦٣	سورة الحديد
٢٦٥	سورة الممتحنة
٢٦٦	سورة الصف
٢٦٧	سورة الطلاق
٢٦٩	سورة الملك
٢٧٠	سورة الجن

٢٧٤	سورة المدثر
٢٧٥	سورة النازعات
٢٧٧	سورة التكويد
٢٧٩	سورة الطارق
٢٨٠	سورة الأعلى
٢٨١	سورة الشمس
٢٨٢	سورة العلق
٢٨٣	سورة البينة
٢٨٧	سورة العصر
٢٨٩	سورة الكافرون
٢٩٤	الباب الخامس: تطبيق الدراسة على الواقع الإسلامي المعاصر
٢٩٦	الفصل الأول: ماذا عن الواقع الإسلامي المعاصر
٣٠٠	المبحث الأول: نقولات عامة تبين حال الواقع الإسلامي المعاصر
٣٠٠	الواقع المنهجي
٣٠٢	الواقع الأخلاقي
٣٠٤	الواقع الفقهي
٣٠٧	الواقع الدعوي
٣٠٩	المبحث الثاني: الجماعات الإسلامية، وأصولها المنهجية من خلال تفاسيرهم
٣٠٩	تفسيرهم للصراط المستقيم
٣١٢	تفسيرهم لآية الحجرات: (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)
٣١٢	آيات الصفات الإلهية والأحاديث فيها
٣١٢	آيات الاعتصام في سورة آل عمران
٣١٣	من هم ولاية الأمر عندهم
٣١٦	تكفير بعضهم للمجتمعات الإسلامية

٣١٧	كيف البراءة من الكافرين عند بعضهم
٣١٨	بطلان تفسير أحدهم لقوله تعالى (كنتم خير أمة...)
٣٢٠	الفصل الثاني: كيف يستفاد من المنهاج القرآني في إصلاح هذا الواقع
٣٢٠	أولاً: مجمل الأصول المستنبطة على ترتيب القرآن كما وردت في هذا البحث
٣٢٧	ثانياً: تجميع هذه الأصول بأرقامها المذكورة في مجموعات أصولية
٣٢٧	١. الصراط المستقيم
٣٢٧	٢. الهداية
٣٢٨	٣. عدم الانشغال بالمنحرفين عن المنهج
٣٢٩	٤. التقوى المنهاجية
٣٢٩	٥. الاستقامة
٣٢٩	٦. الحق
٣٣٠	٧. اتباع الرسول ﷺ
٣٣١	٨. القدوة
٣٣٢	٩. جماعة لا فرقة
٣٣٢	١٠. القسط
٣٣٢	١١. الإصلاح بالصلاح
٣٣٢	١٢. الوحي
٣٣٤	١٣. لا خيرة من الأمر بعد قضاء الله ورسوله
٣٣٤	١٤. النذارة إنما تنفع من اتبع المنهاج ظاهراً وباطناً
٣٣٤	١٥. الحكم لله
٣٣٤	١٦. البراءة من مخالف المنهاج
٣٣٤	١٧. البيئة
٣٣٥	١٨. العمل على المنهاج
٣٣٥	١٩. التزكية

٣٣٥	٢٠. أصول منهجية جامعة
٣٣٦	ثالثاً: كيفية إصلاح هذه الجوانب
٣٣٧	المبحث الأول: إصلاح الواقع المنهجي
٣٣٧	المطلب الأول: الإصلاح المنهجي لهذا الواقع
٣٣٩	المطلب الثاني: تحقيق المنهجية الحققة الصحيحة
٣٤١	المطلب الثالث: أساس التغيير هو منهج التصفية والتربية
٣٤٣	المبحث الثاني: إصلاح الواقع العقدي
٣٤٣	المطلب الأول: الإصلاح المنهجي لهذا الواقع
٣٤٦	المطلب الثاني: أساس الإصلاح العقدي سلامة المنهج ومصدر التلقي
٣٤٨	المبحث الثالث: إصلاح الواقع العملي
٣٥٢	المبحث الرابع: إصلاح الواقع الاجتماعي والسلوكي والأخلاقي
٣٥٦	المبحث الخامس: إصلاح الواقع الفقهي
٣٥٦	المطلب الأول: بعض أقوال أتباع أئمة المذاهب المتبوعة في هذا الإصلاح
٣٥٩	المطلب الثاني: أقوال الأئمة أصحاب المذاهب المشهورة في هذا الإصلاح
٣٦٥	المطلب الثالث: ترك الأتباع بعض أقوال أئمتهم؛ اتباعاً للسنّة
٣٦٦	المبحث السادس: إصلاح الواقع السياسي
٣٦٨	المبحث السابع: إصلاح الواقع التربوي
٣٧١	المبحث الثامن: إصلاح الواقع الدعوي
٣٧١	المطلب الأول: الإصلاح المنهجي لهذا الواقع
٣٧٢	المطلب الثاني: وظائف الدعاة إلى الله تعالى
٣٧٢	١. البلاغ المبين
٣٧٢	٢. الدعوة إلى الله
٣٧٢	٣. التبشير والإنذار
٣٧٣	٤. إصلاح النفوس وتركيتها

٣٧٤	٥. تقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة
٣٧٤	٦. إقامة الحجة
٣٧٤	٧. سياسة الأمة
٣٧٦	المطلب الثالث: توحيد صفوف الدعاة
٣٧٨	المطلب الرابع: أصول الدعوة إلى الله تعالى
٣٨٠	خاتمة: النتائج والتوصيات والمقترحات
٣٨٢	الفهارس:
٣٨٢	فهرس الآيات
٤٠٤	فهرس الأحاديث المرفوعة (القولية)
٤٠٧	فهرس الآثار الموقوفة
٤١٠	فهرس الأقوال المنهاجية للأئمة الأعلام
٤١٣	فهرس الأعلام
٤٢٧	فهرس البلدان والأماكن
٤٢٨	فهرس الفرق والمذاهب والأحزاب
٤٣٠	فهرس المصادر والمراجع

المقدمة

التمهيد/خلفية البحث:

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة^(١).

أما بعد؛ فإنه من المعلوم المقطوع به، والمشاهد بالعيان، والذي لا يرتاب فيه شخصان، أنه كلما ازداد البعد عن العهد النبوي والقرون الفاضلة؛ كلما زاد البعد والانحراف عن الصراط المستقيم الذي أمرنا بأن نسأل الله عز وجل الهداية إليه فرضاً في اليوم سبع عشرة مرة، علاوة على ما زاد من السنن والنوافل.

وكثيرة هي الآيات القرآنية المشتملة على المنهاج النبوي الصحابي الذي كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، والذي هو كفيل - بإذن الله تعالى - بعلاج هذا الانحراف على طريقة القرآن المعهودة في معالجة القضايا بذكر قواعد كلية لعلاجها.

(١) ثبتت هذه الخطبة من حديث ستة من الصحابة، منهم ابن مسعود رضي الله عنه، رواه أبوداود في السنن، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، (٤٦٥/٣). وهو حديث صحيح. وهذه هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها لأصحابه. وانظر: الألباني، خطبة الحاجة، مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

فمن تلك الآيات قول الله تعالى في دعاء المؤمنين في فاتحة الكتاب: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١٠ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ١١﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]. فحذر سبحانه من سبل أمة الغضب، ومن سبل أمة الضلال. وسبلهم يرجع إليها كل انحراف في هذه الأمة.

فما من بدعة عقدية أو عملية إلا وتجد أنها ترجع إلى سبلهم وسننهم، كما قال نبي الهدى والرسول المجتبي محمد ﷺ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ؛ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جَحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ. قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ" (١).

وقال ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ. فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَفَّارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ؟" (٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فأمر سبحانه باتباع صراطه المستقيم، ونهى عن اتباع السبل؛ لأنها تفرق عن سبيله، وذكر سبحانه أن هذا مما وصى به عباده؛ فدل ذلك على أنه من القواعد الكلية التي هي من أصول دينه سبحانه.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ١١٢﴾ [هود: ١١٢]. فأمر الله سبحانه نبيه ﷺ ومن تاب معه أن يستقيموا على ما أمرهم به، ونهاهم عن أن يطغوا بمحاورة ذلك إلى غيره.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"، (١٣٤/١٧)، (٧٣٢٠)، ومسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، (٤٧٢/٨)، (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"، (١٣٣/١٧)، (٧٣١٩)، عن أبي هريرة. وقوله (بأخذ القرون) معناه: بسيرة الأمم قبلها.

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فأمر سبحانه بالاعتصام بكتابه، وسماه حبلاً؛ لأن به النجاة، ونهى عن التفرق الذي لا يكون إلا بترك الاعتصام به.

وهكذا يمضي القرآن الكريم في تقرير وتأسيس هذا المنهاج العظيم بأساليب متنوعة، وعبارات بليغة؛ وذلك لعظم الضرورة إلى هذا الأصل الأصيل.

وهذه القضية هي من أهم القضايا- إن لم تكن أهمها-؛ فإن سلامة المنهج من الفرائض، وكم أضل الشيطان أناساً من باب الفساد المنهجي، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الزمن: ١٠٣] ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

روى البخاري بإسناده عن مصعب بن سعد قال: سألت أبي- يعني سعد بن أبي وقاص- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٣] أهم الحرية؟ قال: لا. هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى كفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب. والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه. وكان سعد رضي الله عنه يسميهم الفاسقين^(١).

وقال علي بن أبي طالب والضحاك وغير واحد: هم الحرورية.

قال ابن كثير: "ومعنى هذا عن علي رضي الله عنه: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية، كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء، بل هي أعم من هذا؛ فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى، وقبل وجود الخوارج بالكلية،

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير. تفسير سورة الكهف، باب قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٣] [الكهف: ١٠٣]، (٤٢٥/٨)، (٤٧٢٨).

والحرورية: هم الخوارج الذين فارقوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قبل التحكيم، فاعتزلوا ببلدة قرية من الكوفة تسمى حروراء، فنسبوا إليها. / انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ط ١، (٥٩٢/١٠-٥٩٧).

وإنما هي عامة في كل من عبد الله على طريقة غير مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول، وهو مخطيء وعمله مردود...^(١).

فالآية شاملة لكل من خالف المنهاج النبوي الصحابي، مهما تعددت سبلهم وطرائقهم.

والعجيب في سبل هؤلاء المخالفين أنهم كلهم يستدلون بالقرآن؛ لتقرير مذاهبهم وطرقهم، كما قال الشاطبي - رحمه الله -: "ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلالات؛ عرف أنها لاتنضبط؛ لأنها سيالة لا تقف عند حد. وعلى كل وجه يصح لكل زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى الشريعة"^(٢).

مشكلة البحث:

تبرز مشكلة البحث من الناحية العلمية: في استخلاص معالم وأصول المنهاج الصحيح في فهم الإسلام، والعمل به، والدعوة إليه، من خلال الآيات القرآنية المشتملة على هذا المنهاج، والذي بيّنه النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، ففهموه وعقلوه وطبقوه في جميع جوانب حياتهم؛ فكانوا هداة وقادة لمن بعدهم، علماً وعملاً، وذلك بتفسير الآيات القرآنية المشتملة على هذا المنهاج القرآني تفسيراً منهجياً يبين ما فيها من معالم وأصول منهجية؛ بُغية تطبيقها على الواقع الإسلامي المعاصر؛ لإصلاح ما أصابه من خلل. والمشكلة أن هذه الأصول لا توجد مجموعة ولا مستوفاة بالدراسة.

ومن الناحية العملية: تَنَكُّب كثير من المسلمين عن هذا المنهاج إلى مناهج أخرى، وسلوكهم طرائق قِددا؛ فاختلفوا، وصاروا شيعاً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون. وهذه هي أكبر المشكلات، وأعظم المصيبات، التي خافها النبي ﷺ على أمته من بعده، وأخبر أنها سبب هلاكهم.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٠٢/٥).

(٢) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (١٢٤/٢).

أسئلة البحث:

السؤال الرئيس الذي يسعى هذا البحث للإجابة عليه:

ما هي أصول ومعالم المنهاج النبوي الصحابي الذي تضمنه القرآن الكريم، وكيف يستفاد منه في إصلاح الواقع الاسلامي المعاصر؟

ويتفرع عن هذا السؤال، الأسئلة التالية:

- ما هي الآيات القرآنية المشتملة على المنهاج النبوي الصحابي؟
- ما هي أقوال المفسرين - قديماً وحديثاً - في هذه الآيات؟
- ما الأحاديث النبوية والأقوال السلفية التي تندرج تحت مدلول كل آية من هذه الآيات؟
- كيف كان استدلال السلف بهذه الآيات على ماسطوره من معالم منهج أهل السنة والجماعة في مصنفاتهم؟
- كيف يمكن الاستفادة من هذا المنهاج في علاج الواقع الأليم للمسلمين عموماً، والاختلاف الحاصل بين أهل العلم خصوصاً؟

أهداف البحث:

الهدف الرئيس الذي يسعى هذا البحث لتحقيقه هو: استخلاص معالم وأصول المنهاج النبوي الصحابي الذي تضمنه القرآن الكريم، وكيفية الاستفادة منه في إصلاح واقعنا المعاصر.

ويتفرع عن هذا الهدف، الأهداف الفرعية التالية:

- محاولة حصر الآيات القرآنية المشتملة على المنهاج النبوي الصحابي؛ لأجل تفسيرها تفسيراً منهجياً، وتأيد ذلك بالأحاديث النبوية والآثار السلفية التي تؤكد هذا التفسير.
- بيان استدلالات السلف بهذه الآيات على ما سطروه من أصول منهج أهل السنة والجماعة في مصنفاتهم.

- بيان كيف يمكن الاستفادة من هذا المنهاج في علاج الواقع الأليم للمسلمين عموماً، والاختلاف الحاصل بين أهل العلم خصوصاً، وكيف نطبق هذا المنهاج في كل أمورنا: عقيدة وشرعية، علماً وعملاً ودعوة.

مصطلحات البحث:

- المنهاج: لغة: الطريق الواضح. واصطلاحاً: الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه في دينهم لربهم سبحانه وتعالى: عقيدة، وعملاً، وأخلاقاً، وفقهاً، وتربية، ودعوة. وإجراءً (استعمالاً): تطبيق هذه الطريقة فيما ذكر. كما سيأتي في الباب الأول.

- السلف: لغة: المتقدم والسابق على غيره^(١). واصطلاحاً: النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. وإجراءً: هؤلاء، وكل ومن تبعهم بإحسان على المنهاج المذكور^(٢).

- يمكن تسمية هذا النوع من الآيات المجموعة هنا بـ "الآيات المنهاجية"، وهي: لغة: نسبة إلى المنهاج. واصطلاحاً وإجراءً: هي الآيات القرآنية التي اشتملت على هذا المنهاج صراحة^(٣).

- الواقع الإسلامي المعاصر: المعاصر لغة: مفاعل من العصر وهو الدهر والزمان^(٤). واصطلاحاً: الحالة الدينية للمسلمين في زمان المتحدث عنه. وإجراءً: الحالة الدينية التي عليها المسلمون منذ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م)، وحتى الآن في جميع جوانبها: العقيدة والعملية والأخلاقية والفقهية والتربوية والدعوية، وغيرها^(٥).

أهمية البحث:

(١) ابن فارس، معجم المقاييس، (٣/٩٥)، مادة (سلف). وابن منظور، لسان العرب، (٩/١٥٨)، مادة (سلف).

(٢) المصدر نفسه، ط ١، (٦/٣٠٢).

(٣) العزاوي، فارس، "القرآن المجيد.. دراسة حول المفهوم والمحددات المنهاجية"، <https://www.alukah.net/sharia/0/74482/>.

والسعدى، القواعد الحسان في تفسير القرآن، ط ١، ص ١٦٥، القاعدة السبعون.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (٤/٥٧٥)، مادة (عصر). وابن فارس، معجم المقاييس (٤/٣٤٠)، مادة (عصر).

(٥) المصري، جميل، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ط ٩، ص ١٧٠. نكاوي، فاتح محمد، معجم مصطلحات

الفكر الإسلامي المعاصر، د. ط.، ص ١٣٧.

- من خلال ماتقدم ذكره تظهر أهمية هذا البحث، وذلك فيما يلي:
- حماية الصراط المستقيم والسبيل القويم من ضلالات أهل البدع والأهواء.
- نصب منارات الهداية لأهل الحق في زمان كثرت فتنه، وقل فيه الناصح.
- الدعوة إلى أن نبقى متمسكين بمنهاج النصر والنجاة.
- جمع آيات القرآن الدالة على منهاج طائفة الحق المنصورة، والفرقة الناجية، فيتم جمعها وتناولها بالدراسة؛ لتكون نبراس هداية ومنار طريق، وتكون الدراسة لها بتفسيرها على منهاج أهل التفسير؛ ليُستخلص منها معالم منهاج النبوي الصحابي. على غرار تفسير آيات الأحكام؛ إذ لم يوجد من سبق بهذا المقترح البحثي بعد طول بحث.
- محاولة إصلاح واقع المسلمين المعاصر.
- إبطال منهج طائفتين عم بهما البلاء على المسلمين: الخوارج والمرجئة؛ فإن من انحرف عن الصراط المستقيم انحرف إلى أحد الطرفين: الإفراط أو التفريط، الغلو أو الجفاء، وكلاهما بلاء وأرزاء.

الإطار النظري:

يدور هذا البحث في مجال رئيس جوهري، وهو: دراسة الآيات القرآنية المشتملة على منهاج النبوي الصحابي الذي كان عليه خير القرون؛ من خلال حصر هذه الآيات، وتناولها بالدراسة على طريقة المفسرين، فيما يتعلق بالمنهاجية.

ويتم ذلك بحصر هذه الآيات ودراستها من حيث:

- ١- تفسيرها: يجمع ما يمكن من تفاسير المفسرين لكل آية منها، بما يتضح به دلالتها على ذلك منهاج، وأختار من ذلك ما كان بعبارة سهلة، دالة على المقصود، بعيدة عن التعقيد.
- ٢- ذكر الأحاديث النبوية والآثار الصحابية التي تتفق ومادلت عليه كل آية من هذه الآيات.
- ٣- جمع ما قيل من استدلالات أهل السنة والجماعة بهذه الآيات فيما صنفوه من بيان مناهجهم وطرائقهم وأصولهم وقواعدهم.
- ٤- استخلاص معالم هذا منهاج.

الدراسات السابقة:

لم أجد من تناول هذا الموضوع بالبحث على سبيل الاستقلال، وإنما الكلام فيه منشور في كتب التفسير، والكتب المنهاجية لأهل السنة والجماعة، وبعض الرسائل والدراسات.

١. ومن أهمها - من وجهة نظر الباحث - دراسة بعنوان "الآيات التي قال عنها المفسرون: هي أصل في الباب (جمعاً ودراسة)، تأليف سلطان بن فهد علي الصُّطامي.

وهذه الدراسة قُدمت لنيل درجة الماجستير في قسم الكتاب والسنة في كلية أصول الدعوة وأصول الدين لعام ١٤٣٤هـ، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، كرسي القرآن الكريم وعلومه، ط١، ١٤٣٥هـ.

جمع فيها الآيات التي قال عنها المفسرون هي أصل في كذا، فهي أصول قرآنية فيما ذُكرت فيه، مثاله: وهذه الآية أصل في التأسّي، أصل في الأخلاق، أصل في محاسبة النفس، أصل في الاستقامة... فالآيات المنهاجية في بحثي هي كآليات الأصول في هذه الدراسة.

٢. ومن الدراسات القديمة رسالة "القواعد الحسان في تفسير القرآن" للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ).

ولقد بلغ الشيخ - رحمه الله - الذروة في ذلك المصنف الفذ؛ حيث ذكر فيه الأصول الكلية التي اشتمل عليها القرآن، ذاكراً معاً هذه الأصول.

ثم أشار في القاعدة الحادية والسبعين إلى مسلك رسالتي هذه، فقال: "اعلم أن ما مضى من القواعد السابقة هي المقصود بوضع هذا الكتاب، وهو بيان الطرق والمسالك والأصول التي يرجع إليها كثير من الآيات، وأنها وإن تنوعت ألفاظها، واختلفت أساليبها وتفصيلها، فإنها ترجع إلى أصل واحد، وقاعدة كلية.

وأما نفس ألفاظ القرآن الحكيم، فإن كثيراً منها من الألفاظ الجوامع، وهي من أعظم الأدلة على أنها تنزيل من حكيم حميد وعلى صدق من أعطي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً^(١).

فقوله: "إن كثيراً منها من الألفاظ الجوامع" يعني به مثل هذه الآيات المشتملة على قواعد كلية وأصول منهجية.

منهج البحث

هو المنهج الوصفي: وهو المنهج الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات، ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها؛ للوصول إلى تعميمات مقبولة^(٢).

وهو بهذا التعريف يتضمن أيضاً المنهج الاستقرائي: وهو ما يقوم على تتبع لأمر جزئية؛ لاستنتاج أحكام عامة منها^(٣).

ويتضمن أيضاً المنهج التحليلي: وهو المنهج الذي يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، تفكيكاً، أو تركيباً، أو تقويماً. ويتلخص هذا المنهج في عمليات ثلاث: التفسير، النقد (التقويم)، الاستنباط (التركيب)^(٤).

فيتم تتبع الآيات القرآنية المشتملة على المنهاج الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والتعرف عليها، وجمعها من خلال المنهج الاستقرائي، ثم تصنيفها بحسب جوانب المنهاج وأصوله، ثم استخدام المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي؛ لتحليلها والوقوف على أهم نتائجها؛ لبيان كيفية تطبيقها على الواقع الإسلامي المعاصر.

وسيتم مراعاة عدة أمور أساسية:

(١) السعدي، القواعد الحسان، ط ١، ص ٢٨٨.

(٢) بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، د. ط، ص ٢٢٨.

(٣) الربيع، البحث العلمي، ط ٦، ص ١٧٨.

(٤) الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ط ١، ص ٩٦، ٩٧.

١. تحقيق معاني تلك الآيات من التفسير المأثور، وتأييد هذه المعاني بالأحاديث النبوية والآثار السلفية والأقوال الرضية.

٢. تشخيص الواقع الإسلامي المعاصر من كل جوانبه، وإصلاح خلله؛ استناداً إلى معالم هذا المنهاج.

وقد تم اختيار هذا المنهج لعدة أسباب أساسية:

١. يضمن هذا المنهج نجاح عملية حصر الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع البحث.
٢. يوفر هذا المنهج بياناً شاملاً ومتكاملاً للآيات المنهاجية التي هي محل الدراسة.
٣. يعطي هذا المنهج رؤية منطقية تسلسلية متتابعة تسهم في تنظيمه وترتيبه بالشكل المناسب.

حدود البحث:

الحدود الزمانية: ٢٠١٩-٢٠٢٠م.

الحدود المكانية: الآيات القرآنية الظاهرة الدلالة على المنهاج النبوي الصحابي بمعناه الخاص في جانبه العام - كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الباب الأول من هذا البحث.

إجراءات البحث:

- جمع الآيات القرآنية التي تناولت المنهاج النبوي الصحابي - وترتيبها على ترتيب السور القرآنية.
- تفسير ودراسة هذه الآيات بالقدر الذي تظهر به دلالتها على ما صنف فيه.
- استخلاص ما اشتملت عليه من أصول منهاجية.
- تطبيق هذه الدراسة على الواقع الإسلامي؛ لإصلاح خلله من جميع جوانبه.

أدوات البحث:

الحاسب الآلي، الشبكة العنكبوتية، المكتبة الرقمية الشاملة، المراجع المذكورة، وغيرها.

الباب الأول: باب تمهيدي

الفصل الأول: التعريف بالمنهاج.

الفصل الثاني: المصطلحات ذات الصلة بالمنهاج في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: مكانة وأهمية المنهاج في القرآن الكريم.

الفصل الرابع: جوانب المنهاج في القرآن الكريم.

الفصل الخامس: أسباب الانحراف عن المنهاج القرآني.

الفصل الأول: التعريف بالمنهاج

المبحث الأول: التعريف بالمنهاج لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: التعريف بالمنهاج لغة.

قال الخليل: نهج: طريق نهج: واسع واضح، وطرق نهجة، ونهج الأمر ونهَج - لغتان - أي: وضع. ومنهج الطريق: وضَّحه. والمنهاج: الطريق الواضح. قال: وأن أفوز بنور أستضيء به أمضي على سنة منه ومنهاج^(١).

وقال الأزهري: نهج: قال الليث: طريقٌ نَهَج وطُرُقٌ نَهَجَة، وقد نَهَج الأمرُ ونَهَجَ، لغتان: إذا وضع، ومنهج الطريق: وضَّحه، والمنهاج: الطريق الواضح^(٢).

وقال الجوهري: نهج: النهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج. ونهَج الطريق - أي: استبان وصار نهجا واضحا بينا.... ونهجت الطريق، إذا أبنته وأوضحته. يقال: اعمل على ما نهجته لك. ونهجت الطريق أيضا، إذا سلكته. وفلان يستنهج سبيل فلان - أي: يسلك مسلكه^(٣).

وقال ابن فارس: نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأوّل: النَّهَج: الطَّرِيق. ونَهَجَ لي الأمر: أوضَّحه. وهو مُستقيم المنهاج. والمنهج: الطَّرِيق أيضاً، والجمع المناهج.

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ط ١، (٣/٣٩٢).

والبيت المذكور لم أهد لقائله، ولعله الخليل نفسه، ويغلب على الظن أنه الليث صاحب الخليل؛ لأنه هو الذي أكمل الكتاب، وكان يقول فيما سمعه منه: سمعت الخليل، وأما قوله هو فيقول: قال الخليل.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، ط ١، (٤١/٦).

(٣) الجوهري، الصحاح، ط ٤، (١/٣٤٦).

والآخر: الانقطاع. وأتانا فلانٌ يَنْهَج، إذا أتى مبهوراً منقطع النفس. وضربت فلاناً حتى أُنْهَج - أي: سقط. ومن الباب نَهَج الثوبُ وأنْهَج: أحلق ولما ينشَق. وأنْهَجَه البلى^(١). وقال ابن منظور: نَهَج: طريقٌ نَهَجٌ: بَيِّنٌ واضحٌ... وطُرُقٌ نَهَجَةٌ وسبيلٌ مَنَهَجٌ، كَنَهَجٍ. وَمَنَهَجُ الطريقِ: وضْحه. والمنهاجُ كالمَنْهَج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].... والمنهاجُ: الطريقُ الواضحُ. ونَهَجْتُ الطريقَ: أَبْنَيْتُهُ وَأَوْضَحْتُهُ، يقال: اعْمَلْ على ما نَهَجْتُهُ لك. ونَهَجْتُ الطريقَ: سَلَكَتُهُ، وفلانٌ يَسْتَنْهَجُ سبيلَ فلانٍ - أي: يَسْلُكُ مَسْلَكَه. والنَّهَجُ: الطريقُ المستقيمُ. ونَهَجَ الأمرُ وأنْهَجَ - لُغْتَانِ -: إذا وَضَحَ^(٢).

مما تقدم يتبين ما يلي:

١. أن كلمة "منهج" تأتي وصفاً، كما في قولهم: طريق منهج، وتأتي اسماً، كما في قولهم: منهج الطريق، وأن المنهاج كالمنهج.
٢. أن هذه الكلمة تدل على عدة معان هي: الوضوح، والإيضاح الذي هو بمعنى التبيين والإبانة، والطريق المسلوك، والسلوك عليها، والاستقامة.
٣. أن ما جاء من إطلاقه على منهاج الدراسة، ووصف الثوب البالي، والربو في الصدر والنفس، والسمن؛ كل هذا؛ لأن هذه الحالات متميزة وواضحة بالنسبة للمعتاد منها؛ فكأنها سلكت طريقاً غير المعتاد؛ فتميزت ووضحت.

فعلى هذا تكون هذه المادة دالة على هذه المعاني المذكورة، وهي متقاربة؛ لأن الطريق المسلوك واضح ومستقيمة، لا اعوجاج فيها؛ ولذا خاطب النبي ﷺ أصحابه بها فقال: "... وإيم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها سواء". قال أبو الدرداء: صدق والله رسول الله ﷺ، تركنا على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء^(٣).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط ١، (٣٦١/٥).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ط ١، (٣٨٣/٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن، المقدمة، (٢٧/١)، (٥)، عن أبي الدرداء، وله شاهد عن عوف بن مالك، رواه أحمد في

المسند، (٢٤/٦)، والطبراني في الكبير، (٥٢/١٨)، وحسن الألباني إسناد ابن ماجه في الصحيحة (٦٨٨).

وأما ما ذكره ابن فارس، وغيره، من دلالة هذه المادة على أصلين متباينين؛ فلا وجه له، طالما أنه في الإمكان الرد إلى أصل واحد.

فإن قيل: قد ذكرت أن الخروج عن المعتاد هو داخل في معنى المنهج الذي جعلته أصلاً واحداً؛ فكيف نميز بين ماهو على الجادة مما هو خارج عنها؟

فالجواب: أن التمييز المطلوب يحصل بالتقييد، فيقال: منهج صحيح، ويقال: منهج فاسد.

ومما يبين ذلك أيضاً ما جاء في حديث رؤيا عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: "... قَالَ: وَإِذَا جَوَّادٌ مِّنْهُجٍّ عَنِّ يَمِينِي، قَالَ لِي: خُذْ ههنا فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ فَقَالَ: "أَمَّا الطَّرِيقُ الَّذِي رَأَيْتَ عَلَى يَسَارِكَ فَهِيَ طَرِيقُ أَصْحَابِ الشَّمَالِ، وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّذِي رَأَيْتَ عَن يَمِينِكَ فَهِيَ طَرِيقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ...." (١).

قال النووي: "قوله: (فاذا أنا بجواد عن شمالي) الجواد: جمع جادة، وهي الطريق البينة المسلوكة، والمشهور فيها جوادٌ بتشديد الدال" (٢).

وقال ابن قرقول: "وفي رؤيا ابن سلام: "فَإِذَا جَوَّادٌ مِّنْهُجٍّ " جمع جادة، وهي أوضح الطرق وأمهاتها التي يسلك عليها، كما قال: "منهج". قال الخليل: وقد تخفف الدال" (٣).

(١) أخرجه ابن حبان في الصحيح (بتعليقات الألباني)، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر شهادة المصطفى بالاستمسك بالعروة الوثقى لعبد الله بن سلام إلى أن مات، (٢٤١/١٠)، (٧١٢٢). قال الألباني: صحيح. قلت: أصله في الصحيحين من وجه آخر، وليس فيه عندهما محل الشاهد، لكن أخرجه مسلم في الصحيح بمحل الشاهد، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن سلام، (٢٨٠/٨)، (١٥٠/٢٤٨٤).

(٢) النووي، شرح مسلم، ط ١، (٢٨٣/٨).

(٣) ابن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ط ١، (٩٦/٢).

وقال القاضي عياض: " وفي حديث عبد الله بن سلام: " فإذا بجواد عن شمالي وإذا جواد منهج عن يميني"، بتشديد الدال: جمع جادة وهي واضح الطرق وأمهااتها الكبيرة المسلوك عليها، كما قال منهج، قال الخليل: وقد تخفف - يعني الدال" (١).

فتبين من هذا أن المراد بالمنهج والمنهاج هو: الطريق أو الطريقة التي تُسلك وتتميز بالوضوح والبيان والاستقامة والاطراد، ومن لازم ذلك أنه يكون لها معالم تميزها.

المطلب الثاني: التعريف بالمنهاج اصطلاحاً.

إن المنهاج المراد بيانه ههنا هو المنهج الذي سلكه أهل القرآن والسنة والجماعة في أمور دينهم كلها: علماً وعملاً، ظاهراً وباطناً.

فالمنهاج في الاصطلاح هو المنهاج عند هؤلاء القوم: أهل القرآن والسنة والجماعة.

وهو الذي ينبغي أن يكون منهاج المسلمين جميعاً.

وسيطظهر جلياً من أقوال العلماء والمفسرين والسلف والخلف أن: الذي يتخلص ويتلخص من كلامهم، أن: المنهاج: هو الطريق المسلوكة؛ لتحصيل غاية مطلوبة، وأن له معنى عاماً، ومعنى خاصاً:

فمعناه العام: هو دين الإسلام كله الذي جاء به نبينا محمد ﷺ، وكان عليه أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ومعناه الخاص: هو الطريق المسلوكة؛ لتحصيل هذا الدين على مراد الله ورسوله ﷺ، علماً وعملاً.

(١) القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، د. ط، (١/٤١).

وهذا المعنى الخاص نوعان: نوع عام، وهو الطريق المسلموكة بصفة عامة، ونوع خاص، وهو الطريق المسلموكة في جانب جانب من جوانب المنهاج: كالجانب العقدي، والجانب العملي، والجانب الفقهي، والجانب الأخلاقي، والجانب السياسي، وغيرها من الجوانب.

وسيعنى بحتي - إن شاء الله - بالمنهاج بمعناه الخاص في جانبه العام.

المبحث الثاني: أقوال العلماء من المفسرين وغيرهم في المنهاج.

المطلب الأول: أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن كثير - رحمه الله -: "... فإن الشريعة - وهي الشريعة أيضا - هي ما يتبدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال: "شرع في كذا" - أي: ابتدأ فيه. وكذا الشريعة، وهي ما يشرع منها إلى الماء.

أما "المنهاج": فهو الطريق الواضح السهل، والسنن: الطرائق؛ فتفسير قوله: (شرعة ومنهاجا) بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس، والله أعلم....

قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: قوله: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) يقول: سبيلا وسنة، والسنن مختلفة: هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل^(١)^(٢).

وقال الشوكاني - رحمه الله -: "قوله: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)، الشريعة والشريعة في الأصل: الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى الماء، ثم استعملت فيما شرعه الله لعباده من الدين. والمنهاج: الطريقة الواضحة البينة....

ومعنى الآية: أنه جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن، وأما بعده فلا شرعة ولا منهاج إلا ما جاء به ﷺ^(٣).

(١) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ط ١، (١١٥٢/٤).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٢٩/٣-١٣٠).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٥٦/٢).

وقال الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: " والمنهاج: الطريق الواسع، وهو هنا تخيل أريد به طريق القوم إلى الماء.... بأن تشبه العوائد المنتزعة من الشريعة، أو دلائل التفريع عن الشريعة، أو طرق فهمها بالمنهاج الموصل إلى الماء" (١).

وقال ابن تيمية - رحمه الله -: " ف" الشريعة " هي الشريعة، قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) [الجاثية: ١٨ - ١٩].

و" المنهاج " هو الطريق. قال تعالى: ﴿وَالْوِاسْطَقُمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (١٦) لِنَفْنِئَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) [الجن: ١٦ - ١٧]. فالشريعة بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه.

والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام: وهو أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره، فمن استسلم له ولغيره؛ كان مشركا، والله لا يغفر أن يشرك به" (٢).

وقال أيضا: "... وكذلك اسم الشريعة والشرع والشرعة، فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال.... فلفظ السنة يقع على معان كلفظ الشرعة؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره في قوله: ﴿شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨] سنة وسبيلا. ففسروا الشرعة بالسنة، والمنهاج بالسبيل.... والتحقيق: أن الشريعة التي بعث الله بها ﷺ جامعة لمصالح الدنيا والآخرة...." (٣).

وقال أيضا: " فالشرعة كالباب الذي يدخل منه، والمنهاج كالطريق الذي يسلك فيه.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢٢٣/٦).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢١٨/١١ - ٢١٩)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ط ١، (٨٦/١).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٠٦/١٩ - ٣١٠).

والمقصود هو حقيقة الدين: بأن يُعبد الله وحده لا شريك له ، وهذه الحقيقة الدينية التي اتفق عليها الرسل هي دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، والشرك الذي حرمه على ألسن رسله أن يعبد مع الله غيره^(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: "... ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ، قال: "سبيلا وسنة"، وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير.

فالسبيل: الطريق، وهي المنهاج.

والسنة: الشريعة، وهي تفاصيل الطريق وحزونه، وكيفية المسير فيه، وأوقات المسير؛ وعلى هذا فقوله: سبيلا وسنة، يكون السبيل: المنهاج، والسنة: الشريعة؛ فالمقدم في الآية للمؤخر في التفسير، وفي لفظ آخر: سنة وسبيلا، فيكون المقدم للمؤخر للتالي^(٢).

وقال ابن رجب - رحمه الله -: "ومعنى قول ابن عباس: أن المنهاج هو السنة، وهو الطريق الواسعة المسلوكة المداوم عليها، والشريعة: هي السبيل والطريق الموصل إليها، فهي كالمدخل إليها كمشريعة الماء، وهي المكان الذي يورد الماء منه، ... وبذلك فرق طائفة من المفسرين وأهل اللغة بين الشريعة والمنهاج، منهم الزجاج وغيره^(٣)."

وقال ابن حجر - رحمه الله -: "والمنهاج: السبيل - أي: الطريق الواضح، والشريعة والشريعة بمعنى، وقد شرع - أي: سنّ. فعلى هذا فيه لف ونشر غير مرتب^(٤)".

(١) ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ط ١، (٢٩٢/١).

(٢) ابن القيم، شفاء العليل، ط ١، (٨٢/١). والحزونات: الصعوبات.

(٣) ابن رجب، فتح الباري، ط ١، (١٨/١-١٩).

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ط ١، (٤٩/١).

وقال أيضاً: " قوله (شرعة ومنهاجا): سبيلا وسنة، وقد تقدم في الإيمان، وقال أبو عبيدة: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] - أي: سنة ومنهاجا - أي: سبيلاً بيناً واضحاً" (١).

وقال الشنقيطي - رحمه الله -: " فالشرعة عامة للجميع والمنهاج خاص، كما يقول الشافعي - رحمه الله - " (٢).

من خلال هذا العرض يتبين للباحث أن هناك اختلافاً واضحاً بين المفسرين والعلماء في تفسير المنهاج بالنسبة للشرعة المذكورين في الآية؛ فمنهم: من اعتبر المنهاج أخص والشرعة أعم، كالشنقيطي، ومنهم: من اعتبر المنهاج أعم والشرعة أخص، كابن كثير، وابن عاشور، وابن رجب، والشوكاني، ومنهم: من احتمل الأمرين، كابن تيمية، وابن حجر، ومنهم: من تردد، كابن القيم. وبيان ذلك:

أما الشنقيطي: فصرح بذلك.

وأما ابن كثير: فقد نقل عن ابن عباس بإسناد أنه فسر الشرعة بالسبيل، وإسناد آخر أنه فسر المنهاج بالسنة؛ وهذا لا يحتمل إلا اللف والنشر المرتب، ونقل ابن كثير عن ابن عباس أيضاً أنه جمع بينهما، وهذا يحتمل اللف والنشر بنوعيه، فلو تركنا مافيه الاحتمال؛ ترجح ما لا احتمال فيه، ويترجح أيضاً بأن الأصل في اللف والنشر أن يكون مرتباً، ثم اختار ابن كثير أن الأنسب هو اللف والنشر المرتب، وهو - في نظر الباحث - اختيار صحيح؛ لما تقدم ذكره، ووجهه بأن الشرعة هي ما يُبدأ فيه إلى الشيء، بمعنى أن السبيل إلى الماء شرعة، وهذا السبيل - في تصور الباحث بحسب ابن كثير - هو الفتحة التي يصل منها إلى الماء، وأما المنهاج فهو السَّنَن الذي جاء منه إلى الشرعة، ومنه قوله ﷺ: "... لتتبعن سَنَن من كان قبلكم ..." (٣).

(١) ابن حجر، فتح الباري، (٨/٢٧٠).

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، (٨/٨٨).

(٣) سبق تحريجه في المقدمة، ص ٢.

وأما ابن عاشور: فاعتبر الآية تخيلاً وتمثيلاً؛ لأن الشريعة هي الماء، والمنهاج هو الطريق إليه، وهو قريب مما قرره ابن كثير في تفسير ابن عباس؛ إذا اعتبرنا أن الشريعة إلى الماء ماء، من إطلاق اسم الكل على الجزء؛ لأنه لا يوصل إلى الكل إلا بالجزء. وأما المنهاج فاعتبره الطريق الواسع، وهو السنن، ووجه التخييل أن الشريعة كالماء، وأن الناس لهم طرق ومناهج في التفرع عنها، والانتزاع منها وفهمها. وبهذا التقرير من ابن عاشور يلوح مخالفة مناهج أهل البدع لمنهج أهل السنة والجماعة.

وأما ابن رجب: فقرر كما قرر ابن كثير.

وأما الشوكاني فكذلك، ونقل عن المبرّد أن الشريعة: هي ابتداء الطريق إلى الشيء، والمنهاج: هو الطريق المستمر.

وأما ابن تيمية: ففي موضع ذكر أن الشريعة خاصة بالأعمال، وفي موضع أنها عامة في العقائد والأعمال، وذكر أن المنهاج هو الطريق المسلوك إلى الشريعة، لكنه أخذ بالقول الآخر عن ابن عباس: (شريعة ومنهاج) - أي: سنة وسبيلا، وأيد ذلك بأن الأئمة الذين صنفوا في العقائد منهم من سماه بالشريعة، ومنهم من سماه بالسنة، بل قد أفصح عن ذلك بقوله: إن السنة كالشريعة، فهي ما سنه الرسول وشرعه من العقائد، وقد يراد بها ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد به كلاهما. قال: فلفظ السنة يقع على المعاني كلفظ الشريعة. وفي موضع آخر ذكر أن الشريعة كالباب، والمنهاج كالطريق الذي يسلك فيه. ثم ذكر - كما ذكر ابن كثير - أن المقصود - مع اختلاف الشريعة والمنهاج - عبادة الله وحده لا شريك له.

وأما ابن حجر: فجعله لفظاً ونشراً غير مرتب، ونقل عن أبي عبيدة القول الآخر عن ابن عباس.

وأما ابن القيم: فكأنه أشكل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما؛ فقال: هذا التفسير يحتاج إلى تفسير. ثم فسّره بأن السبيل هو الطريق، وهو المنهاج، والسنة هي الشريعة، وهي تفاصيل الطريق، لكنه تردد؛ لأجل القول الآخر المأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما.

المطلب الثاني: بعض أقوال السلف التي يستفاد منها تعريف المنهاج.

- قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به؛ فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ"^(١).

- قال ابن بطة - رحمه الله -: "هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ، إن هو خالف شيئاً من أمر نبيه ﷺ..."^(٢).

- وقال عمر رضي الله عنه: "... فإن يك محمد ﷺ قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ..."^(٣).

- وقال أيضاً: "... وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم، فخذوا به تهتدوا وإنما هدى الله به رسوله"^(٤).

- وضح عنه رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: "أيها الناس، قد سُنّت لكم السنن،

وفُرضت لكم الفرائض، وثُركتم على الواضحة؛ إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالاً..."^(٥).

- وقال عثمان رضي الله عنه: "... أما بعد فإنكم إنما بلغت ما بلغت بالافتداء والاتباع؛ فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن..."^(٦).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس، (٦٥٦/٧)، (٣٠٩٣). ومسلم في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ لا نورث، (٣٢٠/٦)، (١٧٥٩). وذلك في قصة طلب فاطمة رضي الله عنها ميراثها من رسول الله ﷺ.

(٢) ابن بطة، الإبانة، ط ٢، (٢٤٥/١).

(٣) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، (٦٠٥/١٦)، (٧٢١٩)، وذلك في خطبة عمر رضي الله عنه لما استُخلف أبو بكر رضي الله عنه.

(٤) المصدر نفسه، كتاب الاعتصام. أول الكتاب، (٥١/١٧)، (٧٢٦٩)، وذلك في نفس الخطبة.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب الرجم، (١٢٩/٤)، (١٦٤٧). وأصله في البخاري في الصحيح، كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنا، (٤٢١/١٥)، (٦٨٢٩).

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط ١، (٥٩١/٢). قال ذلك في خطبة له.

- وقال أيضا: "... ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم علي بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثا: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسنتهم..."^(١).

- وقال علي رضي الله عنه: "... ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد"^(٢).

وهكذا عن غير الخلفاء الأربعة من الصحابة، كمعاذ بن جبل، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وأبي بن كعب، وابن عباس، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، كما نقله عنهم أئمة السنة والجماعة في مصنفاتهم، وبالغوا - رحمهم الله - في النقل عنهم في ذلك، وبوبوا عليه أبواباً في أول مصنفاتهم.

وذلك؛ لأن المنهاج هو الأصل، كما صنع اللالكائي، وابن بطة، والآجري، وكما صنع الشاطبي في درته "الاعتصام"؛ حيث نقل في ذلك عنهم وعن غيرهم ممن جاء بعدهم، وذلك في الباب الثاني من كتابه، في الوجهين الثالث والرابع.

فمما ذكره - رحمه الله - قال: "الوجه الثالث من النقل: ما جاء عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في ذم البدع وأهلها، وهو كثير: فمما جاء عن الصحابة ما صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه... ثم ذكر ما تقدم ذكره عنه ...

وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: "يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتكم سبقا بعيدا، وإن أخذتم يمينا وشمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً"^(٣).

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط ١، (٦٩٣/٢). قال ذلك في خطبة له أيضا.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الحج، باب التمتع والإقراء والإفراد، (٧٥/٥)، (١٥٦٣)، ومسلم في الصحيح، كتاب الحج، باب جواز التمتع، (٤٦٠/٤)، (١٢٢٣)، من طريق أخرى.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (٥٩/١٧)، (٧٢٨٢).

وروي عنه من طريق آخر أنه كا يدخل المسجد فيقف على الخلق فيقول: "يا معشر القراء اسلكوا الطريق، فلئن سلكتموها لقد سبقتكم سبقا بعيدا، ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتكم ضلالا بعيدا"^(١).

وفي رواية ابن المبارك: "فوالله لئن استقمتم لقد سبقتكم سبقا بعيدا"^(٢)... الحديث... وذكر آثارا أخرى عنه، وذكر أنه خرّجها عنه ابن وضاح.

وخرّج ابن وضاح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"^(٣).

وقال أيضا: "أيها الناس لا تبتدعوا ولا تنطعوا ولا تعمّقوا، وعليكم بالعتيق خذوا ما تعرفون ودعوا ما تنكرون"^(٤).

وذكر ما تقدم ذكره عن أبي بكر رضي الله عنه.

(١) أخرجه ابن نصر في السنة، ص ٣٠، (٨٧)، وابن بطة في الإبانة، (٣٣٥/١)، (١٩٦)، وابن وضاح في البدع، ص ٣٦، (رقم ١٢). وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد، ص ١٦، (٤٧)، وابن نصر في السنة، ص ٣٠، (٨٦)، وابن وضاح في البدع، ص ٣٦، (١٠). وهو صحيح بما قبله.

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع، ص ٣٦، (١١)، وله طرق عديدة عنه عند أحمد في الزهد، ص ١٣٤، (٨٩٦)، والطبراني في الكبير، (١٦٨/٩)، (٨٧٧٠)، والدارمي في السنن، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (٨٠/١)، (٢٠٥)، وهو صحيح بطرقه. وابن وضاح هو محمد بن وضاح القرطبي، الحافظ محدث الأندلس، المقرئ، الزاهد، العابد، الجواد، ٢٠٠-٢٨٧هـ). انظر: سعد، قاسم علي، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (١٢٢١/٣) دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) أخرجه الدارمي في السنن، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، (٦٦/١)، (١٤٢، ١٤٣)، والبيهقي في المدخل، باب فضل العلم، ص ١٧٢، (٣٨٧، ٣٨٨)، وابن وضاح في البدع، ص ٥٩، (٦٠). وسنده صحيح.

خرَّج ابن المبارك عن عمر بن الخطاب: "... والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم؛ ليخالفنَّ بكم عن طريقهم" ^(١).

وخرَّج ابن المبارك وغيره عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: "عليكم بالسبيل والسنة؛ فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله، ففاضت عيناه من خشية الله، فيعذبه الله أبداً ... فإن اقتصاداً في سبيل الله وسنة خيرٌ من اجتهدا في خلاف سبيل الله وسنته، وانظروا أن يكون عملكم؛ إن كان اجتهدا واقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم" ^(٢).

ومما جاء عن بعد الصحابة رضي الله عنهم:

وعن أبي قلابه - رحمه الله -: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم؛ فاني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون". قال أيوب: "وكان - والله - من الفقهاء ذوي الألباب" ^(٣).

ثم ذكر آثاراً كثيرة عن التابعين في النهي عن مجالسة أهل الأهواء، ثم قال:

وعن أبي العالية - رحمه الله -: "تعلموا الإسلام فإذا تعلتموه، فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنه الإسلام، ولا تحرفوا يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم وما كان عليه أصحابه من قبل أن يقتلوا صاحبهم، ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا، قد قرأنا القرآن من قبل أن

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد، باب ما جاء في الفقر، ص ٢٠٤، (رقم ٥٧٨). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في زوائد الزهد على ابن المبارك، باب في لزوم السنة، (٢١/٢)، (٨٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، سياق ما روي عن النبي ﷺ في ثواب من حفظ السنة ومن أحيها ودعا إليها، (٥٩/١)، (١٠).

(٣) أخرجه الدارمي في السنن، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع المذمومة، (١٢٠/١)، (٣٩١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١٥١/١)، (٢٤٤، ٢٤٣)، وابن وضاح في البدع، (٩٩/٢)، (١٢١)، من طريق حماد بن زيد عن أيوب عنه. وإسناده صحيح. وأبو قلابه هو عبد الله بن زيد الجرمي، (ت ١٠٤هـ). وأيوب هو أيوب بن أبي تيمية السخيتاني الإمام، (ت ١٣١هـ).

يقتلوا صاحبهم، ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء". فحدّث الحسن بذلك فقال: "رحمه الله، صدق ونصح"^(١). خرّجه ابن وضاح وغيره.

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله، كان يكتب في كتبه: "إني أحذركم ما مالت إليه الأهواء والزيغ البعيد"^(٢).

ولما بايعه الناس صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس إنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سنة...". ثم نزل^(٣).

ومن كلامه الذي غنى به ويحفظه العلماء، وكان يُعجب مالكا جدا، وهو أن قال: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا؛ الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها؛ من عمل بها مهتدا، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا"^(٤).

(١) أخرجه ابن نصر في السنة، ص ١٣، (٢٩)، وابن بطة في الإبانة، (٢٩٩/١)، (١٣٦)، (٣٣٨/١)، (٢٠٢)، وابن وضاح في البدع، (٦٩/١)، (٧٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٢/١)، (١٧)، والآجري في الشريعة، (٣٠١-٣٠٠/١)، (١٩)، وإسناده صحيح. وأبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي، (ت ٩٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (١١٧/٥).

(٢) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ط ٦، ص ٧١. ضمن رسالة طويلة جدا له، وعنون لها (كتاب عمر في صفة ما كان عليه المسلمون وما صاروا إليه، وبيان سياسته لهم).

(٣) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ط ٦، ص ٤٠، والآجري، أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز، ط ٢، ص ٦٣.

(٤) أخرجه الآجري في "الشريعة"، (٤٠٧/١)، (٩٢)، (٤٦٠/١)، (١١٢٨/٣)، (٦٩٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١٠٥/١)، (١٣٤)، وابن بطة في الإبانة (٣٥٢/١)، (٢٣٠)، (٢٣١)، (٥١١/٢)، (٥٩٤)، وهو صحيح عنه، وكان مالك إذا حدث بهذا عنه ارتج سرورا، كما ذكره القاضي عياض، ترتيب المدارك، ط ١ (١٧٢/١).

وبحق كان يعجبهم؛ فإنه كلام مختصر جمع أصولاً حسنة من السنة: ثم ذكرها، وكله أصول منهجية.

المطلب الثالث: ما جاء عن بعض الصوفية من التمسك بالمنهاج.

قال الشاطبي - رحمه الله -: وإنما خصصنا هذا الموضع بالذكر، وإن كان فيما تقدم من النقل كفاية؛ لأن كثيراً من الجهال يعتقدون فيهم أنهم متساهلون في الاتباع، وأن اختراع العبادات والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه مما يقولون به ويعملون عليه، وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به.

قال: وفي غرضي - إن فسح الله في المدة وأعاني بفضلته ويسر لي الأسباب - أن أخلص في طريقة القوم أنموذجاً يستدل به على صحتها وجريانها على الطريقة المثلى، وأنه إنما داخلتها المفسد، وتطرت إليها البدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف الصالح، وادعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعي، ولا فهم لمقاصد أهلها، وتقولوا عليهم ما لم يقولوا به؛ حتى صارت في هذا الزمان الأخير كأنها شريعة أخرى غير ما أتى بها محمد ﷺ.

وأعظم من ذلك أنهم يتساهلون في اتباع السنة، ويرون اختراع العبادات طريقاً للتعبد صحيحاً؛ وطريقة القوم بريئة من هذا الخُباط بحمد الله..... ثم ذكر الكثير من أقوالهم، فمنها:

قال أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني - رحمه الله -: "من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه، وموافقة السنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن أخلاقه مع الإخوان، وبذل معروفه للخلق، واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأوقاته"^(١).

(١) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية، ط ١، ص ١٩٧. وأبو علي الجوزجاني من كبار مشايخ خراسان، ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، انظر: ابن الملقن، طبقات الأولياء (٣٣٣/١)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م.

وسئل كيف الطريق إلى الله؟ فقال: "الطرق إلى الله كثيرة، وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه اتباع السنة قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونية؛ لأن الله يقول: ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤] فقليل له: كيف الطريق إلى السنة؟ فقال: بجانب البدع، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريقة الاقتداء، وبذلك أمر النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [النحل: ١٢٣]"^(١).

وقال أبو الحسين الوراق - رحمه الله -: "لا يصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه ﷺ في شرائعه، ومن جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء؛ يضل من حيث أنه مهتد"^(٢).

وقال: "الصدق: استقامة الطريق في الدين، واتباع السنة في الشرع"^(٣).

وقال أبو سليمان الداراني - رحمه الله -: "ربما تقع في قلبي النكتة من نكتة القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة"^(٤).

وقال أحمد بن أبي الحواري - رحمه الله -: "من عمل عملا بلا اتباع سنة؛ فباطل عمله"^(٥).

(١) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية، ط ١، ص ٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٩. وأبو الحسين الوراق هو محمد بن سعد النيسابوري، مات قبل ٣٢٠ هـ، انظر: طبقات الأولياء (١/٣٨٥).

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٨، وعنه القشيري في الرسالة، د. ط، ص ١٥. وأبو سليمان الداراني هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، أحد الأوتاد والأقطاب، مات سنة ٢١٥ هـ. انظر: طبقات الأولياء (١/٣٨٦).

(٥) المصدر نفسه، ص ١٠١، وعنه القشيري في الرسالة، ص ١٧. وابن أبي الحواري هو أحمد بن أبي الحواري، الإمام، الحافظ، القدوة، شيخ أهل الشام، (١٦٤-٢٤٦ هـ). لكن له أفعال خلاف السنة المحمدية، ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء، (١٢/٨٥)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

وقال أبو حفص الحداد - رحمه الله -: " من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره؛ فلا تعدّه في ديوان الرجال" ^(١).

وسئل عن البدعة فقال: " التعدي في الأحكام، والتهاون في السنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاتباع والاقتداء" ^(٢).

قال: " وما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أمر صحيح" ^(٣).

وقال أبو القاسم الجنيد - رحمه الله -: " الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ" ^(٤).

وقال: " مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة" ^(٥).

وقال أبو عثمان الحيري - رحمه الله -: "...من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً؛ نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً؛ نطق بالبدعة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]" ^(٦).

(١) أخرجه القشيري في الرسالة، ص ١٧، وأبو نعيم في الحلية، د.ط، (٢٣٠/١٠). وأبو حفص الحداد هو الإمام، القدوة، الرباني، شيخ خراسان، أبو حفص، عمرو بن سلم، وقيل: عمر، وقيل: عمرو بن سلمة، النيسابوري، الزاهد. كان حدادا، ت (٢٦٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (٥١٠/١٢).

(٢) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية، ط ١، ص ١٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٤) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية، ص ١٥٩، والقشيري في الرسالة، ص ١٩، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٧/١٠).

(٥) أخرجه القشيري في الرسالة، ص ١٩.

(٦) أخرجه القشيري في الرسالة، ص ١٩، وأبو نعيم في الحلية، (٢٤٥/١٠). وأبو عثمان الحيري هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري، الحيري، الصوفي، (٢٣٠ - ٢٩٨هـ)، الشيخ، الإمام، المحدث، الواعظ، القدوة، شيخ الإسلام، وانظر: سير أعلام النبلاء، (٦٢/١٤). وسيأتي مزيد ترجمة له، ص ٦٠.

وقال إبراهيم الخواص - رحمه الله -: " ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العالم من اتبع العلم، واستعمله، واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم"^(١).

وقال أبو حمزة البغدادي - رحمه الله -: " من عَلِمَ طريق الحق؛ سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة سنة الرسول ﷺ في أحواله وأفعاله وأقواله"^(٢).

وقال أبو بكر الطُّمَسْتَانِي - رحمه الله -: " الطريق واضح، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا، وفضل الصحابة معلوم؛ لسبقهم إلى الهجرة ولصحبته، فمن صحب منا الكتاب والسنة، وتَغَرَّب عن نفسه والخلق، وهاجر بقلبه إلى الله؛ فهو الصادق المصيب"^(٣).

وقال أبو القاسم النَّصْرَابَادِي - رحمه الله -: " أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك البدع والأهواء..."^(٤).

ثم قال: وكلامهم في هذا الباب يطول، وقد نقلنا عن جملة ممن اشتهر منهم ينيف على الأربعين شيخاً، جميعهم يشير أو يصرح بأن الابتداع ضلال، والسلوك عليه تيه، واستعماله رمي في عماية، وأنه منافعٍ لطلب النجاة، وصاحبه غير محفوظ، وموكل إلى نفسه، ومطرود عن نيل الحكمة، وأن الصوفية الذين نُسبت إليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مَخْلِينَ بشيء من آدابها، أبعد الناس عن البدع وأهلها؛ ولذلك لا نجد منهم من

(١) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية، ص ٢٨٥، والقشيري في الرسالة، ص ٢٤. وإبراهيم الخواص هو إبراهيم بن أحمد، من أقران الجنيد، وانظر: طبقات الأولياء، (١/١٦).

(٢) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية، ص ٢٩٨، والقشيري في الرسالة ص ١٧٧، وانظر: السيوطي، مفتاح الجنة، ط ٣، ص ٧٢. وأبو حمزة البغدادي هو شيخ الشيوخ، أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، جالس بشراً الحافي والإمام أحمد بن حنبل، (ت ٢٦٩هـ). وانظر: سير أعلام النبلاء، (١٣/١٦٥).

(٣) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية، ص ٤٧٣، والقشيري في الرسالة، ص ٢٩، وأبو نعيم في الحلية (١٠/٣٨٢)، وانظر: السيوطي، مفتاح الجنة (ص ١٥٧/رقم ٣٦٧).

(٤) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية، ص ٤٨٨، والقشيري في الرسالة ص ٣٠. وانظر: السيوطي، مفتاح الجنة، ص ٧٢.

ينسب إلى فرق من الفرق الضالة، ولا من يميل إلى خلاف السنة، وأكثر من ذكر منهم علماء وفقهاء ومحدثون، ومن يؤخذ عنه الدين أصولاً وفروعاً.

فهم الحجة لنا على كل من ينتسب إلى طريقهم، ولا يجري على مناهجهم، بل يأتي ببدع محدثات وأهواء مُتَّبَعَات وينسبها إليهم تأويلاً عليهم.

ولما كان أهل التصوف في طريقهم بالنسبة إلى إجماعهم على أمر كسائر أهل العلوم في علومهم؛ أتيت من كلامهم بما يقوم منه دليل على مدح السنة وذم البدعة في طريقته؛ حتى يكون دليلاً لنا من جهتهم على أهل البدع عموماً، وعلى المدعين في طريقهم خصوصاً. وبالله التوفيق" ^(١).

(١) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (١/١٢١-١٦٦) مختصراً. وكل ما ذكر من آثار فقد استوفى المحقق تحريجها، والحكم عليها، وقد اختصرتها هنا، ومن أراد الوقوف عليها كاملة؛ فليرجع إلى الموضوع المذكور. وكذا تراجم الأعلام المذكورين.

الفصل الثاني: المصطلحات ذات الصلة بالمنهاج في القرآن الكريم.

قد ورد في القرآن الكريم مصطلحات ذات صلة بمصطلح المنهاج، منها ما هو ظاهر الصلة به، ومنها ما هو خفيُّها:

فمن الظاهر: السبيل، وسبيل الله، وسبيل ربك، وسبيل المؤمنين، وسبيل السلام، وسواء السبيل، وقصد السبيل، وسبيل الرشد، والسبيل مضافة إلى الرسول ﷺ وسبيل الرشاد، والطريق، والصراط، والطريقة، والسُّنن، والسبب.

ومن الخفي: الإيمان، والإسلام، والإحسان، والإخلاص، والدين، والملة، والأمة، والوجهة، والبر، والسُّلم، والحق، والهدى، والفرقان، والقسط، والعدل، والتقوى، والبنات، والصلاح، والإصلاح، والعبادة، والشكر، والصبر، والعروة الوثقى، والرباط، والأمانة، والكتاب، والحكمة، و البرهان، والنور، والقرآن، والعقود، والوسيلة، والاستقامة، والإقامة، والزكاة (بمعناها العام)، والصلاة (بمعناها الدال)، وكلمة الله، والمكانة، وصبغة الله، وعهد الله، والميثاق، والتي هي أقوم، والتوبة، والتزكية، والاتباع، والذكر، والضياء، والدعاء، والعلم، والسجود، والمنسك، وحرمت الله، وشعائر الله، والإخبارات، والاعتصام، والخلق، والآيات المبصرة، والإمام، والبصائر، والحسنة، والدعوة إلى الله، والفرار إلى الله، والمسابقة للخيرات، والمسارة في الخيرات، والاستمسك، والأسوة، والقدوة، والتجارة، ومدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق.

وهنا بعض البيان لمواضعها ومعانيها.

المبحث الأول: المصطلحات الظاهرة.

المطلب الأول: السبيل، وما يلتحق به:

فقد جاء هذا المصطلح متنوعاً: معرفة بالألف واللام: مطلقاً وموصوفة، ومضافاً، ومنكراً؛ وذلك في مواضع كثيرة بلغت مئة وتسعة وأربعين، دالة غاية الدلالة وتماها على أن هذا المصطلح قد جمع مقامات هذا الدين ومنازله، كمصطلح الصراط:

قال ابن عاشور: "والسبيل: الطريق السابلة الواضحة - أي: الواضح أنها مطروقة؛ فهي مأمونة الإبلاغ إلى غاية السائر فيها"^(١).

وقال الراغب - رحمه الله -: "السبيل: الطريق الذي فيه سهولة، وجمعه سبل، قال تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ سُبُلًا﴾ [النحل: ١٥] - ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ [الزخرف: ١٠] - ﴿وَلَهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الزخرف: ٣٧] يعني به طريق الحق؛ لأن اسم الجنس إذا أطلق يختص بما هو الحق، وعلى ذلك: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠] وقيل لسالكه: سابل، وجمعه سابلة... ويستعمل السبيل لكل ما يتوصل به إلى شئ خيراً كان أو شراً..."^(٢).

فالأصل؛ إذن - في إطلاق السبيل أنها سبيل الحق، وعند الإضافة أو الوصف، أو في سياق معين، يكون المراد به ما دل عليه؛ فسبيل الله، وسبيل ربك؛ لأن الله سبحانه هو الذي بيّنها، ودعا إليها، وكذا سبيل الرسول؛ لأنه بيّن وبلغ وسلك، وسبيل المؤمنين؛ لأنهم سلكوها وأجمعوا عليها؛ فالمخالف لهم غير سالك لسبيل الله ولا سبيل رسوله.

وأما سواء السبيل وقصد السبيل، فهي من الأوصاف التي تبين أن المراد سبيل الحق، والسواء في لغة العرب: العدل والوسط والقصد، وهذه صفات الصراط المستقيم، وقول موسى عليه

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢٦٠/٢١).

(٢) الراغب الإصفهاني، مفردات غريب القرآن، ط ١، (٢٢٣/١).

السلام: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، سأل ربه أن يهديه أقرب الطرق التي توصله إلى المقصود، وذلك إذا سلك الاستقامة دون بنيات الطريق.

وأما قصد السبيل؛ فقد جاء في موضع واحد، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

قال ابن القيم: "وهو معنى شريف جليل يدل على أن سالك طريق الهدى يوصله طريقه إلى الله ولا بد، والهدى هو الصراط المستقيم؛ فمن سلكه أوصله إلى الله، فذكر الطريق والغاية؛ فالطريق: الهدى، والغاية: الوصول إلى الله؛ فهذه أشرف الوسائل، وغايتها أعلى الغايات..."^(١).

وأما سبيل الرشد، وسبيل الرشاد؛ فقال ابن فارس: " (رشد) الرأ والشين والذال أصل واحد يدل على استقامة الطريق. فالمرشد: مقاصد الطرق. والرُّشد والرَّشَد: خلاف الغي"^(٢).

وقال ابن القيم: " فإن الرشد هو العلم بما ينفع، والعمل به. والرشد والهدى إذا أُفرد كل منها تضمن الآخر، وإذا قرن أحدهما. فالهدى هو العلم بالحق. والرشد هو العمل به وضدهما العي واتباع الهوى. وقد يقابل الرشد بالضر والشر"^(٣).

وأما مجيء السبيل جمعا؛ مع أن المعهود أن الأفراد أولى بسبيل الحق؛ لأنها واحدة، بخلاف سبل الباطل فإنها متعددة، فالجمع لها أولى؛ فالجواب عنه بما قاله ابن القيم: "... فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد وصراطه المستقيم؛ فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل واحد، وهي سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها، وقد صح عن النبي ﷺ: " أنه خط خطا مستقيما، وقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله فقال: هذه سبل، على

(١) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ط ١، (٧٠/١). ثم وجدت تحقيقا بالغ الأهمية لهذه الآيات الثلاث، لابن تيمية،

مجموع الفتاوى، ط ١، (١٥/١٩٨-٢١٦).

(٢) ابن فارس، معجم المقاييس، ط ١، (٣٩٨/٢).

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ط ٢، (١٦٨/٢).

كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ^(١) ^(٢).

المطلب الثاني: الصراط، وما يلتحق به من: الطريق، والطريقة، والسنن، والسبب.

أما الصراط، فهو - من وجهة نظر الباحث - مصطلح المصطلحات الدالة على المنهاج، وقد وجدت عجباً في مواضع ورود هذا المصطلح في القرآن - وعددها واحد وأربعون-؛ إذ جاء معروفاً بالألف واللام، ومعروفاً موصوفاً، ومنكراً، ومنكراً موصوفاً، ومضافاً، ومضافاً موصوفاً، وفي كل سياق من سياقات وروده اقترن به ما يدل على صحة ما قلت؛ أنه مصطلح المصطلحات، وأنه قد شمل أصول المنهاج الإلهي الرباني النبوي الصحابي الاتباعي:

قال ابن عاشور: "وسواء الصراط: مستعار للحق الذي لا يشوبه باطل؛ لأن الصراط: الطريق الواسع، والسواء منه هو الذي لا التواء فيه ولا شعب تتشعب منه؛ فهو أسرع إيصالاً إلى المقصود باستوائه، وأبعد عن الالتباس بسلامته من التشعب" ^(٣).

وأما الطريق، والطريقة: ففي تسعة مواضع:

قال الراغب: "الطريق: السبيل الذي يطرق بالأرجل - أي: يضرب، قال تعالى: ﴿طَرِيقًا إِلَىٰ آلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [طه: ٧٧] وعنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان في فعل؛ محموداً كان أو مذموماً، قال تعالى: ﴿يُطَرِّقُكُمُ الْمَلَكُ﴾ [طه: ٦٣] ... ^(٤).

لكن ما الفرق بين أصول مصطلحات السبيل والصراط والطريق؟

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٦٥/١، ٤٣٥)، وابن حبان، في الصحيح، المقدمة، باب ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفرقت عليها أمة المصطفى ﷺ. وهو حديث صحيح، وانظر: المسند بتحقيق أحمد شاکر (١٥٦/٤)، وبتحقيق الأرئوط (٢٠٨/٧، ٤٣٦)، والتعليقات الحسان للألباني برقم (٧، ٦).

(٢) ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ط ١، (٢٦/٢).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢٣٤/٢٣).

(٤) الراغب الإصفهاني، مفردات غريب القرآن، ط ١، (٣٠٣/١).

الجواب: هذه أوصاف لموصوف واحد، وهذا -كما تقدم- شأن الأشياء العظيمة، أنها تتعدد أسماءها وأوصافها؛ فالسبيل يدل على امتداد وإرسال، وهذا وصف لصيق، والطريق يدل على طرق والضرب بالرجل التي هي آلة المشي على الطريق، فهو بمعنى مطروق، وهذا وصف للسائر، والصراط يدل على الاستراط؛ لأن الطريق يسترط المارة عليه -أي: يبتلعهم، وبكل ما ذكرنا قال المفسرون وأهل اللغة.

قال ابن فارس: " (سبل) السين والباء واللام أصل واحد يدل على إرسال شيء من علو إلى سفلى، وعلى امتداد شيء... " (١). وقال: " (سرط) السين والراء والطاء أصل صحيح واحد، يدل على غيبة في مرّ وذهاب. من ذلك: سرطت الطعام، إذا بلعته؛ لأنه إذا سرط غاب " (٢).

وأما الطريق فقد ذكر ابن فارس في مادة (طرق) أربعة أصول، وعند التأمل؛ فإنها ترجع إلى أصل واحد، وهو الضرب. وأما الشُّنن، والسنة: ففي سبعة مواضع: قال ابن عاشور: " والسنن جمع سنة - وهي السيرة من العمل أو الخلق الذي يلزم المرء صدور العمل على مثالها.... " (٣).

وهكذا بقية المواضع الدالة على أن السنة هي: العادة والطريقة التي يلزمها صاحبها، فهي بهذا المعنى من المصطلحات ذات الصلة بمصطلح المنهاج.

وأما السبب، والأسباب: ففي تسعة مواضع: قال ابن عاشور: " والسبب: حقيقته الحبل، وأطلق هنا على ما يتوصل به إلى الشيء " (٤). وقال أيضا: " فيطلق السبب على الطريق، ويطلق على الحبل؛ لأنهم كانوا يتوصلون به إلى أعلى النخيل،.... " (٥). فكل ما يوصل إلى المطلوب؛ فهو سبب: حبلاً كان، أم طريقاً، أم غيره.

(١) ابن فارس، معجم المقاييس، ط ١، (١٢٩/٣).

(٢) المصدر نفسه، (٤٤٩/٣).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٩٦/٤).

(٤) المرجع نفسه، (٢٤/١٦).

(٥) المرجع نفسه، (١٤٦/٢٤).

المبحث الثاني: المصطلحات الخفية.

فأبين منها ما يحتاج إلى بيان؛ فمن ذلك:

١. الفرق بين الدين والملة والأمة.

قال ابن عاشور: "وملة: فعلة بمعنى المفعول، أي المملول، من أملت الكتاب إذا لقنت الكاتب ما يكتب، ... ولذلك قال الراغب: "الملة كالدين، ثم قال: "والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي الذي تسند إليه، نحو ملة إبراهيم، ملة آبائي، ولا توجد مضافة إلى الله، ولا إلى آحاد الأمة، ولا تستعمل إلا في جملة الشريعة دون آحادها، لا يقال: الصلاة ملة الله" - أي: ويقال: الصلاة دين الله؛ ذلك أنه يراعى في لفظ الملة أنها مملول من الله؛ فهي تضاف للذي أملت عليه. ومعنى كون الإسلام ملة إبراهيم: أنه جاء بالأصول التي هي شريعة إبراهيم، وهي: التوحيد، ومسايرة الفطرة، والشكر، والسماحة، وإعلان الحق"^(١).

وأما الأمة؛ فلها معان، قال الراغب: "والأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما؛ إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييرا أو اختيارا، وجمعها أمم"^(٢).

٢. ومنها: العقود.

وبيان ذلك في كلام ابن تيمية، قال: "وأما «سورة المائدة» فإنها سورة العقود - وهي العهود والمواثيق - التي يعقدها بنو آدم بينهم وبين ربهم، ويعقدها بعضهم لبعض، مثل عقد الإيمان وعقد الإيمان، فأمر الله بالوفاء بالعهود، ...

وقال أيضا: " ... فلما كان هذا فاتحة السورة كان من مضمونها الشريعة والمنهاج التي جعلها لأهل القرآن، فبين لهم من تفصيل أمره ونهيهِ الذي جعل الله لهم شرعة ومنهاجًا في هذه

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (١٨/١٩٧-٢٠٠).

(٢) الراغب الاصفهاني، مفردات القرآن، ط ١، (٢٣/١).

السورة ما وجب عليهم الوفاء به؛ لأجل إيمانهم الذي هو عقد يوجب عليهم طاعة الله ورسوله واتباع كتابه" (١).

٣. ومنها المكانة.

في خمسة مواضع: قال ابن كثير: "وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥] هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد - أي: استمروا على طريقكم وناحياتكم، إن كنتم تظنون أنكم على هدى، فأنا مستمر على طريقي ومنهجي،..." (٢).

وقال الشوكاني: "قوله: ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ [الأنعام: ١٣٥] المكانة: الطريقة، أي اثبتوا على ما أنتم عليه، فإني غير مبال بكم ولا مكترث بكفركم، إني ثابت على ما أنا عليه" (٣).

٤. ومنها: صبغة الله.

في البقرة ١٣٨، قال ابن كثير: "وقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] قال الضحاك، عن ابن عباس: دين الله. - وكذا قال غيره. (٤).

٥. ومنها: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ومقعد الصدق، وقدم الصدق، ووعد الصدق.

قال ابن القيم - في هذه الخمسة -: "وقد أمر الله تعالى رسوله: أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق. فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾ [الإسراء: ٨٠] وأخبر عن خليله إبراهيم ﷺ، أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين.

(١) ابن تيمية، المسائل والأجوبة، ط ١، (٢٠٣/١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٤٣/٣).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (١٨٧/٢).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٥٠/١)، وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (١٧١/١).

فقال: ﴿وَجَعَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق، ومقعد صدق. فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق.

وحقيقة الصدق في هذه الأشياء: هو الحق الثابت، المتصل بالله، الموصل إلى الله. وهو ما كان به وله، من الأقوال والأعمال. وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة....^(١).

فذكر - رحمه الله - أن حقيقة الصدق في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل إلى الله، وهذه حقيقة السبيل إلى الله تعالى، والصراط المستقيم، والمنهاج، والسنة.

فهذه سبعة وثمانون مصطلحاً لها صلة بمصطلح المنهاج، قد تم استخراجها من القرآن الكريم باستقراء عابر، ويمكن الوقوف على غيرها بالتأمل، وهي دالة دلالة واضحة على أهمية المنهاج في القرآن الكريم، وأن القرآن إنما جاء به؛ فإن الشيء العظيم تتعدد أسماؤه وصفاته.

وأكثر هذه المصطلحات هي دالة على منهج الحق، والقليل منها لفظ مشترك بين منهج الحق ومنهج الباطل، كمصطلحات: السبيل، والطريق، والصراط، والطريقة، والسنن، والسبب، والدين، والملة، والأمة، والمكانة، والاتباع، والمنسك، والخلق، والإمام. وقد بينت منه ما يحتاج إلى بيان، وما سوى ذلك، فهي مصطلحات بيّنة بنفسها، دالة على هذا الدين الذي بُعث به نبينا محمد ﷺ؛ ليكون منهاجاً للنجاة، وسبيلاً إلى السعادة.

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٢/٢٥٧-٢٦٢).

الفصل الثالث: مكانة وأهمية المنهاج في القرآن الكريم.

المنهاج الذي جاء به القرآن هو المنهاج الذي له المكانة الأسمى، والأهمية القصوى؛ ولم لا، وهو المنهاج الذي تكلم به رب العالمين، ورسمه- سبحانه وتعالى - سبيلا للنجاة، وصراطا للسعادة العاجلة في الدنيا، قبل الآجلة في جنات النعيم.

إنه منهاج الكتاب والسنة على منهاج السلف الصالحين والعلماء الراسخين، الذي من سلوكه نجا وفاز، ولكل عقبة كؤود جاز واجتاز.

وأبيّن في هذا الفصل مبحثين: الأول: في مكانة المنهج، والثاني: في أهميته.

المبحث الأول: مكانة المنهاج في القرآن الكريم.

تتبين مكانة المنهاج في القرآن الكريم في أنه منهاج رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين ﷺ، بل منهاج الأنبياء جميعا صلوات الله وسلامه عليهم، وهو منهاج الصالحين الذين ساروا عليه ولزموه؛ وهذا كاف في أنه ليس كمثله منهج.

١. منهاج رب العالمين.

وهذا ظاهر يبين من الآيات الكثيرة التي أضاف الله فيها المنهاج إليه سبحانه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]، فأضاف سبحانه الصراط والسبيل إليه، وغيرها من المواضع التي تبلغ عشرة.

٢. منهاج رسوله الخاتم ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فأمر رسوله أن يعلن بالسبيل مضافة إليه ﷺ.

٣. منهاج الأنبياء جميعا.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [١٢] وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَجْعُوتٌ [١٣] وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [٥١] وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ [٥٢] فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [٥٣] [المؤمنون: ٥١ - ٥٣]، آيات بينات محكمات تبين أن منهج الأنبياء واحد.

قال السعدي - في الموضع الأول -: " ولما ذكر الأنبياء عليهم السلام، قال مخاطباً للناس ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ - أي: هؤلاء الرسل المذكورون هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتمون، وبهديهم تقتدون، كلهم على دين واحد، وصراط واحد، والرب أيضاً واحد" ^(١).

- وقال تعالى - بعد أن ذكر جماعة من الأنبياء في سورة الأنعام -: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ^(٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَتْهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ^(٩٠) ﴾ [الأنعام: ٨٧ - ٩٠].

قال السعدي: "... (أُولَئِكَ) المذكورون (الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَتْهُ) - أي: امش - أيها الرسول الكريم - خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم وقد امثل ﷺ، فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم" ^(٢).

٤. منهاج عباد الله الصالحين الذين أنعم الله عليهم.

- قال تعالى - في أعظم سورة في كتابه -: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٧) ﴾ [الفاتحة: ٧].

قال ابن القيم: "... فإنه لما قال: (اهدنا الصراط المستقيم) فكأن الذهن طلب المعرفة ما إذا كان هذا الصراط مختصاً بنا أم سلكه غيرنا ممن هداه الله، فقال: (صراط الذين أنعمت عليهم) ...؛ فإن النفوس مجبولة على التأسى والمتابعة. فإذا ذكر لها من تتأسى به في سلوكها أنست واقتحمتها؛ فتأمله" ^(٣).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٥٣٠).

(٢) المرجع نفسه، (١/٢٦٣).

(٣) ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ١، (٢/٤٣٥).

- وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نُؤَلُّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

قال السعدي: " - أي: فإن آمن أهل الكتاب (بمثل ما آمنتم به) - يا معشر المؤمنين - من جميع الرسل، وجميع الكتب" (١).

٥. ليس كمثله منهج.

- قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال السعدي: " فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز - بإيقانه - ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين - عقلاً وشرعاً - اتباعه" (٢).

- وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤].

قال السعدي: " فقلوله حق، وشرعه حق، والأقوال والأفعال الباطلة، لا تنسب إليه بوجه من الوجوه، وليست من هدايته؛ لأنه لا يهدي إلا إلى السبيل المستقيمة، والطرق الصادقة" (٣).

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

قال ابن كثير: " يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، وهو القرآن، بأنه يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل" (٤).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦٨/١).

(٢) المرجع نفسه، (٢٣٤/١).

(٣) المرجع نفسه، (٦٥٨/١).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٨/٥).

وقال السعدي - رحمه الله -: " يخبر تعالى عن شرف القرآن، وجلالته، وأنه (يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) - أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره" (١).

وقال ابن عاشور: " وهذا وصف إجمالي لمعنى هدايته إلى التي هي أقوم لو أريد تفصيله لاقتضى أسفاراً، وحسبك مثلاً لذلك: أساليب القرآن في سد مسالك الشرك... " (٢).

وقال الشنقيطي: " وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدّها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة.

ثم ذكر جملاً وافرة في جهات مختلفة كثيرة، من هدي القرآن للطريق التي هي أقوم؛ بياناً لبعض ما أشارت إليه الآية الكريمة؛ تنبيهاً ببعضه على كله من المسائل العظام،..... " (٣).

ثم قال: " ولما كان تتبع جميع ما تدل عليه هذه الآية الكريمة من هدي القرآن للتي هي أقوم يقتضي تتبع جميع القرآن وجميع السنة؛ لأن العمل بالسنة من هدي القرآن للتي هي أقوم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] وكان تتبع جميع ذلك غير ممكن في هذا الكتاب المبارك، اقتصرنا على هذه الجمل التي ذكرنا من هدي القرآن للتي هي أقوم؛ تنبيهاً بها على غيرها، والعلم عند الله تعالى " (٤).

وإن مثل هذا الموضع وحده ليصلح أن يكون رسالة مستقلة عنوانها هذه الآية التي يقال فيها، كما قال الشافعي في سورة العصر: لو أخذ الناس بها؛ لكفتهم (٥).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٥٤٤).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (١٥/٤٠-٤١).

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٣/١٧-٥٤).

(٤) المرجع نفسه، (٣/٥٤). وانظر أيضاً السعدي، القواعد الحسان، ط ١، ص ١٤٦، القاعدة التاسعة والخمسون.

(٥) ليس لهذا الأثر وجود في كتب الشافعي، وهو أثر مشهور تناقله العديد من الأئمة.

وبهذا وغيره من المواضع يتبين صحة هذا المسلك الذي اخترته من بيان مثل هذه الآيات المنهاجية، التي الحاجة إليها في زماننا في مرتبة الضرورة، فالحمد لله على توفيقه.

- وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ [الإسراء: ٨٨ - ٨٩].

قال السعدي: "وكيف يقدر المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الذي ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يعارض كلام رب الأرض والسموات، المطلع على سائر الخفيات، الذي له الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد العظيم..."(١).

- وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) [العنكبوت: ٥١].

قال السعدي: "وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات البينات، والدلالات الباهرات، شيء كثير - فذكر أموراً كثيرة، وأصولاً جليلة، ثم قال: فجميع ذلك يكفي من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى الله من لم يكفه القرآن، ولا شفى الله من لم يشفه الفرقان"(٢).

فمنهاج بهذه المكانية كيف الذهاب عنه؟!!!: منهاج رب العالمين، ومنهاج الرسول الخاتم محمد ﷺ، ومنهاج الأنبياء جميعاً، ومنهاج عباد الله الصالحين، فهل يكون مثله منهج؟! فإذا علمت مكانته، فلم الحيدة عنه؟! إن الانحراف عنه ضلال، واتباع غيره هوى وهلاك.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١١٦) [الأنعام: ١١٦].

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط٤، (١/٤٦٥-٤٦٦).

(٢) المرجع نفسه، (١/٦٣٣).

قال السعدي: " فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق، بل غايتهم أنهم يتبعون الظن، الذي لا يغني من الحق شيئاً، ويتحرصون في القول على الله ما لا يعلمون.

ومن كان بهذه المثابة؛ فَحَرِيٌّ أَنْ يَحْذَرُ اللهَ مِنْهُ عِبَادَهُ، ويصف لهم أحوالهم؛ لأن هذا - وإن كان خطاباً للنبي ﷺ - فإن أمته أسوة له في سائر الأحكام، التي ليست من خصائصه.

والله تعالى أصدق قيلاً، وأصدق حديثاً، وَ(هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ) وأعلم بمن يهتدي، ويُهدى. فيجب عليكم - أيها المؤمنون - أن تتبعوا نصائحه وأوامره ونواهيه لأنه أعلم بمصالحكم، وأرحم بكم من أنفسكم...^(١).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/ ٢٧٠).

المبحث الثاني: أهمية المنهاج في القرآن الكريم.

مما هو معلوم لدى العقلاء أن الأهمية تتبع المكانة؛ فإذا عُلمت مكانة الشيء؛ تبينت أهميته، بحيث يكون المبرز دوماً إليه دون غيره، والتمسك به والعض عليه دون ما سواه.

وتتبين أهمية المنهاج في أنه السبيل الوحيد لحصول المطالب العالية التالية:

١. حصول الهداية التي هي أعظم المطالب.

- قال الله تعالى على لسان المؤمنين: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

قال ابن تيمية: "والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء؛ فإنه لا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، فمن فاتته؛ فهو إما من المغضوب عليهم، وإما من الضالين.....

فحاجة العبد إلى سؤال هذه الهداية ضرورية في سعادته ونجاته وفلاحه؛..."^(١).

- وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

قال ابن كثير: "أي: ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة"^(٢).

٢. حصول الاستقامة.

وذلك أن السير على الصراط المستقيم والهدي القويم موجب للاستقامة.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٤٠/٣٧-٤٠).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٦٨/٣).

قال ابن تيمية: "... ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون أهل الاستقامة يوصون كثيراً بمتابعة العلم ومتابعة الشرع؛ لأن كثيراً منهم سلكوا في العبادة لله مجرد محبة النفس وإراداتها وهواها، من غير اعتصام بالعلم الذي جاء به الكتاب والسنة؛ فضلوها بسبب ذلك ضلالاً يشبه ضلال النصارى.

ولهذا قال بعض الشيوخ - وهو أبو عمرو بن نجيد - رحمه الله - ^(١) -: "كل وَجَد لا يشهد له الكتاب والسنة؛ فهو باطل".

وقال سهل - رحمه الله - ^(٢) -: "كل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس، وكل عمل باقتداء فهو عذاب على النفس".

وقال أبو عثمان النيسابوري - رحمه الله - ^(٣) -: "من أَمَرَ السنة على نفسه قولاً وفعلاً؛ نطق بالحكمة، ومن أَمَرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً؛ نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]". وقال بعضهم: "ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه".

وهو كما قالوا، فإنه إذا لم يكن متبعاً للأمر الذي جاء به الرسول؛ كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله، وهذا عيش النفس، وهو من الكبر، فإنه شعبة من قول الذين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ^(٤).

(١) هو أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي، قال أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص ٤٥٤: جدي لأمي، لقي الجنيد، وكان أكبر مشايخ وقته، توفي سنة ٣٦٦ هـ. انظر ترجمته وأقواله في القشيرية، (

١/١٧١)، طبقات الصوفية، ص ٤٥٤ - ٤٥٧، طبقات الشافعية، (٣/٢٢٢ - ٢٢٤).

(٢) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، من كبار الصوفية، (٢٠٠ - ٢٨٣ هـ). انظر: صفة الصفوة، (٤/٤٦ - ٤٨)، شذرات الذهب، (٢/١٨٢ - ١٨٤)، الأعلام، (٣/٢١٠)، والنص في القشيرية، (١/٨٥).

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري، وأصله من الري، شيخ الصوفية بنيسابور، وبها توفي سنة ٢٩٨. انظر ترجمته وأقواله في: طبقات الصوفية، ص ١٧٠ - ١٧٥، صفة الصفوة، (٤/٨٥ - ٨٨)، الرسالة القشيرية (١/١٠٩ - ١١١)، وهذا النص في القشيرية (١/١١١).

(٤) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (٣٣١/٥ - ٣٣٢). والبعض المذكور في كلامه هو أبو عثمان النيسابوري نفسه، كما نسب هذا الكلام إليه في اقتضاء الصراط المستقيم، ط ٧، (٢/١٢٠).

وقال ابن القيم: "ولا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور: الاستقامة، والإيصال إلى المقصود، والقرب، وسعته للمارين عليه، وتعيينه طريقاً للمقصود، ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة." (١).

٣. النجاة من التفرق والأهواء.

- قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن القيم: "... فأخبر سبحانه أنه هدى عباده لما اختلف فيه المختلفون. وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم" (٢).

فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان، ومع من كان، ولو كان مع من يغيضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان، ولو كان مع من يحبه ويواليه؛ فهو ممن هدى لما اختلف فيه من الحق؛ فهذا أعلم الناس وأهداهم سبيلاً وأقومهم قِيلاً.

وأهل هذا المسلك إذا اختلفوا فاختلفوا فهم اختلاف رحمة وهدى" (٣).

- وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢].

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (١/٣٣).

(٢) رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (٣/٣٠٨)، (٧٧٠).

(٣) ابن القيم، الصواعق المرسلّة، ط ٣، (٢/٥١٦).

قال السعدي: "... وفي هذا تحذير للمسلمين من تشبههم وتفرقهم فرقاً كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابحين بذلك للمشركين في التفرق، بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد"^(١).

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تحذر من التفرق في الدين، وقد ذكرنا طرفاً منها في رسالتنا "أدب الاختلاف بين الصحابة"^(٢).

٤. حصول الخيرية للناس.

قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن تيمية: "ومن استقرأ أخبار العالم في جميع الفرق؛ تبين له أنه لم يكن قط طائفة أعظم اتفاقاً على الهدى والرشد، وأبعد عن الفتنة والتفرق والاختلاف من أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خير الخلق بشهادة الله لهم بذلك، إذ يقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]....

وكل من كان أقرب إلى الاعتصام بحبل الله، وهو اتباع الكتاب والسنة؛ كان أولى بالهدى والاجتماع والرشد والصلاح وأبعد عن الضلال والافتراق والفتنة.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٦٤٠).

(٢) وهي الرسالة التي حصلْتُ بها على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، وهي مطبوعة، القاهرة: دار عباد الرحمن، ط ١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

واعْتَبِرْ ذَلِكَ بِالْأُمَمِ، فَأَهْلُ الْكِتَابِ أَكْثَرُ اتِّفَاقاً وَعِلْماً وَخَيْراً مِنَ الْخَارِجِينَ عَنِ الْكِتَابِ، وَالْمُسْلِمُونَ أَكْثَرُ اتِّفَاقاً وَهَدًى وَرَحْمةً وَخَيْراً مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِينَ قَبْلَنَا تَفَرَّقُوا وَبَدَلُوا مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالُ، وَأَظْهَرُوا الْبَاطِلَ، وَعَادُوا الْحَقَّ وَأَهْلَهُ"^(١).

٥. حصول الصلاح في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧١) [المؤمنون: ٧١].

قال السعدي: "ووجه ذلك أن أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر والفساد من الأخلاق والأعمال، فلو اتبع الحق أهواءهم؛ لفسدت السماوات والأرض؛ لفساد التصرف والتدبير المبني على الظلم، وعدم العدل. فالسماوات والأرض ما استقامتا إلا بالحق والعدل"^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١٧٠) [الأعراف: ١٧٠].

قال السعدي: "... وهذه الآية وما أشبهها دلت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم"^(٣).

وقال الزحيلي: "- أي: والذين يستمسكون بأوامر الكتاب الإلهي، ويعتصمون به، ويقتدون بمنهجه، ويتركون زواجه"^(٤).

(١) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (٦/٣٦٤-٣٦٧).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٥٥٤).

(٣) المرجع نفسه، (١/٣٠٧).

(٤) الزحيلي، التفسير المنير، ط ٢، (٩/١٥١-١٥٢).

وتأمل كيف اختصر موسى عليه السلام رسالته وطريقته - التي هي رسالة الأنبياء وطريقتهم - في وصيته لأخيه هارون عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤٢) [الأعراف: ١٤٢].

قال السعدي: "..... (وَأَصْلِحْ) - أي: اتبع طريق الإصلاح (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) وهم الذين يعملون بالمعاصي" (١).

وقال ابن عاشور: " وقد جمع له في وصيته ملاك السياسة بقوله: (وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)؛ فإن سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح، وهو جعل الشيء صالحاً،....." (٢).

فهذه بعض الأمور التي يتبين بها أهمية المنهاج في القرآن الكريم، وإلا فمثل هذه العناوين، كل واحد منها يحتاج رسالة مستقلة، وإنما المقصود ههنا التنبيه بما ذكر على ما يمكن أن يذكر.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٣٠٢/١).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٨٧/٩-٨٩).

الفصل الرابع: جوانب المنهاج في القرآن الكريم.

للمنهاج القرآني جوانب عدة شاملة لدين الإسلام كله، حتى ما يتعلق بأمور الدنيا، كما في الأحكام السلطانية التي شرعها الله تعالى لسياسة الدنيا والدين، وكما في صحة الأبدان علاوة على صحة القلوب، وكما في لباس العورات والرياش علاوة على لباس التقوى، وكما في سير الأبدان وسياحتها علاوة على سير القلوب وسياحتها؛ إلا أن في كل هذا ونحوه بين الإسلام أن هناك أصلاً وفرعاً؛ غايةً ووسيلة.

قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَكَزَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال ابن كثير: "وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]. وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٦]."^(١)

فالمنهاج القرآني شامل لجميع ما جاء به الإسلام، فنجد للقرآن منهاجاً في كل أصل من أصول هذا الدين القويم.

ولن يعود للمسلمين مجدهم وشرفهم حتى يأخذوا بجوانب هذا المنهاج كافة، كما قال المولى الكريم: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨ - ٢٠٩].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٧/٢٢٠).

قال ابن كثير: "يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك. ثم ذكر عن ابن عباس وغيره، يعني: الإسلام"^(١).

وقال السعدي: "أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى، تبعاً للدين"^(٢).

فالواجب على المسلمين جميعاً العمل على المنهاج من جميع جوانبه، وأن لا يُترك شيء من ذلك، فإن الشيطان مترصد للإنسان؛ فيأتيه من جميع جوانب الإضلال، ولا سبيل لمقاومته إلا بلزوم الصراط المستقيم، والسبيل القاصدة؛ وذلك بلزوم المنهاج بجميع جوانبه: علماً وعملاً.

وقد سبق ذكر أن المنهاج له إطلاقان: عام وخاص، وأن المقصود في هذه الرسالة بيان المنهاج بمعناه الخاص - الذي هو الطريقة المسلوكة - ثم هذا المعنى الخاص له جانب عام - وهو موضوع هذه الرسالة - وله جوانب خاصة، نبين شيئاً عنها من خلال المباحث الآتية:

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١/٥٦٥-٥٦٦).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٩٤).

المبحث الأول: الجانب العقدي.

للقرآن منهاج واضح بيّن في تقرير العقيدة التي يجب على الناس اعتقادها، بل القرآن كله في ذلك على سبيل العموم والكليات، قال ابن القيم: "... بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه،..."^(١).

وقال أيضاً: " وإذا تدبرت القرآن - من أوله إلى آخره - رأيته يدور على هذا التوحيد، وتقريره وحقوقه"^(٢).

ويمكن تلخيص معالم المنهاج القرآني في العقيدة الإسلامية فيما يلي:

١. التذكير بالميثاق الأول وبالفطرة:

فكل بني آدم مأخوذ عليه الميثاق بالتوحيد، وهو في عالم الذر، ثم ولد على ذلك أيضاً، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهِيَ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤].

وقال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

قال ابن تيمية: " ففي كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبه له. وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم يمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والآخرة. وجعل في فطرته محبة لذلك.

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٤١٧/٣-٤١٨).

(٢) المصدر نفسه، (٤٤٩/٣-٤٥٠).

لكن قد يعرض الإنسان - بجهليته وغفلته - عن طلب علم ما ينفعه^(١).

٢. إقامة الحجة على العباد بإرسال الرسل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال الشنقيطي: "قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة: أنه بعث في كل أمة رسولا بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله» ؛ ...

وأوضح هذا المعنى كثيرا في القرآن عن طريق العموم والخصوص. فمن النصوص الدالة عليه مع عمومها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ (٤٥) [الزخرف: ٤٥]، ونحو ذلك من الآيات^(٢).

٣. شهادة الله تعالى وملائكته وأولي العلم على التوحيد:

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) [آل عمران: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٦) [سبأ: ٦].

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٩٥/١٤ - ٢٩٧).

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٣٧٤/٢).

قال السعدي: " هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم،...." (١).

٤. البراهين العقلية:

فكم في القرآن من آية فيها الدعوة إلى النظر العقلي، والتفكر والتبصر والتفقه بمعناه العقدي.

قال ابن تيمية: " وليس تعليم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقصوداً على مجرد الخبر كما يظنه كثير؛ بل هم بينوا من البراهين العقلية التي بها تعلم العلوم الإلهية ما لا يوجد عند هؤلاء ألبتة.... ومثل هذا كثير في القرآن. وقد ألفت كتاب " دفع تعارض الشرع والعقل " (٢).

٥. الآيات الكونية:

وأيضاً، كم في القرآن من آيات عديدة تذكر مخلوقات الله العظيمة الدالة على تفرد سبحانه بالخلق والأمر؛ ومن ثم استحقاقه سبحانه للعبادة وحده. يذكر الله تعالى ذلك بعدها أو قبلها. قال سبحانه: ﴿ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾ [فصلت: ٥٣].

قال ابن تيمية: " فأخبر أنه سيرهم الآيات الأفقية والنفسية المبينة؛ لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية، والبرهانية العيانية، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول " (٣).

٦. القصص القرآني:

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/١٢٤).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٩/٢٢٧).

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (١/٣٠١).

وهذا كثير في القرآن، يذكر الله تعالى محاورات الرسل لأقوامهم؛ لدعوتهم إلى توحيده سبحانه، وإقامة الحجج عليهم...

والغرض من القصص القرآني حصول العبرة للناس جميعا، والثبات للمؤمنين.

وكذا قصص غير الأنبياء كقصة أصحاب الكهف، وقصة الخضر، وقصة لقمان، وقصة ذي القرنين، وقصة الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها.

وفي القصص القرآني يذكر سبحانه آيات الأنبياء الدالة على صدقهم.

قال ابن تيمية: " وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم؛ لتكون عبرة لنا؛ فنشبه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها؛ فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين، كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصلة، وأجمل قصص الأنبياء، ثم قال: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴿[يوسف: ١١١]"^(١).

٧. الأمثال القرآنية:

في القرآن بضعة وأربعون مثلاً، ضربها الله للناس لعلهم يتفكرون؛ فيعقلون؛ فيتذكرون، ومن ذلك ضرب الأمثال لبيان التوحيد والعقيدة الصحيحة.

قال ابن القيم: " والقرآن مملوء بهذا لمن تدبره،" ^(٢).

والأمثال أدلة عقلية، كما قال ابن القيم: " ولهذا ضرب الله سبحانه الأمثال، وهي الأدلة العقلية، وخاطب العباد بذلك خطاب من استقر في عقولهم وفطرهم حُسن التوحيد ووجوبه، وقُبْح الشرك وذمه.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٤٢٧/٢٨).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٢٥٤/١).

والقرآن مملوء بالبراهين العقلية الدالة على ذلك" (١).

وقال أيضاً: "ضربُ الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور التذكير والوعظ، والحث والزجر والاعتبار، والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس" (٢).

٨. البدء بعقيدة التوحيد في الدعوة إلى الله تعالى:

وهذا بين غاية البيان، وواضح أعظم وضوح؛ فما من نبي إلا ويبدأ دعوته إلى قومه بقوله: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾، كما في سور الأعراف وهود والمؤمنون، وهذا لأمرين:

أحدهما: أن العقيدة مقصودة لذاتها؛ لعبادة الله تعالى وحده؛ إذ هي الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات: ٥٦].

والثاني: أنها الأساس لبناء غيرها عليها؛ ولذا تفتتح الأوامر والمناهي بذكر الإيمان والتوحيد، أو تختتم به.

قال الشنقيطي - في بيان الأمر الأول - : "وذلك التوحيد هو أول ما يأمر به كل نبي أمته...." (٣).

وقال ابن القيم - في بيان الأمر الثاني - : "فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله؛ ولهذا قال الله تعالى: (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وهذا مما ذكرنا آنفاً أنه شرط ينتفي المشروط بانتفائه، فدل على أن من حَكَمَ غير الله ورسوله في موارد مقتضى النزاع؛ كان خارجاً من مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر.

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٤٤٥٣/٣).

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ١، (٩/٤).

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (١٢١/٧).

وحسبك بهذه الآية العاصمة القاصمة بياناً وشفاء؛ فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها، عاصمة للمتمسكين بها الممثلين ما أمرت به" (١).

ومثل هذا، كل موضع اشترط فيه الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، ومواقع كثيرة.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام - في بيان الأمرين -: "وإنا رددنا الأمر إلى ما ابتعث الله عليه رسوله ﷺ وأنزل به كتابه، فوجدناه قد جعل بدء الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ ، ثم خاطبهم وهم بالمدينة باسم الإيمان المتقدم لهم في كل ما أمرهم به، أو نهاهم عنه، فقال في الأمر: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧] و ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] وقال في النهي: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠] و ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥] وعلى هذا كل مخاطبة كانت لهم فيها أمر أو نهي بعد الهجرة، ... " (٢).

٩. دحض جدال المعاندين وحججهم الداحضة:

ولذا سمي القرآن فرقاناً وبرهاناً، ومع ذلك فمن يُرجى منه الخير؛ جُودل بالتي هي أحسن.

قال ابن تيمية: "والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها، كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم، بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي برهانية. وإن كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها؛ ذكر الدليل على صحتها" (٣).

وقال ابن القيم: "فلمناظرة المبطل فائدتان:

(١) ابن القيم، الرسالة التبوكية، ط ١، ص ٤٢.

(٢) أبو عبيد، الإيمان، ط ٢، ص ١٠-١١. باختصار قليل.

(٣) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٦٤/١٩-١٦٧).

إحدهما: أن يُرد عن باطله ويرجع إلى الحق.

الثانية: أن ينكف شره وعداوته، ويتبين للناس أن الذي معه باطل.

وهذه الوجوه كلها لا يمكن أن تنال بأحسن من حجج القرآن، ومناظرته للطوائف؛ فإنه كفيل بذلك على أتم الوجوه لمن تأمله وتدبره ورزق فهما فيه وحججه، مع أنها في أعلى مراتب الحجج، وهي طريقة أخرى غير طريقة المتكلمين وأرباب الجدل والمعقولات؛ فهي أقرب شيء تناولا، وأوضح دلالة، وأقوى برهانا، وأبعد من كل شبهة وتشكيك^(١).

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (٤/٢٧٦). ولينظر أيضا لمعالم هذا الجانب، ما ذكره الإمام السعدي في القواعد الحسان في تفسير القرآن، القواعد: السادسة، والسابعة، والثامنة، والعاشر، والثالثة عشرة، والثانية والعشرون، والثامنة والعشرون، والثانية والخمسون، والسابعة والخمسون.

المبحث الثاني: الجانب العملي.

وللقرآن الكريم في ذلك معالم منهاجية منها:

١. اعتنى القرآن عناية فائقة بأركان الإسلام خصوصاً، وبالعَمَل الصالح عموماً، وربط ذلك بالإيمان والعقيدة والتوحيد؛ لبيان أن العقيدة ليست بالتمني ولا بالتحلي، وإنما ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، فكم من موضع في القرآن ذكره الله تعالى في صفات المؤمنين؛ سواء كان هذا قبل أم بعد، كما في سور البقرة، والأنفال، والمؤمنون، والفرقان، والمعارج، وغيرها.

٢. وبَيَّن القرآن أن هذه العبادات مما يستعان به على الأمور كلها، فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وذكر سبحانه في سياق آيات الطلاق قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

٣. وفي سياق التعامل بالأموال بالإنفاق أو بالقرض أو بالربا، قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

٤. وبَيَّن سبحانه أن العمل لا يكون صالحاً حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة.

قال ابن تيمية: "... وهذا المعنى يدور عليه القرآن؛ فإن الله تعالى أمر أن لا يعبد إلا إياه، وعبادته فعل ما أمر، وترك ما حظر.

والأول: هو إخلاص الدين والعمل لله.

والثاني: هو الإحسان، وهو العمل الصالح.

ولهذا كان عمر يقول في دعائه: "اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً". وهذا هو الخالص الصواب، كما قال الفضيل بن عياض في قوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَنِ كُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. قال أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال:

إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً؛ لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً؛ لم يقبل: حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة"^(١).

٥. وذكر سبحانه أن العمل الصالح أصل من أصول دينه، أمر به أنبياءه وأصفياه.

٦. وذكر سبحانه وحذر من أن تصد الدنيا عن العمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

قال السعدي: "ولهذا أخبر تعالى أن المال والبنين، زينة الحياة الدنيا، أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره، الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة من حقوق الله، وحقوق عباده..."^(٢).

وغير ذلك من الأصول المذكورة حول هذا الجانب من المنهاج القرآني^(٣).

(١) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (٢٥٢/٥-٢٥٣). وأثر عمر رضي الله عنه أخرجه أحمد في الزهد، في باب زهد عمر، ص ٩٧، (٦١٧)، وإسناده منقطع؛ لأن الحسن البصري لم يدرك عمر. وأثر الفضيل أخرجه أبو نعيم في الحلية، (٩٥/٨).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٤٧٩/١).

(٣) ينظر أيضاً، السعدي، القواعد الحسان، القواعد: التاسعة، والتاسعة عشرة، والحادية والعشرون، والرابعة والعشرون، والخامسة والعشرون، والثامنة والعشرون، والحادية والأربعون، والخامسة والخمسون، والثالثة والستون.

المبحث الثالث: الجانب السلوكي الأخلاقي.

وهذا الجانب له إطلاقان: عام، وخاص؛ أما العام: فيشمل الدين كله؛ من القيام بحقوق الله وحقوق عباده، وأما الخاص: فهو المراد هنا، وهو القيام بحقوق العباد، وهو كثير في القرآن، لكن من منهج القرآن في تقريره أنه يأتي مقروناً بحقوق الله تعالى؛ لأمرين:

أحدهما: أن القيام بحقوق الله من أكبر العون على القيام بحقوق عباده.

والآخر: أنه لا يكفي فقط القيام بحقوق الله حتى يقوم بحقوق عباده، بل إخلاله بحقوق العباد دليل على إخلاله بحقوق الله؛ لأن القيام بحقوق الله يهذب النفس ويزكيها؛ فتقوم بحقوق العباد، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، فاشتملت الآية على حقوق للعباد؛ محفوفة قبلها وبعدها بحقوق الله.

قال ابن كثير: "... فأمرهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وبهذا أمر جميع خلقه، ... وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله تعالى، أن يعبد وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين، ...، وقد أمر تعالى هذه الأمة بنظير ذلك في سورة النساء، بقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣٦) [النساء: ٣٦] فقامت هذه الأمة من ذلك بما لم تقم به أمة من الأمم قبلها، والله الحمد والمنة" (١).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١/٣١٦-٣١٨). باختصار كثير.

قال ابن رجب - رحمه الله -: " وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها، والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً لا يقوى عليه إلا الكمل من الأنبياء والصديقين" ^(١).

وهكذا بقية المواضع، كما في سورة [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥]. وسورة [الشورى: ٣٦ - ٤٣]. وقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وغير ذلك من المواضع، بل هناك سورة كاملة ظاهرة في هذا المنهاج الأخلاقي، وهي سورة الحجرات، قد ذكر الله فيها خلاصة ذلك بقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [١٤] إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَنَّهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [١٥] [الحجرات: ١٤ - ١٥].

قال السعدي: " وقوله: (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) - أي: الذين صدّقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة، " ^(٢).

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ط ٢، (٥٣٩/٢)، شرح الحديث الثامن عشر.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٨٠٢/١).

المبحث الرابع: الجانب الفقهي التشريعي.

وهذا أظهر ما يكون في آيات الأحكام، وما اشتملت عليه من أصول وفروع، بل هناك سور كاملة في ذلك منها: سور: البقرة، والنساء، والمائدة، والأنفال، والنور، والأحزاب.

ومن معالم المنهج القرآني في هذا الجانب ما يلي:

١. ليس من منهج القرآن سَوَق الأحكام على طريقة المتون الفقهية؛ أحكاماً مجردة؛ بل ربط ذلك بالإيمان، وأن هذا مقتضاه، وربط ذلك أيضاً بالثواب والعقاب، وبيان أن هذه الأحكام من لدن حكيم عليم، وأن الطهارة والنزاهة في امتثالها، وأن أهل الشهوات والشبهات ما يريدون للمسلمين إلا الضلالة، والميل العظيم عن الصراط المستقيم.

قال تعالى - بعد أن ذكر أحكاماً من أول سورة النساء -: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيُقَدِّسَ لَكُمُ الْكَلِمَاتُ وَلِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَلِيُعَلِّمَكُمُ الْكِتَابَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٦﴾ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧﴾ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ٢٨﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٨].

قال السعدي: "يريدون أن يصرفوكم عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان، وعن التزام حدود من السعادة كلها في امتثال أوامره، إلى من الشقاوة كلها في اتباعه.

فإذا عرفتم أن الله تعالى يأمركم بما فيه صلاحكم وفلاحكم وسعادتكم، وأن هؤلاء المتبعين لشهواتهم يأمرونكم بما فيه غاية الخسار والشقاء؛ فاختاروا لأنفسكم أولى الداعيين، وتخيروا أحسن الطريقتين" (١).

٢. أن هذه الأحكام الفقهية شاملة لجميع جوانب التشريع: فإن القرآن الكريم، أصل الشريعة الأول، وكلُّها الذي ترجع كل المصادر إليه، فالقرآن الكريم؛ جاء بأحكام متعددة

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/١٧٥).

ومتنوعة، وهي أحكام ضرورية للبشرية؛ لتنظيم علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقته بغيره، وبنفسه، وعلاقته بكافة مجالات الحياة.

٣. وبَيَّن القرآن الكريم أن أي تفريط في هذه العلاقات ينعكس سلباً على الأفراد والجماعات، قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

فاشتمل على أحكام العبادات، وأحكام الأسرة، وأحكام المعاملات المالية، والأحكام السلطانية، وأحكام العلاقات الدولية، والأحكام المالية العامة، وأحكام الجرائم والعقوبات بأنواعها المختلفة^(١).

٤. وأوجب القرآن طاعة الرسول ﷺ في بيان هذه الأحكام بالسنة؛ لما ذكره الشاطبي بقوله: "... فعلى هذا لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر في شرحه وبيانه، وهو السنة؛ لأنه إذا كان كلياً وفيه أمور جُمليّة، كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها؛ فلا محيص عن النظر في بيانه، وبعد ذلك ينظر في تفسير السلف الصالح له إن أعوزته السنة؛ فإنهم أعرف به من غيرهم، وإلا؛ فمطلق الفهم العربي لمن حصّله يكفي فيما أعوز من ذلك، والله أعلم"^(٢).

(١) خصاونة، منهج القرآن الكريم في عرض آيات الأحكام، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، م ٥٥، ع ٣، ص ١١٨.

(٢) الشاطبي، الموافقات، ط ١، (٤/١٨٠-١٨٣). باختصار كثير.

المبحث الخامس: الجانب التربوي.

وذلك كما في الدروس التربوية المستفادة من غزوة أحد، قال ابن القيم: "فصل في ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد.

وقد أشار الله - سبحانه وتعالى - إلى أمهاتها، وأصولها في سورة (آل عمران) حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، إلى تمام ستين آية....^(١). فعد منها بالعشرات.

وكقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]. وكذا الآية قبلها. قال ابن كثير: "فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده، كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته"^(٢).

بل سورة النور كلها، هي سورة تربوية اشتملت على أصول تربوية عظيمة، منها: منهاج التعامل مع الشائعات، وآداب الاستئذان، وأحكام وآداب غض الأبصار وحفظ الفروج، وآداب الاستئذان على المحارم، وغير ذلك. ومثلها سورة الحجرات التي هي برهان الإيمان.

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ط ٢٧، (٣/١٩٦-٢١٦).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٦/٨٩).

المبحث السادس: الجانب الدعوي.

بيّن القرآن أنه لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله، وعمل صالحاً، مع الاستسلام لله تعالى، وأن الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، وأن الدعوة ركنها الركين هو البصيرة، وأنها تكون بحيث تؤتي ثمارها؛ فتكون بحسب حال المدعو. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

قال السعدي: " هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر - أي: لا أحد أحسن قولاً - أي: كلاماً وطريقة، وحالة (مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقييده بكل طريق يوجب تركه، ثم ذكر جوانب كثيرة في ذلك" (١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال ابن كثير: " يقول الله تعالى لعبد ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمراً له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله - أي: طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي" (٢).

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال السعدي: " ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٧٤٩).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤/٤٢٢).

فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب: إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها. وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقيم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل.

فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعيه إلى الباطل؛ فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً^(١).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط٤، (١/٤٥٢).

المبحث السابع: الجانب الديني.

والمقصود به: ما يجب على المسلم مراعاته، والتنبه له عندما يسعى لاكتساب ما يعيش به في هذه الحياة الدنيا.

ومنهاج القرآن بالنسبة للدنيا في غاية الوضوح، حيث حذر من الدنيا؛ أن تكون هي الغاية، أو أن تصد وتُلْهي عن الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، وإنما هي وسيلة لا غاية، كما قال سبحانه في شأنها: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

قال الزحيلي: "وهذه هي وسطية الإسلام في الحياة"^(١).

وعلى أساس هذا المنهاج أمر سبحانه بعمارة الأرض والسعي فيها؛ فقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

والمتدبر في الآية يرى أن الله سبحانه قد ذكر مقامات عظيمة يجب استحضارها عند السعي في هذه الحياة الدنيا:

منها: أنه سبحانه هو وحده الذي جعل لنا هذه الدنيا، ويسرّها علينا.

ومنها: أن الرزق رزقه سبحانه، وهو الرزاق لا سواه.

ومنها: أنه مهما طال البقاء في الدنيا؛ فإن المصير إلى الله سبحانه.

(١) الزحيلي، التفسير المنير، ط ٢، (١٦١/٢٠).

المبحث الثامن: الجانب السياسي.

وهو جانب في غاية الأهمية، قد أفردته العلماء بالتصنيف، وسمّوه بـ"الأحكام السلطانية"، والتي خلاصتها- كما قال الماوردي: "الإمامة موضوعة؛ لخلافة النبوة: في حراسة الدين، وسياسة الدنيا"^(١).

وهذا الجانب يقوم على أصول أهمها: العدل، والشورى، ولزوم طاعة ولي الأمر؛ إلا أن نرى كفوفاً بواحاً عندنا فيه من الله برهان.

وقد ذكر سبحانه من قصص الملوك، والأنبياء الملوك، والملوك الصالحين ما يستفاد منه أصول هذا الجانب العظيم؛ فذكر سبحانه قصة ملكة سبأ، وقصة داود وسليمان، وقصة يوسف لما جعله الملك على خزائن الأرض، وقصة ذي القرنين وغيرها.

قال ابن القيم: "السياسة العادلة جزء من الشريعة، ومن له ذوق في الشريعة واطلاع على كمالاتها وعدلها وسعتها ومصلحتها، وأن الخلق لا صلاح لهم بدونها البتة؛ علم أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها، وأن من أحاط علماً بمقاصدها ووضعها؛ لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة؛ فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة؛ فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تُخرج الحق من الظالم الفاجر، وهي من الشريعة، علّمها من علمها، وخفيت على من خفيت عنه"^(٢).

وما أبلغ ما قاله ابن تيمية في رسالته "السياسة الشرعية": "وهذه الرسالة مبنية على آيتين في كتاب الله: وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٨-٥٩].

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، د.ط، (١٥/١).

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ١، (١١٧/٣)، والطرق الحكمية، ط ١، ص ٧.

قال العلماء: نزلت الآية الأولى في ولاية الأمور؛ عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم، عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك؛ في قسّمهم، وحكمهم، ومغازيهم، وغير ذلك؛ إلا أن يأمرؤا بمعصية الله، فإذا أمرؤا بمعصية الله؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن تنازعوا في شيء؛ رده إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن لم تفعل ولاية الأمر ذلك، أطيعوا فيما يأمرؤن به من طاعة الله ورسوله؛ لأن ذلك من طاعة الله ورسوله، وأدبت حقوقهم إليهم، كما أمر الله ورسوله، ... وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل؛ فهذان جماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة^(١).

فهذه أهم الجوانب التي تضمنها المنهاج القرآني، وما من جانب من جوانب الحياة على هذه الأرض إلا وللقرآن فيه منهج: كالجانب الاقتصادي، والجانب الاجتماعي، والجانب الأسري، لكن مثل هذه الجوانب هي داخلة في الجوانب المذكورة، بل هي قائمة عليها أو ينبغي أن تقوم عليها.

وهذا المنهج القرآني هو الذي سلكه النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، وأخذوا به من جميع جوانبه، في كل زمان أتى عليهم، وفي كل مكان حلّوا به؛ فأعزهم الله، ونصرهم، وأنار بهم جوانب المعمورة، وما سوى هذا المنهج إلا موت وظلام، قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وليس الانتساب لهذا المنهج بمجرد الدعاوى، وإنما بالصدق في أخذه بقوة، كما قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَّادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]. وكما قال تعالى لنبيه يحيى عليه السلام: ﴿يَبْحِثْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ط ١، ص ٥-٦، وهذه الرسالة موجودة ضمن مجموع الفتاوى (٢٨/٢٤٤).

الفصل الخامس: أسباب الانحراف عن المنهاج القرآني.

المنهاج القرآني بجميع جوانبه قد التزمه سلفنا الصالح، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وامتلوا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فلما دخلوا في السلم كافة- أي: في الإسلام كله بجميع جوانبه، وأخذوا بمنهاجه كله؛ لم يتبعوا خطوات الشيطان التي هي أسباب الانحراف.

فأعظم أسباب الوقاية من الانحراف عن المنهاج أن نلتزم المنهاج كله؛ لأن النفس إذا شُغلت بالحق؛ اشتغلت عن الباطل بإذن الله.

لكن لا يتم الالتزام بالمنهاج على التمام إلا بمعرفة أسباب الانحراف عنه؛ ولذا كان الصحابة أعلم الناس؛ لأنهم عرفوا السبيلين: سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين.

فمن هذه الأسباب:

١. الغلو في الدين:

وهو مجاوزة الحد؛ إفراطاً أو تفريطاً: الإفراط أنتج الخوارج والمارقة ومن كان على طريقتهم، والتفريط أنتج المرجئة ومن كان على نهجهم، والآيات والأحاديث في ذم الغلو كثيرة جداً.

قال ابن تيمية: " فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة؛ حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم؛ فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنة، حتى يدّعي السنة من ليس من أهلها، بل قد مرق منها، وذلك "بأسباب" منها:

أ. الغلو: الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿يَتَأَهَّلَ أَلَكِتَبِ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] إلى قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٧١) وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ أَلَكِتَبِ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٧٧) [المائدة: ٧٧]، وقال النبي ﷺ: "إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" (١)، وهو حديث صحيح.

ب. التفرق والاختلاف: الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز.

ج. أحاديث تروى عن النبي ﷺ، وهي كذب عليه باتفاق أهل المعرفة: يسمعها الجاهل بالحديث؛ فيصدق بها؛ لموافقة ظنه وهواه.

"وأصل الضلال" اتباع الظن والهوى،... (٢).

٢. التفرق والاختلاف:

الذي ذكره الله في كتابه في مواضع عدة، وذكره النبي ﷺ في غير ما حديث، وحذر منه غاية التحذير، وأخبر أنه الهلاك.

قال ابن كثير - رحمه الله: "وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة. وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والائتلاف.. إلى أن قال: وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضاً، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، فقد وقع ذلك في هذه الأمة، فافترقوا على ثلاث

(١) أخرجه النسائي في السنن الصغرى، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى، (٢٦٨/٣)، وابن ماجه في السنن، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، (٤٨٠/٣)، (٣٠٢٩)، وأحمد في المسند (٢١٥، ٣٤٧/١)، (٣٨٧/٣)، (٣٢٤٨)، (٣٢٤٨)، وقال شاكراً: إسناده صحيح، (٢٩٨/٥)، (٣٢٤٨)، أرنؤوط، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، عن عوف بن أبي جميلة حدثني زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس. وانظر: الألباني في الصحيحة برقم (١٢٣٨).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٨٣/٣-٣٨٤).

وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة، ومُسَلَّمة من عذاب الله، وهم الذين على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه" (١).

٣. الجهل:

إن الجهل داء عظيم، يوصل للضلالة، ويورد المهالك، وهو من أعظم أسباب انحراف الأمة عن المنهج الصحيح، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساً جُهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" (٢).

قال النووي - رحمه الله -: "هذا الحديث يبيّن أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه: أن يموت حَمَلَتُهُ، ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويُضلون" (٣).

والمراد بالعلم هنا: علم الكتاب والسنة، وهو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وبذا بهم يذهب العلم، وتموت السنن، وتظهر البدع، ويعم الجهل.

وأما علم الدنيا، فإنه في زيادة، وليس هو المراد في الأحاديث، بدليل قوله ﷺ: "فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا". والضلال إنما يكون عند الجهل بالدين.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٠٥/١).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (٣٦٩/١)، (١٠٠)، وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، (٤٧٦/٨)، (٢٦٧٣).

(٣) النووي، شرح مسلم، ط ١، (٤٧٨/٨).

والعلماء الحقيقون هم الذين يعملون بعلمهم، ويوجهون الأمة، ويدلونّها على طريق الحق والهدى" (١).

٤. اتباع الهوى:

اتباع الهوى هو أصل كل شر، وأساس كل بلوى، ومعتمد كل بدعة، وأصل الزيغ عن الصراط المستقيم (٢)، ولذلك فهو أشد وطأة من الجهل؛ لأن الجهل ميسور علاجه، وفي استطاعة من يتلبس به، وذلك بطلب العلم والتفقه في الدين، أما الهوى في أثناء طلب العلم، أو بعد تحصيله؛ فهو الآفة الخطيرة التي تحتاج إلى مجاهدة النفس وعلاج الداء.

ولخطورة الهوى وما يسببه من وقوع المرء في الشهوات والشبهات، حذّر السلف الصالح رضوان الله عليهم من أهل الأهواء....

وباتباع الهوى خرجت الخوارج، ورفضت الروافض، ونبتت الجهمية، وظهرت المعتزلة، وألحدت المرجئة، ونفت القدريّة، وضلت الجبرية، وتفرقت الأمة حتى صارت شيعاً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم يفرحون، فكم حرّف الهوى من شرائع، وبدّل من ديانات، وأوقع الإنسان في ضلال مبين (٣).

٥. تقديم العقل على النقل:

ومن أسباب الانحراف في هذه الأمة تقديم العقل، واعتماده مصدراً تشريعياً أعلى من كلام الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وهذا كحال بعض المنتسبين إلى الإسلام من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من

(١) الرحيلي، المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، م٣٥، ١١٩٤، ص ١٧٥.

(٢) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (١٧٩/٢).

(٣) الرحيلي، المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، م٣٥، ١١٩٤، ص ١٨١.

الفرق الضالة الذين تأثروا بكتب اليونان وعلومهم، وتبنوا أكثر أفكارهم، فما وافق العقل عندهم قبلوه، وما خالفه ردوه وطعنوا فيه.

قال ابن تيمية: "واعلم أنه ليس في العقل الصريح، ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريق السلفية أصلاً"^(١).

وقال: "والمقصود أن ما جاء عن النبي ﷺ في هذا الباب وغيره كله حق يصدق بعضه بعضاً، وهو موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة، والقصود الصحيحة، لا يخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، ولا الفطرة المستقيمة، ولا النقل الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ .

وإنما يظن تعارضها من صدق بباطل من النقول، أو فهم منه ما لم يدل عليه، أو اعتقد شيئاً ظنه من العقلية، وهو من الجهليات، أو من الكشوفات - وهو من الكشوفات - إن كان ذلك معارضاً لمنقول صحيح - وإلا عارض بالعقل الصريح أو الكشف الصحيح: ما يظنه منقولاً عن النبي ﷺ، ويكون كذباً عليه، أو ما يظنه لفظاً دالاً على شيء، ولا يكون دالاً عليه"^(٢).

٦. الابتداع في الدين:

لا شك أن الابتداع في الدين كان - ولا يزال - من أعظم الأسباب التي حادت بالأمة الإسلامية عن المنهج الصحيح، وكان من أهم العوامل التي قضت على وحدة المسلمين، وشتتت شملهم، حتى تفرق الناس شيعاً وأحزاباً.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٨/٥).

(٢) المصدر نفسه، (٥٨٠/٦).

قال الشاطبي: "ثم استمر تزايد الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ، ومن بعد موته، وأكثر قَرْن الصحابة رضي الله عنهم، إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة، وأصغوا إلى البدع المضلة"^(١).

وقال ابن تيمية: "فأما الانتساب الذي يفرق بين المسلمين، وفيه خروج عن الجماعة والائتلاف إلى الفرقة، وسلوك طريق الابتداع، ومفارقة السنة والاتباع؛ فهذا مما يُنهى عنه، ويأثم فاعله، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله ﷺ"^(٢).

قال الشاطبي - جامعاً أصول هذه الأسباب -: "وبهذا يظهر أن الخلاف - الذي هو في الحقيقة خلاف - ناشئ عن الهوى المضل، لا عن تحري قصد الشارع باتباع الأدلة على الجملة والتفصيل، وهو الصادر عن أهل الأهواء، وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه؛ حرصاً على الغلبة والظهور بإقامة العذر في الخلاف، وأدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء؛ لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها، وإنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق.

وإذا صار الهوى بعض مقدمات الدليل؛ لم ينتج إلا ما فيه اتباع الهوى، وذلك مخالفة الشرع"^(٣).

فذكر - رحمه الله - سبباً آخر غير ما تقدم، وجعله ناشئاً عن اتباع الهوى وهو:

٧. اتباع المتشابه:

فالهوى هو المقدم عند أهل الأهواء، فصدق من سماهم أهل الأهواء، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ﴾ [آل عمران: ٧]. فتدبر كيف جعل سبحانه الزيغ الذي في قلوبهم - وهو الهوى - موجبا لاتباع المتشابه.

(١) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (٥/١).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٥١٤/١١).

(٣) الشاطبي، الموافقات، ط ١، (٢٢١/٥).

قال الشاطبي: "ثم أخبر أن اتباع المتشابه منها شأن أهل الزيغ والضلال عن الحق، والميل عن الجادة، وأما الراسخون في العلم، فليسوا كذلك، وما ذاك إلا باتباعهم أم الكتاب وتركهم الاتباع للمتشابه"^(١).

وقال: "فأثبت لهم الزيغ أولاً - وهو الميل عن الصواب، ثم اتباع المتشابه"^(٢).

وذكر الشاطبي أيضاً سبباً آخر وهو:

٨. التصميم على اتباع العوائد، وإن فسدت، أو كانت مخالفة للحق:

فقال: "والثالث من أسباب الخلاف: التصميم على اتباع العوائد، وإن فسدت، أو كانت مخالفة للحق، وهو اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ وأشباه ذلك، وهو التقليد المذموم، فإن الله ذم بذلك في كتابه كقوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ حِثُّكُمْ بَأْهَدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ [الزخرف: ٢٢ - ٢٤]، وقوله: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء: ٧٢ - ٧٣]، فنبههم على وجه الدليل الواضح، فاستمسكوا بمجرد تقليد الآباء فقالوا: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٤]، وهو مقتضى الحديث المتقدم أيضاً في قوله: "اتخذ الناس رؤساء جهالاً..."^(٣) إلى آخره، فإنه يشير إلى الاستئناس بالرجال كيف كان ...

هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد، وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرس على معانيها بالظن من غير تثبت،..."^(٤).

(١) الشاطبي، الموافقات، ط ١، (١٤٥/٥).

(٢) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (١٤٣/١).

(٣) سبق تحريجه، ص ٨٣.

(٤) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (١٨٠/٢ - ١٨٢). باختصار.

الباب الثاني: الآيات المنهاجية في القرآن الكريم (١)

(من فاتحة الكتاب إلى سورة هود)

هذا الباب والبابان بعده هي لب هذه الرسالة، وأود ابتداء أن أنتوه إلى الأمور الآتية:

○ أن الآيات القرآنية المذكورة هي آيات تشتمل على المنهج بمعناه الخاص في جانبه العام، على ماتقدم بيانه وتفصيله، فأقتصر هنا على هذا النوع من الآيات.

○ أن كل آية من آيات القرآن عند التدبر فيها، يمكن أن تكون منهاجاً، وهذا يتناسب مع ما هو معلوم من طريقة القرآن الكلية، حتى في مواضع يكون فيها التفصيل، وذلك، كما قال الشاطبي: "تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كلي لا جزئي، وحيث جاء جزئياً؛ فمأخذه على الكلية إما بالاعتبار، أو بمعنى الأصل؛ إلا ما خصه الدليل مثل خصائص النبي ﷺ.

وبدل على هذا المعنى بعد الاستقراء المعتبر أنه محتاج إلى كثير من البيان؛ فإن السنة على كثرتها، وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب، كما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]"^(١).

فإذا كان الأمر كذلك؛ فالعناية هنا إنما هي بالآيات الظاهرة في ذلك - أي في كونها آيات دالة ومشملة على المنهاج النبوي الصحابي.

حتى إن الباحث بعد الانتهاء مما تم اختياره من تلك الآيات لتمر عليه آيات فيقول: هذه من تلك الآيات، فلم لم توضع هنا؟! لكن السلوى في ذلك أن هذه هي طبيعة التصنيف، وكم استدرك فلان على فلان!!!

○ أن جوانب المنهاج؛ كل جانب منها ربما لا يكفيه رسالة مستقلة؛ ولذا صُنف في هذا الشيء الكثير، لكن غرض الباحث من هذا البحث العناية بالآيات القرآنية العامة في اشتغالها على المنهج، مع فتح الأبواب للعناية بجوانب المنهاج الأخرى؛ لتكون العناية بهذه الآيات وتفسيرها بالسنة، وكلام الراسخين، هو الغرض الأعظم، بعيداً عن كثرة الكلام والحشو.

(١) الشاطبي، الموافقات، ط ١، (٤/١٨٠).

○ أن هذه الآيات هي عامة في جميع الجوانب، وهي الأساس لها، وهي تعبر عن المنهاج الذي هو المسلك والطريقة المتبعة، فهي آيات "المنهاج في جانبه المسلكي"، أو المنهاج في جانبه العلمي؛ فلا مشاحة.

○ ومما يدل على عمومها، وأنها أصول ما يذكره الشنقيطي بقوله في مثل هذه الآيات: وهذا المعنى الذي دلت عليه الآية قد جاء في آيات كثيرة، ثم يمثل لبعضها. وهكذا طريقة ابن تيمية، يجمع في الموضع الواحد الآيات الدالة على الأصول التي يقررها.

○ أن تفسير هذه الآيات سيكون إن شاء الله بما يتبين به المراد بالآية فقط من الناحية المنهجية، بما يمكن تسميته بـ "التفسير المنهجي"، وقد يطيل الباحث في بعضها، ويختصر في أخرى، وذلك بحسب المقام، ثم يُردف تفسير كل آية بذكر خلاصة تشتمل على الأصل المنهجي الذي تضمنته الآي؛ بحيث أنه يجمع في نهاية البحث أصول المنهاج في القرآن الكريم؛ مبينة بالسنة وأقوال السلف الراشدين، والله المستعان.

○ أن هناك علماء أئمة متميزين في بيان المنهاج؛ بحيث أن الواحد منهم يكفي كلامه في المنهاج وجوانبه ليكون رسالة مستقلة؛ حتى إن الباحث ليقول في نفسه: ليتني اقتصر على مثل كلام واحد منهم، لكن العناية بشمول البحث لكل كلام أئمة الإسلام أولى، وإن كان في ذلك جهد كبير، فالله المستعان وعليه التكلان.

ويخص الباحث من هؤلاء الأماجد: شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والشيخ عبد الرحمن السعدي، وغيرهم رحمهم الله تعالى.

○ يتم جعل هذه الآيات في ثلاثة أبواب؛ لكثرتها.

فالمقصود إذن بهذا النوع من الآيات هو: الآيات الدالة والمشملة على المنهاج بصفة عامة: كالآيات التي فيها ذكر الصراط المستقيم، والسبيل، ونحوها من الآيات الجوامع.

سورة الفاتحة

١. قول الله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

قال ابن جرير - رحمه الله -: " أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وكذلك ذلك في لغة جميع العرب.... والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى.... ثم تستعير العرب " الصراط " فتستعمله في كل قول وعمل وُصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه.

والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي - أعني: (اهدنا الصراط المستقيم)، أن يكونا معنيًا به: وفّقنا للثبات على ما ارتضيته، ووفّقنا له من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء؛ فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمر الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهج النبي ﷺ ومنهجا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وكل عبد لله صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم.

وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعنى بالصراط المستقيم، يشمل معاني جميعهم في ذلك ما اخترنا من التأويل فيه" (١).

فنص في كلامه على المنهاجية، ولكن قصّره الهداية على هداية التوفيق، وكذلك قصره التوفيق على الثبات؛ ليس بسديد؛ وهو ناشيء من قول من قال: إذا كانوا هُودوا؛ فما الفائدة في تحصيل الحاصل؟

والجواب: فيما قاله ابن القيم: "... ومن أحاط علما بحقيقة الهداية وحاجة العبد إليها؛ عَلم أن الذي لم يحصل له منها أضعاف ما حصل له، وأنه كل وقت محتاج إلى هداية متجددة؛

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (١/١٧٠-١٧١).

لاسيما والله تعالى خالق أفعال القلوب والجوارح؛ فهو كل وقت محتاج أن يخلق الله له هداية خاصة، ... فحاجته إلى هداية الله له مقرونة بأنفاسه وهي أعظم حاجة للعبد"^(١).

وقال ابن تيمية - أيضاً في الجواب على هذا السؤال -: "وأما سؤال من يقول: فقد هداهم فلا حاجة بهم إلى السؤال، وجواب من أجابه بأن المطلوب دوامها؛ كلام من لم يعرف حقيقة الأسباب وما أمر الله به؛ فإن الصراط المستقيم: أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا يفعل ما نهي عنه؛ وهذا يحتاج في كل وقت إلى أن يعلم ويعمل ما أمر به في ذلك الوقت وما نهي عنه، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل المأمور وكراهة جازمة لترك المحذور، فهذا العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد، بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدي به في ذلك الصراط المستقيم.....

والصراط المستقيم قد فسر بالقرآن وبالإسلام وطريق العبودية، وكل هذا حق؛ فهو موصوف بهذا وبغيره، ف"القرآن" مشتمل على مهمات وأمور دقيقة ونواهي وأخبار وقصص، وغير ذلك إن لم يهد الله العبد إليها فهو جاهل بها، ضال عنها، وكذلك "الإسلام" وما اشتمل عليه من المكارم والطاعات والخصال المحمودة، وكذلك "العبادة وما اشتملت عليه".

فحاجة العبد إلى سؤال هذه الهداية ضرورية في سعادته ونجاته وفلاحه..."^(٢).

وقال ابن كثير: "ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول...".

ثم ذكر بعض عباراتهم؛ فمنهم من قال: كتاب الله، ومنهم من قال: الإسلام، ومنهم من قال: الحق، ومنهم من قال: النبي ﷺ وصاحبه - ثم قال: "وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة؛ فإن من اتبع النبي ﷺ، واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد

(١) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط ١، (٨٣/١-٨٤).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٧/١٤-٤٠)، (٢٢/٤٠٠).

اتبع الحق، ومن اتبع الحق؛ فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام؛ فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدّق بعضها بعضاً، والله الحمد" (١).

وقال أبو العالية الرياحي - رحمه الله -: "تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يميناً وشمالاً، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقى بين أهلها العداوة والبغضاء" (٢).

وقال السمعاني - رحمه الله -: "وأما (الصراط المستقيم): قال علي، وابن مسعود: هو الإسلام. وقال جابر: هو القرآن. وأصله في اللغة: هو الطريق الواضح، والإسلام طريق واضح، والقرآن طريق واضح" (٣).

وقال البغوي - رحمه الله -: "والصراط المستقيم؛ قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: هو الإسلام، وهو قول مقاتل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هو القرآن. وروي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: "الصراط المستقيم كتاب الله"، وقال سعيد بن جبير - رحمه الله -: طريق الجنة. وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة. وقال بكر بن عبد الله المزني - رحمه الله -: طريق رسول الله ﷺ. وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصحابه. وأصله في اللغة الطريق الواضح" (٤).

وقال السعدي: "... وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط، واهدنا في الصراط.

فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان.

والهداية في الصراط: تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١/١٣٦-١٣٩). مختصراً.

(٢) ابن بطة، الإبانة، ط ٢، (١/٣٣٨). وأبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي، سبقت ترجمته، ص ٢٨.

(٣) السمعاني، تفسير القرآن، ط ١، (١/٣٨).

(٤) البغوي، معالم التنزيل، ط ١، (١/٥٤).

فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد؛ ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته؛ لضرورته إلى ذلك^(١).

وقال القاسمي - رحمه الله -: " (فائدة): الصراط المستقيم أصله الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ويستعار لكل قول أو عمل يبلغ به صاحبه الغاية الحميدة.

فالطريق الواضح للحسن، كالحق للعقل، في أنه: إذا سير بهما أبلغا السالك النهاية الحسنى^(٢).

وذكر ابن عطية - رحمه الله - معنى الصراط لغة، ونقل اختلاف العلماء في معناه اصطلاحاً، ثم قال: " ويجتمع من هذه الأقوال كلها أن الدعوة إنما هي في أن يكون الداعي على سنن المنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين في معتقداته، وفي التزامه لأحكام شرعه، وذلك هو مقتضى القرآن والإسلام، وهو حال رسول الله ﷺ وصاحبيه، ...^(٣).

وقال محمد رشيد رضا - رحمه الله -: " وقد قالوا: إن المراد بالصراط المستقيم، الدين، أو الحق، أو العدل، أو الحدود. ونحن نقول: إنه جملة ما يوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة من عقائد وآداب وأحكام وتعاليم^(٤).

وقال الراغب: " قوله: (الصَّراطُ الْمُسْتَقِيمُ) يقال: الصراط، والسرط، والزراط، والأصل من: سرطت الطعام، وزردته: إذا ابتلغته، وسمي الطريق بذلك؛ تصوراً أنه إما أن يبتلعه سالكه، أو يبتلع هو سالكه، ذلك ألا ترى أنه قيل: فلان أكلته المفازة - إذا أضمرته، أو أهلكته. وأكل المفازة - إذا قطعها - ...

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٣٩/١).

(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ط ١، (٢٣٥/١).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ط ١، (١٧٤/١).

(٤) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ط ١، (٥٤/١-٥٥).

وذلك قد تُصور على وجهين:

أحدهما: أنه إشارة إلى أن الطريق المستقيم "واحدة" بإضافتها إلى طرق الضلال، وطرق الضلال كثيرة، وعلى هذا النحو، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وروي أن النبي ﷺ قال: "ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داع يقول: "ادخلوا الصراط ولا تعوجوا"، ثم قال: "الصراط: الإسلام، والستور المرخاة: محارم الله. وذلك الداعي: "القرآن" (١).

وعلى هذا فُسر الآية. فقليل: الصراط المستقيم: القرآن. وقيل: الإسلام، وقيل: سنة النبي ﷺ، وهذا كله إشارة إلى شيء واحد وإن اختلفت العبارات.

والثاني: أن طريق النجاة بإضافة بعضها إلى بعض كثيرة، ولكن بعضها أقصد، وبعضها أبعد، وأقصد الطرق الطريق المستقيم" (٢).

من خلال ماتقدم نقله وتقريره؛ لعله لا توجد كلمة معبرة عن منهاج دين الإسلام مثل هذه الكلمة؛ ولذا دلنا عليها المولى الكريم أن تكون لب دعائنا في أفضل العبادات، في أعظم سورة في كتابه جل وعلا.

وليس فيما ذكره المفسرون من ذلك اختلاف؛ إذ الشأن كما قال الإمام الهمام ابن تيمية: "ينبغي أن يعلم أن الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين: "أحدهما " ليس فيه تضاد وتناقض؛ بل يمكن أن يكون كل منهما حقاً، وإنما هو اختلاف تنوع أو اختلاف في الصفات أو العبارات.

(١) أخرجه أحمد في المسند، (١٨٢/٤)، (١٨١/٢٩)، (١٧٦٣٣)، أرنؤوط، وقال الأرئؤوط: حديث صحيح، والحاكم في المستدرک، کتاب الإيمان، (١٤٤/١)، (٢٤٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، عن النواس بن سمعان. وللحديث مصادر أخرى.

(٢) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب، ط ١، (١/٦٣-٦٤).

وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب؛ فإن الله سبحانه إذا ذكر في القرآن اسماً مثل قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فكل من المفسرين يعبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته، وكل ذلك حق...

ومعلوم أن المسمى هو واحد، وإن تنوعت صفاته وتعددت أسمائه وعباراته^(١).

وذكر ابن القيم عشرين مسألة تتعلق بهذه الآية، ومنها: قال: "المسألة العشرون: وهي ما هو الصراط المستقيم؟ فنذكر فيه قولاً وجيزاً، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد:

وهو طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا: وهو إفراده بالعبودية، وإفراده برسوله بالطاعة، فلا يشرك به أحداً في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته؛ فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول....

وأما ما عدا هذا من الأقوال، كقول من قال: الصلوات الخمس، وقول من قال: حب أبي بكر وعمر، وقول من قال: هو أركان الإسلام الخمس التي بني عليها؛ فكل هذه الأقوال تمثيل وتنويع، لا تفسير مطابق له، بل هي جزء من أجزائه. وحقيقته الجامعة ما تقدم، والله أعلم^(٢).

وقد ظهر للباحث في ذلك قول جامع، أستعين الله في تقريره فأقول: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ⑤ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ⑥ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ⑦ [الفاتحة: ٢ - ٤] هذا فيه دعاء الشناء. وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ⑧ [الفاتحة: ٥] هذا فيه دعاء العبادة بنوعيها: الألوهية والربوبية. وقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑨ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑩ [الفاتحة: ٦ - ٧] هذا فيه دعاء المسألة. فكأنه - والله أعلم - أن الصراط المستقيم هو المذكور قبله، ألا وهو

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٨١/١٣ - ٣٨٢).

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ١، (٤٠/٢ - ٤١).

دعاء الشاء ودعاء العبادة، فمن حققهما كان على الصراط المستقيم، إلا أن هذا ليس معناه أن حصوله حتمي، بل لا بد من الدعاء به، فانتظم الصراط المستقيم هذه الأنواع الثلاثة من الدعاء، ولا غرو في ذلك؛ فإن دين الإسلام بجميع أصوله وفروعه إنما هو الدعاء بأنواعه الثلاثة المذكورة.

ثم ذكر سبحانه أصناف الناس تجاه المنهاج الذي هو الصراط المستقيم؛ بأن منهم من أنعم الله عليه فاستجاب، ومنهم من غضب الله عليه؛ إذ قد علمه لكن لم يعمل به، ومنهم من هو ضال يعمل على غير علم؛ فانتظمت فاتحة الكتاب المنهاج كله؛ فهي بحق السورة المنهاجية، والله تعالى أعلم.

ثم وجد الباحث ابن القيم قد صرح بهذا الذي وصلت إليه بقوله: "ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب؛ علّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم: توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته.

وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء، ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه، والإمام أحمد والترمذي.

أحدهما: حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: "سمع النبي ﷺ رجلا يدعو، ويقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فقال: والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى"^(١). قال الترمذي: حديث صحيح.

فهذا توسل إلى الله بتوحيده، وشهادة الداعي له بالوحدانية، وثبوت صفاته المدلول عليها باسم الصمد، وهو كما قال ابن عباس: "العالم الذي كمل علمه، القادر الذي كملت قدرته"،

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الصلاة، تفريع أبواب الوتر، (٢٥٣/٤)، (١٤٩٠)، وابن ماجه في السنن، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، (٣١٦/٤)، (٣٨٥٧)، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي، وانظر: الألباني في صحيح أبي داود، (١٣٤١).

وفي رواية عنه: "هو السيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد"^(١)، وقال أبو وائل: "هو السيد الذي انتهى سؤدده"^(٢)، وقال سعيد بن جبير: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأقواله"^(٣).

وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة، والتوسل بالإيمان بذلك، والشهادة به هو الاسم الأعظم.

والثاني: حديث أنس: "أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال: لقد سأل الله باسمه الأعظم"^(٤). فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته.

وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما التوسل بالحمد والثناء عليه وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أهم المطالب، وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين، فالداعي به تحقيق بالإجابة"^(٥).

وخلاصة ذلك الأصل: أن الصراط المستقيم هو ما أرسل الله به الرسول الخاتم محمداً ﷺ؛ لسعادة البشر: من اعتقاد صحيح، وشرعية قوية، وأن الناس انقسموا فيه إلى منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالين. وكل ما خالف الصراط المستقيم؛ فهو ضلال.

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان، ط ١، (٧٣٦/٢٤)، وانظر: موسوعة التفسير المأثور، (٦٨٥/٢٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان، (٧٣٥/٢٤)، ط ١، وانظر: موسوعة التفسير المأثور، (٦٨٦/٢٣).

(٣) انظر: موسوعة التفسير المأثور، ط ١، (٦٨٦/٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الصلاة، تفريع أبواب الوتر، (٢٥٤/٤)، (١٤٩٢)، وابن ماجه في السنن، كتاب

الدعاء، باب فضل الدعاء، (٣١٧/٤)، (٣٨٥٨)، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي، وانظر: الألباني، في صحيح

أبي داود، (١٣٤٢)، وفي الصحيحة، (٣٤١١).

(٥) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٤٧/١-٤٨).

سورة البقرة

٢. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا أَلْخِرَةَ هُمْ يُؤْمِنُونَ ۝١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا أَلْخِرَةَ هُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٤ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ١ - ٥].

فالقرآن هو كتاب الحق واليقين، وهو كتاب الهدى والفلاح؛ هداية دلالة لكل الناس، وهداية دلالة وتوفيق للمتقين، وقد ذكر الله تعالى في هذه الآيات أصول الهداية، وأن من جاء بها هم الذين على هدى الرب سبحانه، وأنهم هم المفلحون.

قال السعدي: "فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين المنزل للشك والريب، وهذه قاعدة مفيدة، أن النفي المقصود به المدح، لا بد أن يكون متضمنا لصدده، وهو الكمال؛ لأن النفي عدم، والعدم المحض، لا مدح فيه.

فلما اشتمل على اليقين، وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين؛ قال: (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) والهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة...

ثم وصف المتقين بالعقائد والأعمال الباطنة، والأعمال الظاهرة؛ لتضمن التقوى لذلك....

وأى هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة، والأعمال المستقيمة، وهل الهداية الحقيقية إلا هدايتهم، وما سواها مما خالفها، فهو ضلالة"^(١).

وقد أطل - رحمه الله - في بيان هذا الموضوع؛ لأنه تأصيل للمنهاج، وأساس لكل ما سيذكر بعد ذلك؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة؛ ولذلك ذكر سبحانه بعد ذلك أصناف المنحرفين عن سبيل الهداية، وهم الكفار والمنافقون.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٤٠).

ولما كان الضرر بالمنافقين أعظم، وفسادهم أكبر؛ ذكرهم الله تعالى في أول هذه السورة في ثلاث عشرة آية، كما ذكر ابن كثير عن مجاهد قال: "أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين"^(١).

وقد كان وقع في خاطر الباحث أن أول هذه السورة فيه بيان للصرط المستقيم المذكور في سورة الفاتحة، حتى وجدت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ذكر ذلك في كلام ما أبلغه في تقرير المنهاج، فقال: "وإنما دين الله ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، وهو الصراط المستقيم، وهو طريقة أصحاب رسول الله ﷺ، خير القرون، وأفضل الأمة، وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فرضي عن السابقين الأولين رضا مطلقا، ورضي عن التابعين لهم بإحسان.

وقد قال النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: "خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"^(٢).

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: "من كان منكم مستنأ؛ فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب رسول الله ﷺ أبر هذه الأمة قلوبا وأعماقها علما وأقلها تكلفا؛ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"^(٣).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١/١٧١).

وأثر مجاهد أخرجه الطبري في جامع البيان، (١/٢٤٠)، شاكر، وغيره، وإسناده صحيح، كما في الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور، (١/١٠١).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، (١٠٣/٧)، (٢٦٥١، ٢٦٥٢)، ومسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، (٨/٣٢٤-٣٢٦)، (٢٥٣٣)، (٢٥٣٤)، (٢٥٣٥).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم، ط ٦، (٢/٩٤٧)، (١٨١٠) والهروي في ذم الكلام، (٤/٢٨٨)، (٧٤٦)، وإسناده فيه ضعيف وانقطاع، وروي نحو هذا الأثر عن الحسن البصري عن ابن عمر في الحلية (١/٣٠٥-٣٠٦)، =

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: "يا معشر القراء استقيموا، وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن اتبعتموهم؛ لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن أخذتم يمينا وشمالا؛ لقد ضللتهم ضلالا بعيدا"^(١).

وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "خط لنا رسول الله ﷺ خطأ وخط حوله خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال: هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]"^(٢).

وقد أمرنا سبحانه أن نقول في صلاتنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ② [الفاتحة: ٦ - ٧]. وقال النبي ﷺ: "اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون"^(٣).

وذلك أن اليهود عرفوا الحق، ولم يتبعوه. والنصارى عبدوا الله بغير علم.

ولهذا كان يقال: تعوذوا بالله من فتنه العالم الفاجر والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون؛ وقال تعالى: ﴿فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ③ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ

=ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن الحسن (١٨٠٧) وفيه: "... فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ...". وانظر تحت الصحيحة، (٢٦٤٨)، وهداية الرواة، (١٩١).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (٥٩/١٧)، (٧٢٨٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، (١٥٦/٤)، شاكر، وابن ماجه في السنن، المقدمة، باب اتباع رسول الله ﷺ، (٣٠/١)،

(١١)، والدارمي في السنن، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (٧٨/١)، (٢٠٢)، وابن حبان في الصحيح، المقدمة،

باب ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ وحفظه نفسه عن كل من يأبأها من أهل البدع وإن

حسنوا ذلك في عينه وزينوه، (١٤٦/١)، (٦)، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، آخر سورة الأنعام، وقال: هذا

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الألباني: حسن صحيح، كما في التعليقات الحسان، (٦).

(٣) أخرجه الترمذي. كتاب التفسير. باب ومن فاتحة الكتاب، (٢٠١/٥)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني.

ذَكَرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿١٢٣﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية" (١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٣) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٤) ﴿ٱلْبَقَرَةُ: ١ - ٥﴾، فأخبر أن هؤلاء مهتدون مفلحون، وذلك خلاف المغضوب عليهم والضالين" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن القرآن هو كتاب الهداية والحق؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال!

٣. قوله تعالى: ﴿فَإِن ۤءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَا ۤءَآمَنْتُمْ بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوْا۟ وَإِن تَوَلَّو۟ا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَآقٍۭ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (١٣٧) ﴿ٱلْبَقَرَةُ: ١٣٧﴾.

قال السعدي: "أي: فإن آمن أهل الكتاب (بمثل ما آمنتم به) - يا معشر المؤمنين - من جميع الرسل، وجميع الكتب، الذين أول من دخل فيهم، وأولى؛ خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ، والقرآن، وأسلموا لله وحده، ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله؛ (فَقَدِ اهْتَدَوْا) للصراط المستقيم، الموصل لجنات النعيم - أي: فلا سبيل لهم إلى الهداية، إلا بهذا الإيمان، لا كما زعموا بقولهم: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ (البقرة: ١٣٥)، فزعموا أن الهداية خاصة بما كانوا عليه. و"الهدى": هو العلم بالحق، والعمل به، وضده الضلال عن العلم والضلال عن العمل بعد العلم، وهو الشقاق الذي كانوا عليه، لما تولوا وأعرضوا، فالمشاق: هو الذي يكون في شق والله ورسوله في شق" (٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن الهداية لا تكون هداية حتى تكون مثل ما كان عليه السلف.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، (٣٨٩/١٨) من وجهين: عن عكرمة، وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس، ولا يصح مرفوعاً، وانظر: الضعيفة للألباني برقم (٤٥٣١).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٢٦/٣-١٢٨).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦٨/١).

٤. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالله يشهد على رسوله ﷺ، ورسوله ﷺ يشهد على هذه الأمة الوسط، وهم يشهدون على الناس؛ فهم الميزان والمنهاج؛ لأن ما هم عليه يرجع إلى الرسول، الذي يرجع ما هو عليه إلى الله تعالى.

وقد سبق هذه الآية قوله تعالى في الآية قبلها: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

والمعنى: كما هداكم الله تعالى إلى الصراط المستقيم؛ كذلك جعلكم أمة وسطا؛ فلا يكون عدلاً خياراً ميزاناً منهاجاً؛ إلا من هداه الله إلى صراطه المستقيم.

قال السعدي: "(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) - أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط، فأطراف داخلية تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطاً في كل أمور الدين...." (١).

وقال ابن تيمية: "... وهذا؛ لأن الصراط المستقيم في كل الأمة بمنزلة الصراط في الملل، فكمال الإسلام هو الوسط في الأديان والملل، كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)، ولم ينحرفوا انحراف اليهود والنصارى والصابئين.

فكذلك أهل الاستقامة، ولزوم سنة رسول الله ﷺ، وما عليه السلف، تمسكوا بالوسط، ولم ينحرفوا إلى الأطراف....

وهكذا أهل الاستقامة في الإسلام المعتصمون بالحكمة النبوية، والعصبة الجماعية، متوسطون:

في باب التوحيد والصفات: بين النفاة المعطلة وبين المشبهة الممثلة.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٧٠).

وفي باب القدر والعدل والأفعال: بين القدرية الجبرية والقدرية المجوسية.

وفي باب الأسماء والأحكام: بين من أخرج أهل المعاصي من الإيمان بالكلية، كالخوارج وأهل المنزلة، وبين من جعل إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والصديقين والمرجئة والجهمية.

وفي باب الوعد والثواب والوعيد والعقاب: بين الذين لا يقولون بشفاعة نبينا لأهل الكبائر، وبين المرجئة الذين يقولون بنفوذ الوعد.

في باب الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: بين الذين يوافقون الولاة على الإثم والعدوان، ويركنون إلى الذين ظلموا، وبين الذين لا يرون أن يعاونوا أحداً على البر والتقوى، لا على جهاد ولا جمعة ولا أعياد إلا أن يكون معصوماً، ولا يدخلون فيما أمر الله به ورسوله إلا في طاعة من لا وجود له....

فهم وسط في عامة الأمور؛ ولهذا وصفهم النبي ﷺ بأنهم الطائفة الناجية، لما ذكر اختلاف أمته واقترافهم^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن أعظم ما يميز المنهاج الوسطية، التي هي لزوم الصراط المستقيم.

٥. قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا ۖ فَاسْتَسْقُوا الْخَيْرَاتِ ۖ إِنَّمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

قال السعدي: "– أي: كل أهل دين وملة، له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل، من جهة إلى جهة، ولكن الشأن، كل الشأن، في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه،..."^(٢).

(١) ابن تيمية، حقوق آل البيت، ط ١، ص ٤١-٤٤. وقوله: "بمنزلة الصراط في الملل" لعله: "بمنزلة الإسلام في الملل".

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٧٢/١).

قال ابن كثير: " وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [المائدة: ٤٨]. "(١).

وخلاصة هذا الأصل: الثقة بالمنهاج والعمل به، وعدم الانشغال بانحراف المنحرفين، إلا بمقدار بيان انحرافاتهم؛ لتُحذر.

٦. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

هذا تحذير من الانحراف عن المنهاج؛ باتباع خطوات الشيطان.

قال ابن كثير: " ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، وهي: طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه "(٢).

وقال السعدي: " لما أمرهم باتباع ما أمرهم به - إذ هو عين صلاحهم - نهاهم عن اتباع (خُطُواتِ الشَّيْطَانِ) - أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر، وفسوق، وظلم،

فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده، ويبدلون مكرهم وخداعهم، على إغواء الخلق بما يقدرون عليه.

وأما الله تعالى، فإنه يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى؛ فليُنظر العبد نفسه، مع أي الداعيين هو، ومن أي الحزبين؟ "(٣).

وخطوات الشيطان وطرقه تعود إلى صنفين: الشهوات والشبهات.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٦٣/١).

(٢) المصدر نفسه، (٤٧٨/١).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٨٠/١).

أما الشهوات، فهي المعاصي، وهي - على خطورتها - أهون من الشبهات؛ لأن المعاصي يتاب منها، بخلاف الشبهات؛ فإن صاحبها يعتقد أنها صواباً؛ فلا يتوب منها إلا بهداية؛ ولذا جاءت عبارات السلف في التحذير من ذلك كثيرة شديدة؛ وما ذلك إلا للخطورة البالغة في ذلك على دين المرء.

وما أحسن ما ذكر ابن بطة من بابين^(١)، ذكر أنهما هما السبب في انحراف من انحرف: باب ترك السؤال عما لا يعني والبحث والتنقيب عما لا يضر جهله، والتحذير من قوم يتعمقون في المسائل، ويتعمدون إدخال الشكوك على المسلمين. والباب الآخر: باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب، ويفسدون الإيمان. وما ذلك إلا لأنها من خطوات الشيطان.

وخلاصة هذا الأصل: الحذر من السبل المخالفة للمنهاج، وهي خطوات الشيطان وطرقه.

٧. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهذه الآية هي جماع الدين، كما قال ابن تيمية^(٢).

قال السعدي: "...لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير، تضمناً ولزوماً، لأن الوفاء بالعهد، يدخل فيه الدين كله، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها، كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون"^(٣).

(١) ابن بطة، الإبانة، ط ٢، الباب الأول، (١/٣٩٠)، والباب الثاني، (٢/٤٢٦).

(٢) ابن تيمية، أمراض القلوب وشفائها، ط ٢، ص ٤٠.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٨٣).

وقال ابن كثير: "اشتملت هذه الآية الكريمة، على جمل عظيمة، وقواعد عميمة، وعقيدة مستقيمة"^(١).

وقال أيضا: "وقال الثوري: (ولكن البر من آمن بالله) الآية، قال: هذه أنواع البر كلها. وصدق - رحمه الله؛ فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله"^(٢).

وشرح ابن عاشور أصول هذه الآية وفروعها، ثم قال: "فلله هذا الاستقراء البديع الذي يعجز عنه كل خطيب وحكيم غير العلام الحكيم.

وقد جمعت هذه الخصال جماع الفضائل الفردية والاجتماعية الناشئ عنها صلاح أفراد المجتمع من أصول العقيدة وصالحات الأعمال...."^(٣).

وقال ابن القيم: "فتناولت هذه الخصال جميع أقسام الدين: حقائقه، وشرائعه، والأعمال المتعلقة بالجوارح والقلب، وأصول الإيمان الخمس. ثم أخبر سبحانه عن هذا أنها هي خصال التقوى بعينها، فقال: (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)"^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن من أتى بجماع البر، باستقامته على المنهاج؛ فهو الصادق المتقي.

٨. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فيه الاستجابة لمنهاج الحق، بالعمل به واعتقاده، وهذا هو سبيل الرشاد.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٨٥/١).

(٢) المصدر نفسه، (٤٨٦/١).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (١٣٢/٢).

(٤) ابن القيم، الرسالة التبوكية، ط ١، ص ١٢-١٣.

قال ابن القيم: "لما كان في القلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب؛ كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه، ويعود عليه بصلاحه وسعادته.

فكماله باستعمال قوة العلم في إدراك الحق، ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل، وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل.

فمن لم يعرف الحق؛ فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره عليه؛ فهو مغضوب عليه. ومن عرفه واتبعه؛ فهو مُنعمٌ عليه.... وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في غير موضع من كتابه:

فمنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. فجمع سبحانه بين الاستجابة له والإيمان به.

ومنها قوله عن رسوله ﷺ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ثم ذكر مواضع: كآيات من أول البقرة، وآية البر الجامعة [البقرة: ١٧٧]، وسورة العصر، ثم قال:

فأقسم سبحانه وتعالى بالدهر الذي هو زمن الأعمال الراجعة والخاسرة، على أن كل واحد في خسر، إلا من كَمَّل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالعمل بطاعته؛ فهذا كماله في نفسه، ثم كَمَّل غيره بوصيته له بذلك، وأمره إياه به، وبملاك ذلك، وهو الصبر.

فكَمَّل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وكَمَّل غيره بتعليمه إياه ذلك، ووصيته له بالصبر عليه، ولهذا قال الشافعي رحمه الله: "لو فكر الناس في سورة والعصر؛ لكفتهم"^(١).

(١) ذكره ابن تيمية في الاستقامة، ص ٤٨٢، وابن كثير في التفسير، (١/ ٢٠٥) بنحوه، وكذا ابن القيم في كنهه، وغيرهم. ولم أقف على إسناده، وإن كان الشيخ حماد الأنصاري ذكر أن البيهقي رواه في كنهه، ولم أجده.

وهذا المعنى فى القرآن فى مواضع كثيرة: يخبر سبحانه أن أهل السعادة هم الذين عرفوا الحق واتبعوه، وأهل الشقاوة هم الذين جهلوا الحق وضلوا عنه، أو علموه وخالفوه واتبعوا غيره" (١).

فدل ذلك على أن هذه الآية من جملة الآيات المنهاجية.

وخلاصة هذا الأصل: أن طريق الرشاد هو الاستجابة لمنهاج الحق، باعتقاده والعمل به.

٩. قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قال السعدي: "... ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي فى كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً:

فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر فى حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه.

والمتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده.

وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه؛ فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن البر هو تقوى الله، لكن تؤتى التقوى من أبوابها، بأن تكون موافقة للسنة.

١٠. قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ط ١، (١/٢٤-٢٥).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٨٨).

قال ابن عاشور: "وفي الأمر بالإحسان بعد ذكر الأمر بالاعتداء على المعتدي، والإنفاق في سبيل الله، والنهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة؛ إشارة إلى أن كل هاتِه الأحوال يلابسها الإحسان ويحف بها"^(١).

قال السعدي: "والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين: ترك ما أمر به العبد، إذا كان تركه موجباً أو مقارباً لهلاك البدن أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة،..."^(٢).

وما أحسن ما صحح به أبو أيوب الأنصاري فهم الناس لهذه الآية!

قال الألباني - رحمه الله -: "واعلم أن هذا التكثر المفضي إلى الانصراف عن القيام بالواجبات التي منها الجهاد في سبيل الله هو المراد بالتهلكة المذكورة في قوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وفي ذلك نزلت الآية؛ خلافاً لما يظن كثير من الناس! فقد قال أسلم أبو عمران: "غزونا من المدينة، نريد القسطنطينية، (وعلى أهل مصر عقبة بن عامر) وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بجائط المدينة، فحمل رجل منا على العدو، فقال الناس: مه مه! لا إله إلا الله! يلقي بيديه إلى التهلكة!"

فقال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: "إنما تأولون هذه الآية هكذا؛ أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة، أو يبلي من نفسه! إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا بيننا خفياً من رسول الله ﷺ: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢/٢١٦).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٩٠).

نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. قال أبو عمران: " فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية"^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن ترك القيام بدين الله هلاك وإساءة.

١١. قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال ابن تيمية: " والمقصود أن الله أمر بالدخول في جميع الإسلام،...؛ فكل ما كان من الإسلام وجب الدخول فيه؛ فإن كان واجباً على الأعيان؛ لزمه فعله، وإن كان واجباً على الكفاية؛ اعتقد وجوبه وعزم عليه إذا تعين، أو أخذ بالفضل ففعله، وإن كان مستحباً اعتقد حسنه وأحب فعله"^(٢).

وقال ابن كثير: " يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك....

وقوله: (كافة) قال ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، والربيع، والسدي، ومقاتل بن حيان، وقتادة والضحاك: جميعاً، وقال مجاهد: أي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر"^(٣).

(١) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط ١، (٤٦/١-٤٧). والحديث الذي ذكره أخرجه أبوداود في السنن، كتاب الجهاد، باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، (١٣٥/٧)، (٢٥٠٩)، والحاكم في المستدرک (٢٧٥)، وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. قال الألباني: وقد وهما، فإن الشيخين لم يخرجوا لأسلم هذا، فالحديث صحيح فقط / الصحيحة، (١٣)، وصححه أيضاً في صحيح أبي داود، (٢٢٦٩).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٦٦/٧-٢٦٧).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٥٦٥/١).

وقال السعدي: " هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا (في السلم كافة) - أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين، ... " (١).

وخلاصة هذا الأصل: العمل بالإسلام كله، ولا يكونوا كاليهود، كما قال تعالى فيهم: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥]، ولا يتم العمل بالإسلام كله إلا بترك طرق الشيطان كلها، التي هي الأهواء.

١٢. قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن عاشور: " فالمعنى أن الإسلام هدى إلى شريعة تجمع الناس كلهم؛ تبييناً لفضيلة هذا الدين واهتداءً أهله إلى ما لم يهتد إليه غيرهم، مع الإشارة إلى أن ما تقدمه من الشرائع تمهيد له وتأسيس به " (٢).

فبعث الرسل يكون على حين اختلاف الناس؛ ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، فيهدي الله بهم من شاء هدايته إلى الحق الذي ضل عنه غيرهم، فقد جاء عن ابن عباس: " كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق؛ فاختلفوا؛ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا) " (٣).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٩٤).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢/٣٠٠).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان، (٢/١٩٤)، والحاكم في المستدرک، (٢/٥٤٦-٥٤٧)، وقال: "صحيح على شرط البخاري". ووافقه الذهبي. والمدة المذكورة فيه قد جاءت مرفوعة عن النبي ﷺ في حديث رواه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب سورة الشورى، (٢/٢٦٢)، والطبراني في الكبير، (٨/١١٨)، (٥٤٥/٧)، عن أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة، (٣٢٨٩)، وقواه بأثر ابن عباس المذكور، فقال: فإنه وإن كان موقوفاً رواية؛ فهو مرفوع دراية؛ فإنه في تفسير قوله تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) [البقرة: ٢١٣]، =

قال الألباني: " وفيه فائدة هامة؛ وهي أن الناس كانوا في أول عهدهم أمة واحدة على التوحيد الخالص، ثم طرأ عليهم الشرك؛ خلافاً لقول بعض الفلاسفة والملاحدة؛ أن الأصل فيهم الشرك ثم طرأ عليهم التوحيد! ويبطل قولهم هذا الحديث وغيره"^(١).

وقال ابن تيمية: " وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة البقرة: ٢١٣]، يعني: فاختلفوا، كما في سورة يونس، وكذلك في قراءة بعض الصحابة. وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين: أنهم كانوا على دين الإسلام. وفي تفسير عطية عن ابن عباس: أنهم كانوا على الكفر. وهذا ليس بشيء. وتفسير عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس، بل قد ثبت عنه أنه قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.

وقد قال في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩] فدمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد؛ فعلم أنه كان حقاً"^(٢).

وهكذا كلما كان الناس يختلفون في الدين يرسل الله الرسل؛ ليبينوا للناس الحق الذي اختلفوا فيه، فيطيعهم من اهتدى، ويعصيه من ضل، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وقال السعدي: " (وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) وهو الإخبارات الصادقة، والأوامر العادلة، فكل ما اشتملت عليه الكتب، فهو حق، يفصل بين المختلفين في الأصول والفروع، وهذا هو الواجب عند الاختلاف والتنازع، أن يُردَّ الاختلاف إلى الله وإلى رسوله، ولولا أن في كتابه، وسنة رسوله، فصل النزاع؛ لما أمر بالرد إليهما..."^(٣).

=وبخاصة أنه من رواية ترجمان القرآن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما-، وفيه ما يؤكد رفعه، وهو قوله: " وكذلك هي في قراءة عبد الله..." يعني: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(١) الألباني، السلسلة الصحيحة، ط ١، (٨٥٤/٧).

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (٢٥٦/٥-٢٥٧). وعطية هو: عطية العوفي.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٩٤/١-٩٥).

وخلاصة هذا الأصل: أن الهداية إلى الصراط المستقيم، والمنهاج القويم لا تحصل إلا بتوفيق الله، واتباع المرسلين وما جاءوا به من كتب الله.

١٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢١٨) [البقرة: ٢١٨].

قال ابن القيم: "ولا يتم الجهاد إلا بالهجرة، ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان، والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة"^(١).

وقال السعدي: "هذه الأعمال الثلاثة، هي عنوان السعادة وقطب رحي العبودية، وبها يعرف ما مع الإنسان، من الربح والخسران.... فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على لأوائها ومشقتها؛ كان لغيرها أشد قياماً به وتكميلاً؛ فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله؛ لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة"^(٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن أصول المنهاج: الإيمان والهجرة والجهاد.

(١) ابن القيم، زاد المعاد، ط ٢٧، (١٠/٣).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٩٨/١).

سورة آل عمران

١٤. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

قال محمد بن عبد الوهاب: "القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ، كالرافضة والخوارج: قال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ)، والواجب على المسلم اتباع المحكم، وإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)"^(١).

وذكر الشاطبي أن أخذ الأدلة على الأحكام يقع على وجهين:

أحدهما: أن يكون الدليل هو الحاكم على الواقعة، فتعرض عليه الواقعة لتكون على وفق ما أعطى الدليل من الحكم، وهذا هو منهج السلف في الاستدلال.

والآخر: أن تكون الواقعة هي الحاكمة على الدليل؛ فيعرض الدليل عليها؛ لتنزيهه على وفق الهوى، وهذا هو شأن الزائغين.

فقال: "ويظهر هذا المعنى من الآية الكريمة: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) [آل عمران: ٧]؛ فليس مقصودهم الاقتباس منها، وإنما مرادهم الفتنة بها بهوهم؛ إذ هو السابق المعتبر، وأخذ الأدلة فيه بالتبع؛ لتكون لهم حجة في زيغهم.

(والراسخون في العلم) ليس لهم هوى يقدمونه على أحكام الأدلة؛ فلذلك (يقولون آمنا به كل من عند ربنا)، ويقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، فيتبرؤون إلى الله مما ارتكبه أولئك الزائغون؛ فلذلك صار أهل الوجه الأول محكمين للدليل على أهوائهم، وهو أصل

(١) ابن عبد الوهاب، أربع قواعد، د. ط، ص ٤.

الشرعية؛ لأنها إنما جاءت لتخرج المكلف عن هواه حتى يكون عبداً لله، وأهل الوجه الثاني يحكمون أهواءهم على الأدلة؛ حتى تكون الأدلة في أخذهم لها تبعاً^(١).

وقال أيضاً: "وقد جاء في الحديث تفسيرها، فصح من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾؛ قال: "إذا رأيتم فاعرفيهم"^(٢).

وصح عنها أنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم"^(٣).

وهذا التفسير مبهم، ولكنه جاء في رواية عن عائشة أيضاً قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ الآية، قال: "فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه؛ فهم الذين عنى الله؛ فاحذروهم"^(٤).

وهذا أبين؛ لأنه جعل علامة الزيغ الجدل في القرآن. وهذا الجدل مقيد باتباع المتشابه.

فإذن الذم إنما لحق من جادل فيه بترك المحكم، وهو أم الكتاب ومعظمه، والتمسك بمتشابهه، ولكنه بعد مفترق إلى تفسير أظهر.... ثم ذكر أحاديث فيها بيان أن أهل الزيغ هم أهل البدع.... ثم قال: وذكر الآجري عن طائوس قال: ذكر لابن عباس الخوارج وما يصيبهم عند قراءة

(١) الشاطبي، الموافقات، ط ١، (٢٩٠/٣-٢٩١).

(٢) رواه الترمذي في السنن، كتاب التفسير، باب: ومن سورة آل عمران، (٢٢٢/٥)، (٢٩٩٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، (٨٦/١٠)، (٤٥٤٧)، ورواه مسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن، (٤٦٩/٨)، (٢٦٦٥).

(٤) بهذا اللفظ، أخرجه سعيد بن منصور في السنن، التفسير، (٤٩٢)، واستوفى محققه سعد الحميد الكلام عليه هناك، مصححاً هذا اللفظ أيضاً.

القرآن، فقال: "يؤمنون بحكمه، ويضلون عند متشابهه، وقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾" (١).

فقد ظهر بهذا التفسير أنهم أهل البدع؛ لأن أبا أمامة رضى الله عنه جعل الخوارج داخلين في عموم الآية، وأنها تنزل عليهم، وهم من أهل البدع عند العلماء: إما على أنهم خرجوا ببدعتهم عن أهل الإسلام، وإما على أنهم من أهل الإسلام لم يخرجوا عنهم على اختلاف العلماء فيهم، وجعل هذه الطائفة ممن في قلوبهم زيغ؛ فزيغ بهم، وهذا الوصف موجود في أهل البدع كلهم" (٢).

وقال ابن القيم: "قال أبو الوليد ابن رشد المالكي في كتابه المسمى بـ"الكشف عن مناهج الأدلة"، وقد ذكر التأويل وجنابته على الشريعة، إلى أن قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]: هؤلاء أهل الجدل والكلام، وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيرا مما ظنوه ليس على ظاهره، وقالوا: إن هذا التأويل هو المقصود به، وإنما أمر الله به في صورة المتشابه؛ ابتلاء لعباده واختبارا لهم.

ونعوذ بالله من سوء الظن بالله، بل نقول: إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجزاً من جهة الوضوح والبيان، فما أبعد من مقصد الشارع من قال فيما ليس بمتشابه: إنه متشابه، ثم أول ذلك المتشابه بزعمه، وقال لجميع الناس: إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل، مثل ما قالوه في آية الاستواء على العرش، وغير ذلك مما قالوا: إن ظاهره متشابه، ثم قال: وبالجمل، فأكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها المقصود من الشرع - إذا تأملت - وجدت ليس يقوم عليها برهان" (٣).

(١) أخرجه الآجري في الشريعة، (٤٧)، وإسناده صحيح.

(٢) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (٥٣/١-٥٥).

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (٤/١٩٤-١٩٥).

وابن رشد المذكور هو ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (٥٢٠-٥٩٥هـ)، وكتابه الكشف عن مناهج الأدلة كتاب في نقد علم الكلام، والرد على الأشاعرة والمعتزلة، وما نقله ابن القيم ههنا موجود فيه ص ١٨٠-١٨٢، وقد نقله عنه أيضا ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل، (٢١٩/٦-٢٢٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن من أصول منهاج الحق ترك اتباع المتشابه.

١٥ . قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد"^(١)؛ ولهذا قال: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله).... وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)"^(٢).

وقال السعدي: "وعلاوة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن....

وبهذه الآية يوزن جميع الخلق.

فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول؛ يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص"^(٣).

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في الصحيح، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (٢٥٧/٦)، (١٧١٨)، والبخاري في الصحيح معلقاً، كتاب البيوع، باب النجش، (١٧٦/٦)، وكتاب الاعتصام، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ - خلاف الرسول - من غير علم؛ فحكمه مردود، (١٦١/١٧).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٢/٢).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١١٢٨).

وقال ابن تيمية: " فكل من ادعى أنه يحب الله، ولم يتبع الرسول؛ فقد كذب؛ ليست محبته لله وحده، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك، وإنما يتبع ما يهواه، كدعوى اليهود والنصارى محبة الله، فإنهم لو أخلصوا له المحبة؛ لم يحبوا إلا ما أحب، فكانوا يتبعون الرسول" (١).

وقال أيضا: " قال الحسن البصري رحمه الله: ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية؛ محنة لهم.

وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول؛ فإن الله يحبه. ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ؛ فليس من أولياء الله، وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء الله، ولا يكونون من أولياء الله" (٢).

وقال ابن القيم: "...، فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله، وشرطاً لمحبة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحقيقه؛ فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة، فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم، فيستحيل - إذن - ثبوت محبتهم لله، وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله...." (٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن برهان محبة الله هو اتباع رسوله.

١٦. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

قال السعدي: "- أي: عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله (صراط مستقيم) موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم" (٤).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١٠/٨١).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١١/١٦٣).

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (١/١١٩-١٢٠).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/١٣١).

فهذه الآية مثل ترتيب فاتحة الكتاب؛ بدأت بالربوبية؛ لتكون برهاناً على الألوهية والتوحيد، وهذا هو الصراط المستقيم المسؤول من الله تعالى الهداية إليه، فهذا يبين صحة ما ذكرته في ترتيب فاتحة الكتاب، والله الموفق.

وخلاصة هذا الأصل: أن الصراط المستقيم هو تحقيق العبودية لرب العالمين.

١٧. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُدًى لِّلْغَىٰ ۖ وَلَئِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ لَلْغَىٰ ۖ فَمَا لَهُ مِنْ حَافِظٍ ۚ﴾ [آل عمران: ٧٣]. ونظيرتها التي في البقرة ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَلَئِنَّ آتَابِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝﴾ [البقرة: ١٢٠]، والتي في الأنعام: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُدًى لِّلْغَىٰ ۖ وَلَئِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ لَلْغَىٰ ۖ فَمَا لَهُ مِنْ حَافِظٍ ۚ﴾ [الأنعام: ٧١].

الأولى: في سياق ضلال أهل الكتاب في مقاتلتهم التي قالوها، والثانية: في التحذير من اتباع أهوائهم، والثالثة: في حيرة من ترك الهدى.

قال السعدي - في الآية الأولى -: "وأما هذه الأمة فقد حصل لهم - والله الحمد - من هداية الله من العلوم والمعارف مع العمل بذلك ما فاقوا به وبرزوا على كل أحد، فكانوا هم الهداة الذين يهدون بأمر الله، وهذا من فضل الله عليها وإحسانه العظيم"^(١).

وقال - في الآية الثانية -: "فهذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم"^(٢).

وقال - في الآية الثالثة -: "وقوله: (قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُدًى لِّلْغَىٰ ۖ) ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله، وما عداه، فهو ضلال وردى وهلاك"^(٣).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/١٣٤).

(٢) المرجع نفسه، (١/٦٤).

(٣) المرجع نفسه، (١/٢٦١).

فتبين من هذا أن موضعي البقرة والأنعام أكثر تأكيداً من موضع آل عمران، وذلك؛ لأن فيهما التحذير من أهواء المخالفين.

وخلاصة هذا الأصل: أن هدى الله هو الهدى، وليس بعد الهدى إلا الهوى.

١٨. قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

قال ابن كثير: "ثم قال تعالى: (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) -أي: ومع هذا؛ فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباحة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد"^(١).

وقال السعدي: "ثم أخبر أن من اعتصم به؛ فتوكل عليه، وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على كل خير؛ (فقد هدي إلى صراط مستقيم) موصل له إلى غاية المرغوب؛ لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله، وبين الاعتصام بالله"^(٢).

وقال ابن القيم: "فالاعتصام به نوعان:

اعتصام توكل واستعانة وتفويض ولجأ وعباد، وإسلام النفس إليه، والاستسلام له سبحانه.

والثاني: اعتصام بوحيه، وهو تحكيمة دون آراء الرجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم وكشوفاتهم ومواجيدهم.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٨٦/٢).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١٤١/١).

فمن لم يكن كذلك؛ فهو مُنْسَلٌّ من هذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبجبله، علما وعملا، وإخلاصا واستعانة، ومتابعة، واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن الاعتصام بالله؛ رباً وإلهاً، هو الهداية إلى الصراط المستقيم.

١٩. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلَتَكُنْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥].

آيات عظيمة اشتملت على مثل ما اشتمل عليه الحديث الوصية: حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة"^(٢).

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٣/٣٠٣).

(٢) رواه أبو داود في السنن، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٢٣٤/١٢)، (٤٥٩٤)، والترمذي في السنن، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٤٤/٥)، (٢٦٧٦)، وابن ماجه في السنن، المقدمة، باب اتباع الخلفاء الراشدين، (٤٧/١)، (٤٢)، وأحمد في المسند، (١٢٦/٤)، (١٧١٤٢)، أرئووط، وابن حبان في الصحيح، المقدمة، باب ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفرقت عليها أمة المصطفى ﷺ، (١٤٥/١)، (٥)، والحاكم في المستدرک، كتاب العلم، (١٧٥/١)، والطبراني في الكبير، (٢٤٥/١٨)، ومواضع أخرى تلو هذا الموضع، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (٩٣٧)، (٢٧٣٥)، ونقل اتفاق الحفاظ على تصحيحه.

قال السعدي: "... ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى: وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم؛ يُصلح دينهم، وتصلح دنياهم، وبالا اجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم

ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم، فقال: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) ومن العجائب أن اختلافهم (من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ، ولهذا قال تعالى: (وأولئك لهم عذاب عظيم)"^(١).

وقال ابن تيمية: " وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاجتماع والائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) إلى قوله: (لعلكم تهتدون) إلى قوله: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة"^(٢).

فأئمة الدين هم على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط٤، (١/١٤١-١٤٢).

(٢) أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة، سياق ما فسر من كتاب الله عز وجل من الآيات في الحث على الاتباع، وأن سبيل الحق هو السنة والجماعة، (١/٧٩)، (٧٤)، ولفظه: " فأما الذين ابيضّت وجوههم؛ فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم، وأما الذين اسودّت وجوههم؛ فأهل البدع والضلالة"، وابن أبي حاتم في التفسير، (٣/٧٢٩)، (٣٩٥٠)، والآجري في الشريعة، (٥/٢٥٦١)، (٢٠٧٤)، وذكره الإمام السيوطي في الدر المنثور، (٢/٢٩١)، وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي نصر السجزي في الإبانة، والخطيب في تاريخه (٢/٢٩١)، وذكره الإمام البغوي في معالم التنزيل، (١/٣٣٩).

والصحابه كانوا مؤتلفين متفقين، وإن تنازعوا في بعض فروع الشريعة في الطهارة أو الصلاة أو الحج أو الطلاق أو الفرائض أو غير ذلك، فإجماعهم حجة قاطعة.

ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقي فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقي. كالرافضي الذي يتعصب لعلي دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة. وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي رضي الله عنهما.

فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله ﷺ.

فمن تعصب لواحد من الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء سواء تعصب لمالك أو الشافعي أو أبي حنيفة أو أحمد أو غيرهم^(١).

وقال ابن القيم: "ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين: فأما الاعتصام بحبله فإنه يعصم من الضلالة، والاعتصام به يعصم من الهلكة، فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق، والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيلاً بعصمته من الضلالة، وأن يهديه إلى الطريق، والعدة والقوة والسلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتهما.

فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل. والاعتصام بالله، يوجب له القوة والعدة والسلاح، والمادة التي يستلزم بها في طريقه، ولهذا اختلفت عبارات السلف في الاعتصام بحبل الله، بعد إشارتهم كلهم إلى هذا المعنى^(٢).

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٢/٢٥١-٢٥٢).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (١/٤٥٧-٤٥٨).

وخلاصة هذا الأصل: تقوى الله، والاعتصام بحبله، وعدم التفرق، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا نشابه الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات.

٢٠. قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير: " والمعنى: أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس؛ ولهذا قال: (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)"^(١).

وقال السعدي: " يمدح تعالى هذه الأمة، ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله، وجهادهم على ذلك، وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس"^(٢).

وقال ابن تيمية: " ومن استقرأ أخبار العالم في جميع الفرق؛ تبين له أنه لم يكن قط طائفة أعظم اتفاقاً على الهدى والرشد، وأبعد عن الفتنة والتفرق والاختلاف من أصحاب رسول الله ﷺ، الذين هم خير الخلق بشهادة الله لهم بذلك؛ إذ يقول تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) [سورة آل عمران: ١١٠]، كما لم يكن في الأمم أعظم اجتماعاً على الهدى، وأبعد عن التفرق والاختلاف، من هذه الأمة؛ لأنهم أكمل اعتصاماً بحبل الله، الذي هو كتابه المنزل، وما جاء به من نبيه المرسل.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٩٣/٢).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١٤٣/١).

وكل من كان أقرب إلى الاعتصام بجبل الله - وهو اتباع الكتاب والسنة؛ كان أولى بالهدى والاجتماع والرشد والصلاح، وأبعد عن الضلال والافتراق والفتنة"^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن منهاج هذه الأمة هو منهاج الخيرية؛ بإصلاح النفس، وإصلاح الغير، ولو سلك الناس هذا المنهاج لكان خيرا لهم.

٢١. قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

قال ابن كثير: "وقوله: (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) - أي: لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه، فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه، وأجير من وبيل عقابه، ومن استحق غضب الله وألزم به، فلا محيد له عنه، ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير.

وهذه لها نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ [الرعد: ١٩] وكقوله: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [الفصص: ٦١]"^(٢).

وإنما يُعلم رضوان الله باتباع الرسول ﷺ؛ ولذا تلا هذه الآية قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وخلاصة هذا الأصل: أن اتباع رضوان الله يكون باتباع رسوله ﷺ.

(١) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (٦/٣٦٥).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٤، (٢/١٥٧).

٢٢. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧) [آل عمران: ١٨٧].

قال السعدي: "الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتهم ذلك، ويخل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل..."^(١).

وقال ابن كثير: "وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم؛ فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبدلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً..."^(٢).

وإنما كانت هذه آية منهجية عامة؛ لأن الكتاب هو المنهاج، وهؤلاء وغيرهم كتموه، فهم عاملون ضد المنهاج، والواجب العمل عليه، وبيانه ونشره للناس.

وخلاصة هذا الأصل: الحذر من ترك العمل بالمنهاج؛ بترك الكتاب الذي اشتمل عليه.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط٤، (١٦٠/١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢، (١٨٠/٢-١٨١).

سورة النساء

٢٣. قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) [النساء: ٢٦ - ٢٨].

قال ابن كثير: " (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) - يعني: طرائقهم الحميدة واتباع شرائعها التي يحبها ويرضاها" (١).

وقال السعدي: "... فإذا عرفتم أن الله تعالى يأمركم بما فيه صلاحكم وفلاحكم وسعادتكم، وأن هؤلاء المتبعين لشهواتهم يأمرونكم بما فيه غاية الخسار والشقاء؛ فاختاروا لأنفسكم أولى الداعيين، وتخيروا أحسن الطريقتين" (٢).

وقال ابن عاشور: " ومعنى (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) الهداية إلى أصول ما صلح به حال الأمم التي سبقتنا، من كليات الشرائع، ومقاصدها. قال الفخر: " فإن الشرائع والتكاليف وإن كانت مختلفة في نفسها، إلا أنها متفقة في باب المصالح" (٣). قلت: فهو كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] الآية" (٤).

وقال ابن تيمية: " والمقصود أن الله سبحانه يريد أن يبين لنا ويهدينا سنن الذين من قبلنا الذين قال فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَرُهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] وهم الذين أمرنا أن نسأله

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٦٧/٢).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١٧٤/١-١٧٥).

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ط ٣، (٥٤/١٠).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (١٨/٥-٢٠).

الهداية لسبيلهم في قوله: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] فهو يجب لنا ويأمرنا أن نتبع صراط هؤلاء، وهو سبيل من أناب. فذكر هنا ثلاثة أمور البيان والهداية والتوبة^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن الله تعالى يبين المنهاج، ويجب اتباعه، وأولياء الشياطين يريدون الميل العظيم عنه.

٢٤. قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩]،
٢٥. قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾ [النساء: ٦٥].

ففي هاتين الآيتين المنهاج الواجب عند التنازع والتشاجر؛ فإن الحال إما حال اتفاق، وإما حال تنازع وتشاجر؛ فجاء المنهاج ببيان الواجب المفروض في الحالين.

فبينت الآية الأولى أنه عند التنازع في أي شيء من الأشياء - كما دل على ذلك النكرة في سياق الشرط - فالواجب الرد إلى الله والرسول، وذلك بالرد إلى الكتاب والسنة.

بينت الآية الثانية أن المتشاجرين لا يؤمنون حتى يحكموا الوحي في كل ما شجر بينهم - كما دل على ذلك عموم "ما" الموصولة -.

قال ابن كثير في الآية الأولى: "وقوله: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)، قال مجاهد وغير واحد من السلف - أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله.

وهذا أمر من الله، عز وجل، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠].

(١) ابن تيمية، الزهد والورع والعبادة، ط ١، ص ١٩.

فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة؛ فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؛ ولهذا قال تعالى: (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) - أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم: (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر).

فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك؛ فليس مؤمنا بالله، ولا باليوم الآخر^(١).

وقال في الآية الثانية: "يُقَسَمُ تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً؛ ولهذا قال: (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) - أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"^(٢).

وقال السعدي في الآية الأولى: "... ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله - أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية،....

فالرد إليهما شرط في الإيمان؛ فلماذا قال: (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع؛ فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها"^(٣).

وقال في الآية الثانية: "ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم - أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٤٥/٢-٣٤٦).

(٢) المصدر نفسه، (٣٤٩/٢).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١٨٣/١).

ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضييق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض.

ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليماً بانسراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن.

فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمن استكمل هذه المراتب وكملها؛ فقد استكمل مراتب الدين كلها.

فمن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له؛ فهو كافر، ومن تركه، مع التزامه؛ فله حكم أمثاله من العاصين^(١).

وقال ابن تيمية في الآيتين: "وقد أمر الله المسلمين كلهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم؛ فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً، لكن عصى واتبع هواه؛ فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة.

وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاية الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/١٨٤).

وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هنا، وما ذكرته يدل عليه سياق الآية^(١).

وقال أيضا: " فكل من خرج عن سنة رسول الله ﷺ وشريعته؛ فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع ما يشجر بينهم من أمور الدين والدنيا وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه.

ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة. وبذلك جاءت سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين^(٢).

وقال ابن القيم في الآية الثانية: " فأقسم سبحانه بنفسه أنا لا نؤمن حتى نحكم رسوله في جميع ما شجر بيننا، وتتسع صدورنا بحكمه؛ فلا يبقى منها حرج، ونسلم لحكمه تسليما، فلا نعارضه بعقل ولا رأي ولا هوى ولا غيره.

فقد أقسم الرب سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسول، وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه وإن آمنوا بلفظه. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] وهذا نص صريح في أن حكم جميع ما تنازعنا فيه مردود إلى الله وحده، وهو الحاكم فيه على لسان رسوله.

فلو قدّم حكم العقل على حكمه؛ لم يكن هو الحاكم بوجهه وكتابه^(٣).

وقال في الآية الأولى: " وهذا دليل قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس من الدين كله إلى الله ورسوله، لا إلى أحد غير الله ورسوله، فمن أحال الرد على غيرهما؛ فقد ضاد أمر الله. ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله؛ فقد دعا بدعوى الجاهلية....

(١) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (١٣٠/٥-١٣١).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٤٧١/٢٨).

(٣) ابن القيم، الصواعق المرسلّة، ط ٣، (٣٢٨-٣٢٩).

وحسبك بهذه الآية العاصمة القاصمة بيانا وشفاء، فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها عاصمة للمتمسكين بها الممثلين ما أمرت به" (١).

وخلاصة هذا الأصل: أن الإيمان يوجب الرد عند التنازع إلى الله والرسول، وتحكيمه ﷺ في كل ما شجر بيننا، والتسليم التام لحكم الله ورسوله.

٢٦. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال ابن كثير: " - أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق، وتبين له، واتضح له.

وقوله: (ويتبع غير سبيل المؤمنين) هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة الحمديّة، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفاً لهم، وتعظيماً لنبيهم ﷺ.

وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، قد ذكرنا منها طرفاً صالحاً في كتاب "أحاديث الأصول"، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها، والذي عول عليه الشافعي، رحمه الله، في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة، بعد التروي والفكر الطويل. وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك، واستبعد الدلالة منها على ذلك" (٢).

وقال السعدي: "أي: ومن يخالف الرسول ﷺ ويعانده فيما جاء به (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ) بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية، (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) وسبيلهم: هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم؛ (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى) - أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذه فلا نوقفه للخير؛ لكونه

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلّة، ط ٣، (١٨٩/٢)، والرسالة النبوكية، ط ١، ص ٤٢.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤١٢/٢-٤١٣). وكتاب "أحاديث الأصول" لا وجود له الآن.

رأى الحق وعلمه وتركه، فجزأوه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله" (١).

وقال ابن تيمية: "وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]؛ فإنهما متلازمان؛ فكل من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى؛ فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين؛ فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى...

وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة؛ من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول، وأن كل ما أجمعوا عليه؛ فلا بد أن يكون فيه نص عن الرسول.

فكل مسألة يُقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين؛ فإنها مما بيّن الله فيه الهدى، ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البيّن" (٢).

وقال أيضا: "وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها عنه كثيرا، قال: "سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا؛ الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستعمال لطاعة الله، ومعونة على دين الله؛ ليس لأحد تغييرها، ولا النظر في رأي من خالفها. فمن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين؛ ولاه الله تعالى ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا" (٣).

والشافعي رضي الله عنه لما جرد الكلام في أصول الفقه احتج بهذه الآية على الإجماع (٤)، كما كان هو وغيره ومالك ذكر عن عمر بن عبد العزيز.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٢٠٢/١).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٨/٧-٣٩).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة، (١٧٤/١)، (٩٨)، (١٤٦)، بتحقيق الوليد، وقال: صحيح لغيره، وابن بطّة في الإبانة،

(٣٥٢/١)، (٢٣١)، واللالكائي في أصول الاعتقاد، (١٠٥/١)، (١٣٤).

(٤) قال البيهقي: "احتج الشافعي في ذلك في حكاية ذكرناها في كتاب المدخل بقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ

مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] / معرفة =

والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد، كما أن مشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى مستحق للوعيد، ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرد، فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل في ذلك؛ لكان لا فائدة في ذكره^(١).

وبين ابن القيم أن سبيل المؤمنين لا تُعرف على التمام حتى تعرف سبيل المجرمين أيضا، فلا تتم المعرفة بالخير، حتى يعرف الشر، فقال: "قاعدة جلية: قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، وقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّأَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، ... [وقد] برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة؛ فإنهم نشأوا في سبيل الظلام والكفر والشرك، والسبيل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاءهم الرسول فأخرجهم من تلك الظلمات إلى سبيل الهدى وصراط الله المستقيم؛

وأما من جاء بعد الصحابة فمنهم من نشأ في الإسلام غير عالم تفصيل ضده، فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين؛ فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر بن الخطاب: "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية"^(٢).....

=السنن والآثار، (١/١٧٠). والحكاية التي أشار إليها رواها البيهقي بإسناد صحيح في أحكام القرآن للشافعي، جمع البيهقي (١/٣٩)، قال ابن السبكي في طبقات الشافعية (٢/٢٤٥): وسند هذه الحكاية صحيح لا غبار عليه. وخلاصتها أن رجلا سأل الشافعي عن الحجة في دين الله، فقال له: كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، واتفاق الأمة. فسأله عن دليل الاتفاق، فمكث الشافعي حتى قرأ القرآن ثلاث مرات، فانتزع بهذه الآية.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٧٨/١٧٩).

(٢) أخرج ابن سعد في الطبقات، (٦/١٨٠)، والحاكم في المستدرک، (٤/٤٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، (٦/٦٩)، وأبو نعيم في الحلية، (٧/٢٤٣)، عن المستظل بن حصين الباري قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: قد علمت - ورب الكعبة - متى تهلك العرب، فقام رجل من المسلمين إليه، فقال: متى يا أمير المؤمنين؟ قال: حين يسوس أمرهم من =

والمقصود أن الله سبحانه يحب أن تُعرف سبيل أعدائه؛ لتُجتنب وتُبغض، كما يجب أن تعرف سبيل أوليائه؛ لتُحب وتُسلَّك" (١).

وخلاصة هذا الأصل: أن من شاق سبيل المؤمنين؛ فقد شاق الرسول، وإن زعم أنه يتبعه، وهؤلاء هم أهل الأهواء، وهؤلاء لا يهتدون؛ لأن الله يخليهم وأنفسهم.

٢٧. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُيِّدْ لَهُمْ فِي رَحْمَةِ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥].

قال ابن كثير: "أي: طريقاً واضحاً قصداً قواماً، لا اعوجاج فيه ولا انحراف. وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة، وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات" (٢).

وقال السعدي: " (وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) - أي: يوفقهم للعلم والعمل، معرفة الحق والعمل به.

-أي: ومن لم يؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه، منعهم من رحمته، وحرّمهم من فضله، وخلّى بينهم وبين أنفسهم، فلم يهتدوا، بل ضلوا ضلالاً مبيناً" (٣).

وخلاصة هذا الأصل: من اعتصم بما أنزل الله من البرهان والنور؛ هداه إلى صراط مستقيم.

= لم يعالج أمر الجاهلية، ولم يصحب الرسول ﷺ. قال الحالكم: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقال الذهبي: صحيح.

(١) ابن القيم، الفوائد، ط ٢، (١/١٠٨-١١١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢/٤٨١).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٢١٧).

سورة المائدة

٢٨. قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ اتْنِكُمْ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

قال ابن كثير: "وقوله: (ومهيمننا عليه) - نقل أقوال السلف فيها، ثم قال:

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم "المهيمن" يتضمن هذا كله، فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها؛ حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً، وأميناً، وحاكماً عليها كلها.....

وقوله: (ولا تتبع أهواءهم) - أي: آراءهم التي اصطالحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله؛ ولهذا قال: (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) - أي: لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء.....

وقوله: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به

التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم "جنكزخان"^(١)، الذي وضع لهم "اليساق" وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن فعل ذلك منهم؛ فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ؛ فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، ..."^(٢).

وقال السعدي: "(وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ) - أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه"^(٣).

وقال ابن عاشور: "وقد أشارت الآية إلى حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع، مقرر له من كل حكم كانت مصلحته كلية لم تختلف مصلحته باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدق - أي: محقق ومقرر، وهو أيضاً مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة، وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة مراعى فيها أحوال أقوام خاصة....."^(٤).

وقال ابن تيمية: "فقد أمر نبيه محمداً ﷺ أن يحكم بما أنزل الله إليه، وحذره اتباع أهوائهم، وبين أن المخالف لحكمه وهو حكم الجاهلية، حيث قال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)، وأخبره تعالى أنه جعل لكل من أهل التوراة والإنجيل والقرآن

(١) قال ابن كثير: "وجنكزخان هو صاحب الياسق، وضعها ليتحاكم إليها التتار، ومن اتبعهم من أمراء الترك - ممن يبتغي حكم الجاهلية - وهو والد تولي، وجدّ هولاء بن تولي - الذي قتل الخليفة المستعصم وأهل بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة." / البداية والنهاية، (١٦/٧٢٧). وقد صدر هذا الياسق عام ١٢٠٦م.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣/١٢٧-١٣١). مقتطفات.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٢٣٤).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٦/٢٢١).

شرعة ومنهاجا، وأمره تعالى بالحكم بما أنزل الله، أمرٌ عام لأهل التوراة والإنجيل والقرآن، ليس لأحد في وقت من الأوقات أن يحكم بغير ما أنزل الله، والذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل، وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة، وإن تنوعوا في الشرعة والمنهاج^(١).

وخلاصة هذا الأصل: التمسك بالمنهاج الحق، وذلك بتحكيم الله ورسوله في كل شيء، وترك ماسواه من الأهواء؛ لأنه لا أحسن من حكم الله.

(١) ابن تيمية، دقائق التفسير، ط ٢، (٥٦/٢).

سورة الأنعام

٢٩. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّهِمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قال ابن كثير: "ثم قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ: (أولئك) - يعني: الأنبياء المذكورين، مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان، وهم الأشباه (الذين هدى الله) - أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، (فبهدهم اقتده) - أي: اقتد واتبع. وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ؛ فأمته تبع له فيما يشرعه لهم، ويأمرهم به" (١).

وذلك بعد ما ذكر الله تعالى جماعة من الأنبياء - ثمانية عشر - وأخير سبحانه عنهم أنه اجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم.

وقال السعدي: "(أولئك) المذكورون (الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهُمْ أَقْتَدِهِ) - أي: امش - أيها الرسول الكريم - خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم.

وقد امتثل ﷺ، فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم، فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين، وكان سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وبهذا الملحظ، استدل بهذه من استدل من الصحابة، أن رسول الله ﷺ، أفضل الرسل كلهم" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن القدوة تكون بهدى المهتدين.

٣٠. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٩٩/٣).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٢٦٣/١).

قال ابن كثير: "قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)، وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله. ونحو هذا قاله مجاهد، وغير واحد.

ثم ذكر حديث ابن مسعود، رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطا بيده، ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيما". وخط على يمينه وشماله، ثم قال: "هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه". ثم قرأ: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)^(١)..... وقوله: (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) إنما وحد سبحانه سبيله؛ لأن الحق واحد؛ ولهذا جمع السبل؛ لتفرقها وتشعبها،....."^(٢).

وقال السعدي: "ولما بين كثيرًا من الأوامر الكبار، والشرائع المهمة، أشار إليها وإلى ما هو أعم منها، فقال: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) - أي: هذه الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه، ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه، وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر.

(فَاتَّبِعُوهُ)؛ لتنالوا الفوز والفلاح، وتدرکوا الآمال والأفراح. (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) - أي: الطرق المخالفة لهذا الطريق (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) - أي: تضلکم عنه وتفرقکم يمينا وشمالا. فإذا ضللتكم عن الصراط المستقيم؛ فليس ثمَّ إلا طرق توصل إلى الجحيم"^(٣).

قال الألباني: "هذه الآية قطعية الدلالة؛ لأنها تقول: إن السبيل الموصل إلى الله هو واحد، وأن السبل الأخرى هي التي تُبعد المسلمين عن سبيل الله"^(٤).

(١) سبق تخريجه، ص ٣٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣/٣٦٧، ٣٦٥). وأثر ابن عباس في موسوعة التفسير بالمأثور (٨/٦٩٦).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٢٨٠).

(٤) آل نعمان، شادي، موسوعة العلامة الألباني، ط ١، (١/٢٣٦).

وقال ابن تيمية: " فمن أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمداً ﷺ من الكتاب والحكمة، ولا تخلطه بغيره، ولا تلبس الحق بالباطل، كفعل أهل الكتاب؛ فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً.

وقد قال النبي ﷺ: " تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك" (١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: " هذا سبيل الله، وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]" (٢).

وجماع ذلك بحفظ أصليين:

أحدهما: تحقيق ما جاء به الرسول ﷺ، فلا يُخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة والتفسيرات الباطلة، بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلالته.

والثاني: أن لا يعارض ذلك بالشبهات، لا رأياً ولا رواية" (٣).

وقال أيضاً: " وهو ﷺ لم يمت حتى بين الدين، وأوضح السبيل، وقال: " تركتكم على البيضاء النقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك" (٤). وقال ﷺ: " ما تركت من شيء يقربكم من الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به" (٥). وقال: " إنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

(١) سبق تخريجه، ص ١١٧.

(٢) سبق تخريجه، ص ٣٥.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٥٦/١٥).

(٤) سبق تخريجه، ص ١١٧.

(٥) أخرجه الطبراني في " المعجم الكبير" (١٦٤٧)، وصححه الألباني في " الصحيحة" (١٨٠٣).

المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" (١). قال الترمذي: حديث صحيح" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن التقوى هي: اتباع الصراط المستقيم، وترك اتباع السبل؛ لأنها تفرق عن سبيل الله.

٣١. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) [الأنعام: ١٥٩].

قال ابن كثير: "والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفاً له، ... فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل، من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك؛ فضلالات وجهالات، وآراء وأهواء، الرسل برآء منها، كما قال: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]" (٣).

وقال السعدي: "ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية.

وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال: (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) - أي لست منهم وليسوا منك؛ لأنهم خالفوك وعاندوك" (٤).

(١) سبق تخریجه ، ص ١١٧ .

(٢) ابن تیمیة، مجموع الفتاوى، ط ١، (٧٢٣/٢٧).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٧٧/٣).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٢٨٢/١).

وقال السمعاني: "وروى أبو أمامة الباهلي صدى بن عجلان، عن النبي قال: "هم الخوارج"^(١).

قال مجاهد: هم أهل الأهواء والبدع، وقيل: هم أهل سائر الملل من اليهود، والنصارى، والمجوس، ونحوهم^(٢)، وعن ابن مسعود أنه قال: "أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"^(٣)، ويروى هذا مرفوعاً، وقوله: (لست منهم في شيء) - أي: ليسوا منك، ولست منهم (إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)^(٤).

وقال الشوكاني: "وقيل: الآية عامة في جميع الكفار، وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله، وهذا هو الصواب؛ لأن اللفظ يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب وطوائف المشركين وغيرهم ممن ابتدع من أهل الإسلام..."^(٥).

وخلاصة هذا الأصل: البراءة من كل من فرق دينه، ففارقه.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، (١٤٢٩/٥)، والنحاس، وابن مردويه، عنه مرفوعاً. وأخرجه عبد بن حميد، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عنه موقوفاً عليه، كما في الدر المنثور، (١١٧/٣). قلت: إسناده ابن أبي حاتم إسناده حسن، لكن أبو غالب صدوق يخطيء.

(٢) ذكر ذلك الطبري بأسانيده في جامع البيان، (٢٦٨/١٢)، وخلاصة ذلك: أنهم اليهود والنصارى، كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي. أو أهل البدع من هذه الأمة، كما قال أبو هريرة، لكن في الإسناده إليه ليث بن أبي سليم، وروي عنه مرفوعاً، لكن في إسناده عباد بن كثير، وهو متروك.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب في الهدى الصالح، (٦١٩/١٣)، موقوفاً. قال الحافظ ابن حجر: هكذا رأيت هذا الحديث في جميع الطرق موقوفاً، وقد ورد بعضه مرفوعاً من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود، أخرجه أصحاب السنن، وجاء أكثره مرفوعاً من حديث جابر، أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد وابن ماجه وغيرهم من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جابر بألفاظ مختلفة،.. ثم ذكرها/ فتح الباري، (٥١١/١٠).

(٤) السمعاني، تفسير السمعاني، ط ١، (١٦٠/٢).

(٥) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٢٠٨/٢).

سورة الأعراف

٣٢. قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

قال ابن كثير: " - أي: اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه، (ولا تتبعوا من دونه أولياء) - أي: لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره" (١).

وقال القاسمي: " قوله تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) خطاب منه تعالى لكافة المكلفين بالأمر باتباع ما أنزل، وهو القرآن، والمراد ب(ما أنزل): القرآن والسنة؛ وقوفاً مع عمومته؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ [النجم: ٣ - ٤]" (٢).

وقال ابن تيمية: " فأمر باتباع ما أنزل، ونهى عما يضاد ذلك، وهو اتباع أولياء من دونه. فمن لم يتبع أحدهما؛ اتبع الآخر" (٣).

وقال أيضاً: " ففرض اتباع ما أنزله من الكتاب والحكمة، وحظر اتباع أحد من دونه" (٤).

وقال ابن القيم: " فأمر سبحانه باتباع ما أنزل على رسوله، ونهى عن اتباع غيره، فما هو إلا اتباع المنزل، واتباع أولياء من دونه؛ فإنه لم يجعل بينهما واسطة. فكل من لا يتبع الوحي؛ فإنما يتبع الباطل، واتباع أولياء من دون الله، وهذا بحمد الله ظاهر لا خفاء به" (٥).

وخلاصة هذا الأصل: الاتباع، وإلا الابتداع والأهواء.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣/٣٨٧).

(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ط ١، (٤/٥).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٧/١٧٣).

(٤) المرجع نفسه، (٦٧/١٩).

(٥) ابن القيم، الرسالة التبوكية، ط ١، (١/٤٥).

٣٣. قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال ابن كثير: "(واتبعوه) - أي: اسلكوا طريقه، واقتفوا أثره، (لعلكم تهتدون) - أي: إلى الصراط المستقيم" (١).

وقال السعدي: "(فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ) إيماناً في القلب، متضمناً لأعمال القلوب والجوارح. (الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) - أي: آمنوا بهذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله، (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) في مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه؛ ضللتكم ضلالاً بعيداً" (٢).

وقال ابن تيمية: " فعلى الخلق كلهم اتباع محمد ﷺ فلا يعبدون إلا الله، ويعبدونه بشريعة محمد ﷺ، لا بغيرها" (٣).

وخلاصة هذا الأصل: أنه لا هداية إلا باتباع النبي الخاتم ﷺ.

٣٤. قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

قال ابن كثير: " ثم أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد ﷺ، كما هو مكتوب فيه، فقال تعالى: (والذين يمسكون بالكتاب) - أي: اعتصموا به، واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجه" (٤).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٩١/٣).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٣٠٥/١).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٥٢٣/١١)، (٣١٨/١٨).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٩٩/٣).

وقال السعدي: " وهذه الآية وما أشبهها دلت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام
بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان
أقرب إلى اتباعهم" ^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن الإصلاح لا يكون إلا بالصلاح، الذي لا يكون إلا بالتمسك
بالكتاب علما وعملا.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٢، (١/٣٠٧).

سورة الأنفال

٣٥. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال الشوكاني: "ويُستدل بهذا الأمر بالاستجابة على أنه: يجب على كل مسلم إذا بلغه قول الله، أو قول رسوله في حكم من الأحكام الشرعية أن يبادر إلى العمل به كائناً ما كان، ويدع ما خالفه من الرأي، وأقوال الرجال.

وفي هذه الآية الشريفة أعظم باعث على العمل بنصوص الأدلة، وترك التقيد بالمذاهب، وعدم الاعتداد بما يخالف ما في الكتاب والسنة؛ كائناً ما كان" (١).

وقال ابن القيم: "فتضمنت هذه الآية أموراً: أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة؛ فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات.

فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهراً وباطناً،

ثم ذكر أقوال مفسري السلف في تفسير قوله: (لما يحييكم)، ثم قال: وهذه كلها عبارات عن حقيقة واحدة. وهي القيام بما جاء به الرسول ظاهراً وباطناً.

والآية تتناول هذا كله" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن الاستجابة لله ولرسوله هي الحياة.

(١) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٣٤٢/٢).

(٢) ابن القيم، التفسير القيم، ط ١، (٢٩٨/١-٣٠١).

سورة التوبة

٣٦. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقد سبق هذه الآية آيتان يتبين بهما مضمون هذه الآية؛ فإن هذه الآية اشتملت على أن ماجاء به محمد ﷺ هو الهدى ودين الحق، والآيتان قبلها بينت الباطل بأبين عبارة، وخلاصته: اتباع البشر في خلاف أمر الله تعالى.

قال الشوكاني في الآية الأولى منهما- وهي قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]: "وفي هذه الآية ما يزرع من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله، وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فإن طاعة المتذهب لمن يقتدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة، مع مخالفته لما جاءت به النصوص، وقامت به حجج الله وبراهينه، ونطقت به كتبه وأنبياءه؛ هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله؛ للقطع بأنهم لم يعبدوهم، بل أطاعوهم، وحرموا ما حرّموا، وحلّلوا ما حلّلوا.

وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة، وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة، والتمرة بالتمرة، والماء بالماء"^(١).

وقال في الآية الثانية- وهي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلًّا أَن يُسْمَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].-: "هذا كلام يتضمن ذكر نوع آخر من أنواع ضلالهم، وبُعدهم عن الحق، وهو ما راموه من إبطال الحق بأقواليلهم الباطلة التي هي مجرد كلمات ساذجة ومجادلات زائفة، وهذا تمثيل لحالهم في محاولة إبطال دين الحق، ونبوة نبي الصدق،

(١) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٢/٤٠٣-٤٠٤).

بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم قد أنارت به الدنيا، وانقشعت به الظلمة؛ ليطفئه، ويذهب أضواءه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره أي: دينه القويم" (١).

قال ابن كثير: "فالهدى: هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع. ودين الحق: هي الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة" (٢).

وقال ابن تيمية: "وذلك أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، فبالهدى يعرف الحق، وبدين الحق يقصد الخير ويعمل به، فلا بد من علم بالحق، وقصد له وقدرة عليه" (٣).

وقال أيضاً: "فالهدى كمال العلم، ودين الحق كمال العمل" (٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن رسالة الرسول ﷺ هي الهدى: الذي هو كمال العلم، ودين الحق: الذي هو كمال العمل.

(١) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٤٠٤/٢).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٣٦/٤).

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (٥٤٧//٤).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٥٩/٢).

سورة يونس

٣٧. قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

قال ابن القيم: "فالأمر منحصر في الحق والباطل، والهدى والضلال. فإذا عدلتُم عن الهدى والحق فأين العدول وأين المذهب. ونظير هذا قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] - أي: إن أعرضتم عن الإيمان بالقرآن والرسول وطاعته؛ فليس إلا الفساد في الأرض، والشرك والمعاصي وقطيعة الرحم، ونظيره قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] لما تركوا الحق وعدلوا عنه؛ مرج عليهم أمرهم، والتبس؛ فلا يدرون ما يقولون وما يفعلون، بل لا يقولون شيئاً إلا كان باطلاً، ولا يفعلون شيئاً إلا كان ضائعاً غير نافع لهم.

وهذا شأن كل من خرج عن الطريق الموصل إلى المقصود. ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، وقد كشف هذا المعنى كل الكشف بقوله عز وجل: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]"^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أنه ليس بعد الحق إلا الضلال.

٣٨. قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥] وما ينبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون ﴿٣٦﴾ [يونس: ٣٥ - ٣٦].

(١) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ط ١، (١/١٢٧-١٢٨).

قال ابن كثير: "أي: أفيتبع العبدُ الذي يهدي إلى الحق، ويبصّر بعد العمى، أم الذي لا يهدي إلى شيء، إلا أن يُهدى؛ لعماه وبكمه؟.... ثم بيّن تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلاً ولا برهاناً، وإنما هو ظن منهم، أي: توهم وتخيل، وذلك لا يغني عنهم شيئاً"^(١).

وقال ابن عاشور: "وإذ قد كانت العقول عرضة للاضطراب والخطأ؛ احتاجت النفوس إلى هدى يُتلقى من الجانب المعصوم عن الخطأ؛ وهو جانب الله تعالى؛ فلذلك كان الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع؛ لأنه مصلح النفوس، ومصلح نظام العالم البشري؛ فاتباعه واجب عقلاً، واتباع غيره لا مصحح له؛ إذ لا غاية ترجى من اتباعه. وأفعال العقلاء تصان عن العبث"^(٢).

وقال ابن تيمية: "فبيّن سبحانه بما هو مستقر في الفطر؛ أن الذي يهدي إلى الحق أحق بالاتباع ممن لا يهتدي إلا أن يهديه غيره؛ فلزم أن يكون الهادي بنفسه هو الكامل؛ دون الذي لا يهتدي إلا بغيره. وإذا كان لا بد من وجود الهادي لغير المهتدي بنفسه؛ فهو الأكمل"^(٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن الأحق بالاتباع هو الذي يهدي للحق.

٣٩. قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَخُوكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

قال ابن كثير: "أي: تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه، واصبر على مخالفة من خالفك من الناس؛ (حتى يحكم الله) - أي: يفتح بينك وبينهم، (وهو خير الحاكمين) - أي: خير الفاتحين بعدله وحكمته"^(٤).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤/٢٦٧-٢٦٨).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (١١/١٦٢).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٦/٨٢).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤/٣٠٠).

وقال السعدي: "(وَاتَّبِعْ) أيها الرسول (مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ) علما، وعملا، وحالا، ودعوة إليه، (وَاصْبِرْ) على ذلك؛ فإن هذا أعلى أنواع الصبر، ..." ^(١).

وقال ابن تيمية: "وفي اتباع ما أوحى إليه التقوى كلها؛ تصديقا لخبر الله؛ وطاعة لأمره" ^(٢).

وقال أيضا: "وأمره وإيانا في غير موضع أن نتبع ما أنزل إلينا دون ما خالفه فقال: ﴿اَتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّكَ أَنزَلْنَاهُ لَعَلَّكُمْ تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢]. وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله: كتابه، كما فسرہ النبي ﷺ ^(٣). وقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ﴾ [يونس: ١٠٩]، إلى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي أجمع المسلمون على اتباعها. وهذا مما لم يختلف المسلمون فيه جملة، ولكن قد يقع التنازع في تفصيله" ^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: وجوب اتباع الوحي الإلهي الذي تضمنه القرآن والسنة الصحيحة.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٣٧٥/١).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٦٧٦/١٠).

(٣) وهو قوله ﷺ: "كتاب الله، هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض". قال الألباني: "رواه الترمذي (٣٧٩٠)، وأحمد (٣ / ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩)، والطبري (ج ٧ رقم ٧٥٧٢ صفحة ٧٢)، من طرق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره. وهو عند الترمذي مقرون بحديث حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم مرفوعا به في حديث، وقال: "حديث حسن غريب". قلت: عطية ضعيف، وحبيب مدلس. فالحديث حسن بمجموع الطريقين، وهو صحيح - أي: بشواهده - ثم ذكرها / انظر: الصحيحة (٢٠٢٤). وانظر كذلك: تحقيق أحمد شاکر علی الطبري (٧٢/٧). وأخرج ابن أبي حاتم عن علي مرفوعا: "كتاب الله: هو حبل الله المتين"، لكنه ضعيف، فيه الحارث الأعور، وانظر: الضعيفة (٦٣٩٣).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٢٨/٢٥).

سورة هود

٤٠. قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَلَتَارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [هود: ١٧].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله تعالى التي فطر عليها عباده، فالمؤمن باق على هذه الفطرة. وقوله: (ويتلوه شاهد منه) -أي: وجاءه شاهد من الله، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء، من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختمة بشريعة محمد، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين....." (١).

فجعل ابن كثير البينة: الفطرة، والشاهد: الوحي.

وقال السعدي: "يذكر تعالى، حال رسوله محمد ﷺ، ومن قام مقامه من ورثته القائمين بدينه وحججه، الموقنين بذلك، وأنهم لا يوصف بهم غيرهم، ولا يكون أحد مثلهم، فقال: (أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمة، ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البينة. (وَيَتْلُوهُ) - أي: يتلو هذه البينة والبرهان برهان آخر (شَاهِدٌ مِّنْهُ) وهو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيمانا إلى إيمانه. (وَ) ثم شاهد ثالث وهو (كِتَابُ مُوسَى) التوراة التي جعلها الله (إِمَامًا) للناس (وَرَحْمَةً) لهم، يشهد لهذا القرآن بالصدق، ويوافقه فيما جاء به من الحق. -أي: أفمن كان بهذا الوصف: قد تواردت عليه شواهد الإيمان، وقامت لديه أدلة اليقين، كمن هو في الظلمات والجهالات، ليس بخارج منها؟! لا يستوون عند الله، ولا عند عباد الله، ..." (٢).

فجعل السعدي البينة: الوحي، والشاهد: الفطرة والعقل.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤/٣١١-٣١٣).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٣٧٩).

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد تبحر في الآية بما لم يُر مثله، ورد غلط الأقوال فيها من المفسرين واللغويين، وجعل هذه الآية من الآيات التي أشكلت على المفسرين حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير إلا ما هو خطأ فيها.

قال: "وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]. وهذا يعم جميع من هو على بينة من ربه، ويتلوه شاهد منه. فالبينة: العلم النافع. والشاهد الذي يتلوه: العمل الصالح.

وذلك يتناول الرسول ومن اتبعه إلى يوم القيامة، فإن الرسول على بينة من ربه، ومتبعه على بينة من ربه.....

فقد تبين أن الرسول ومن اتبعه على بينة من ربه وبصيرة وهدى ونور، وهو الإيمان الذي في قلوبهم، والعلم والعمل الصالح، ثم قال: (ويتلوه شاهد منه)، والضمير في (منه) عائد إلى الله تعالى - أي: ويتلو هذا الذي هو على بينة من ربه شاهد من الله. والشاهد من الله، كما أن البينة التي هو عليها المذكورة من الله أيضا.....

وفي قول له آخر جعل البينة: الإيمان، والشاهد القرآن، فقال:

فتبين أن قوله: (أفمن كان على بينة من ربه) يعني: هدى الإيمان، (ويتلوه شاهد منه) - أي: من الله، يعني: القرآن شاهد من الله يوافق الإيمان ويتبعه. وقال: (يتلوه)؛ لأن الإيمان هو المقصود؛ لأنه إنما يراد بإنزال القرآن الإيمان وزيادته....

وقوله: (أفمن كان على بينة من ربه) - أي: كمن لم يكن، قال الزجاج: وترك المعادلة؛ لأن فيما بعده دليلاً عليه، وهو قوله: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤]. قال ابن قتيبة: لما ذكر قبل هذه الآية قوما ركنوا إلى الدنيا، وأرادوها؛ جاء بهذه الآية، وتقدير الكلام: أفمن كانت هذه حاله كمن يريد الدنيا؟ فاكتمى من الجواب بما تقدم؛ إذ كان دليلاً عليه. وقال ابن الأنباري: إنما حذف لانكشاف المعنى، وهذا كثير في القرآن...

فقد تبين أن معنى الآية من أشرف المعاني وهذا هو الذي ينتفع به كل أحد، وأن الآية ذكرت من كان على بينة من ربه من الإيمان الذي شهد له القرآن؛ فصار على نور من ربه، وبرهان من ربه على ما دلت عليه البراهين العقلية والسمعية.....^(١).

فجعل ابن تيمية البينة: الإيمان والعمل الصالح، والشاهد: القرآن.

وخلاصة هذا الأصل: أن الحق واضح يدل عليه ما لا ينحصر من الشواهد المتنوعة، وهذا وحده كافٍ في اتباعه.

من خلال هذا الباب تتبين المعالم والأصول الآتية للمنهاج القرآني:

١. الصراط المستقيم هو ما أرسل الله به الرسول الخاتم محمد ﷺ؛ لسعادة البشر: من اعتقاد صحيح، وشريعة قويمية، وأن الناس انقسموا فيه إلى منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالين. وكل ما خالف الصراط المستقيم؛ فهو ضلال.
٢. القرآن الكريم هو كتاب الهداية والحق؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال!.
٣. الهداية لا تكون هداية حتى تكون مثل ما كان عليه السلف.
٤. أعظم ما يميز المنهاج الوسطية، التي هي لزوم الصراط المستقيم.
٥. الثقة بالمنهاج والعمل به، وعدم الانشغال بانحراف المنحرفين، إلا بمقدار بيان انحرافاتهم؛ لتُحذر.
٦. الحذر من السبل المخالفة للمنهاج، وهي خطوات الشيطان وطرقه. وهي تعود إلى صنفين: الشهوات والشبهات.
٧. من أتى بجماع البر، باستقامته على المنهاج؛ فهو الصادق المتقي.
٨. طريق الرشاد هو الاستجابة لمنهاج الحق، باعتقاده والعمل به.
٩. البر هو تقوى الله، لكن تؤتى التقوى من أبوابها، بأن تكون موافقة للسنة.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٥/٦٢-١٠٨)، مقتطفات.

١٠. ترك القيام بدين الله هلاك وإساءة.

١١. العمل بالإسلام كله، ولا يكونوا كاليهود، كما قال تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، ولا يتم العمل بالإسلام كله إلا بترك طرق الشيطان كلها، التي هي الأهواء.

١٢. الهداية إلى الصراط المستقيم، والمنهاج القويم لا تحصل إلا بتوفيق الله، وباتباع المرسلين وما جاءوا به من كتب الله.

١٣. أصول المنهاج: الإيمان والمهجرة والجهاد.

١٤. من أصول منهاج الحق ترك اتباع المتشابه.

١٥. برهان محبة الله هو اتباع رسوله ﷺ.

١٦. الصراط المستقيم هو تحقيق العبودية لرب العالمين.

١٧. هدى الله هو الهدى، وليس بعد الهدى إلا الهوى.

١٨. الاعتصام بالله؛ ربا وإلهاً، هو الهداية إلى الصراط المستقيم.

١٩. تقوى الله، والاعتصام بحبله، وعدم التفرق، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا نشابه الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات.

٢٠. منهاج هذه الأمة هو منهاج الخيرية؛ بإصلاح النفس، وإصلاح الغير، ولو سلك الناس هذا المنهاج لكان خيراً لهم.

٢١. اتباع رضوان الله يكون باتباع رسوله ﷺ.

٢٢. الحذر من ترك العمل بالمنهاج؛ بترك الكتاب الذي اشتمل عليه.

٢٣. الله تعالى يبين المنهاج، ويحب اتباعه، وأولياء الشياطين يريدون الميل العظيم عنه.

٢٤-٢٥. الإيمان يوجب الرد عند التنازع إلى الله والرسول، وتحكيمه ﷺ في كل ما

شجر بيننا، والتسليم التام لحكم الله ورسوله.

٢٦. من اتبع غير سبيل المؤمنين؛ فقد شاق الرسول، وإن زعم أنه يتبعه، وهؤلاء هم أهل الأهواء، وهؤلاء لا يهتدون؛ لأن الله يخليهم وأنفسهم.
٢٧. من اعتصم بما أنزل الله من البرهان والنور؛ هداه إلى صراط مستقيم.
٢٨. التمسك بالمنهاج الحق، وذلك بتحكيم الله ورسوله في كل شيء، وترك ماسواه من الأهواء؛ لأنه لا أحسن من حكم الله.
٢٩. القدوة تكون بھدى المهتدين، لا بزخرف الضالين.
٣٠. التقوى هي: اتباع الصراط المستقيم، وترك اتباع السبل؛ لأنها تفرق عن سبيل الله.
٣١. البراءة من كل من فرق دينه، ففارقه.
٣٢. الاتباع، وإلا الابتداع والأهواء.
٣٣. لا هداية إلا باتباع النبي الخاتم ﷺ.
٣٤. الإصلاح لا يكون إلا بالصلاح، الذي لا يكون إلا بالتمسك بالكتاب علما وعملا.
٣٥. الاستجابة لله وللرسول هي الحياة.
٣٦. رسالة الرسول ﷺ هي الهدى: الذي هو كمال العلم، ودين الحق: الذي هو كمال العمل.
٣٧. ليس بعد الحق إلا الضلال.
٣٨. الأحق بالاتباع هو الذي يهدي للحق.
٣٩. وجوب اتباع الوحي الإلهي الذي تضمنه القرآن والسنة الصحيحة.
٤٠. الحق واضح يدل عليه ما لا ينحصر من الشواهد المتنوعة، وهذا وحده كافٍ في اتباعه.

الباب الثالث: الآيات المنهاجية في القرآن الكريم (٢)

(من بقية سورة هود إلى سورة يس)

٤١. قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٤) [هود: ٢٤].

ثم بين سبحانه حال الفريقين، كما ذكر تعالى عن كل رسول مع قومه في هذه السورة: نوح مع قومه، هود مع قومه، صالح مع قومه، لوط مع قومه، شعيب مع قومه؛ ففي كل منها فريقان؛ أعمى وأصم، وبصير وسميع، وهكذا من ضل من هذه الأمة، ومن استقام كما أمر.

قال ابن كثير: "ثم ضرب الله تعالى مثل الكافرين والمؤمنين، فقال: (مثل الفريقين) - أي: الذين وصفهم أولا بالشقاء والمؤمنين السعداء، فأولئك كالأعمى والأصم، وهؤلاء كالبصير والسميع.

فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج، فلا يسمع ما ينتفع به، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٣) [الأنفال: ٢٣].

وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب، بصير بالحق، يميز بينه وبين الباطل، فيتبع الخير ويترك الشر، سميع للحجة، يفرق بينها وبين الشبهة، فلا يروج عليه باطل، فهل يستوي هذا وهذا" (١).

وقال ابن تيمية: "ومن الفرقان" أنه فرق بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات، وبين أهل الباطل الكفار الضالين المفسدين أهل السيئات، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَائِهِمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١١) [الجاثية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨) [ص: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) [القلم: ٣٥ - ٣٦]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٤) [هود: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ فَنَسِيَ ءَانَاءَ إِلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤/٣١٥).

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة: ١٨]، فهو سبحانه بين الفرق بين أشخاص أهل الطاعة لله والرسول، والمعصية لله والرسول، كما بين الفرق بين ما أمر به، وبين ما نهى عنه^(١).

وذكر هذه النظائر من الآيات من الدلالات على أن هذه الآية من الآيات المنهاجية.

وخلاصة هذا الأصل: أنه لا يستوي صاحب الحق، وصاحب الباطل، كما لا يستوي البصير والسميع، والأعمى والأصم.

٤٢. قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

ذكر ابن القيم اختلاف المفسرين في الآية، ثم قال: "فالقول قول مجاهد، وهو قول أئمة التفسير، ولا تحتمل العربية غيره إلا على استكراه، قال جرير، يمدح عمر بن عبد العزيز:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وقد قال تعالى: ﴿مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَن يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣٩] وإذا كان الله تعالى هو الذي جعل رسله عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم وأفعالهم؛ فهو سبحانه أحق أن يكون على صراط مستقيم في قوله وفعله، وإن كان صراط

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٣/١٣-١٤).

الرسول وأتباعهم هو موافقة أمره؛ فصراطه الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه حمده وكماله ومجده من قول الحق وفعله، وبالله التوفيق" (١).

وقال أيضا: "والصراط المستقيم: هو صراط الله، وهو يخبر أن الصراط عليه سبحانه، كما ذكرنا، ويخبر أنه سبحانه على الصراط المستقيم، وهذا في موضعين من القرآن: في هود، والنحل، قال في هود: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود: ٥٦]. وقال في النحل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٧٦﴾ [النحل: ٧٦]....

وأما آية هود: فصريحة لا تحتمل إلا معنى واحدا، وهو أن الله سبحانه على صراط مستقيم، وهو سبحانه أحق من كان على صراط مستقيم، فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] وأفعاله كلها مصالح وحكم، ورحمة وعدل وخير، فالشر لا يدخل في أفعال من هو على الصراط المستقيم، أو أقواله، وإنما يدخل في أفعال من خرج عنه وفي أقواله....." (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن الله سبحانه وتعالى على صراط مستقيم، وعلى الحق في كل شأنه: قضاء وقدر، حكما وشرعا، وجزاء.

٤٣. قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٢﴾ [هود: ١١٢].

قال السعدي: "يخبر تعالى أنه أتى موسى الكتاب، الذي هو التوراة، الموجب للاتفاق على أوامره ونواهيه، والاجتماع، ولكن، مع هذا، فإن المنتسبين إليه، اختلفوا فيه اختلافا، أضر بعقائدهم، وبجامعتهم الدينية..... ثم لما أخبر بعدم استقامتهم، التي أوجبت اختلافهم وافتراقهم،

(١) ابن القيم، الأمثال في القرآن، ط ١، (٢٥/١). والبيت المذكور في ديوان جرير، ص ٥٨٤.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٤٢/١-٤٥).

أمر نبيه محمداً ﷺ، ومن معه، من المؤمنين، أن يستقيموا كما أمروا، فيسلکوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمناً ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة"^(١).

وقال الشوكاني: "ثم أمر سبحانه رسوله ﷺ بكلمة جامعة لأنواع الطاعة له سبحانه، فقال: (فاستقم كما أمرت)....

وما أعظم موقع هذه الآية وأشد أمرها، فإن الاستقامة - كما أمر الله - لا تقوم بها إلا الأنفس المطهرة، والذوات المقدسة؛ ولهذا يقول المصطفى ﷺ: " شيبني هود"^(٢)، كما تقدم. (ولا تطغوا) الطغيان: مجاوزة الحد. لما أمر الله سبحانه بالاستقامة المذكورة؛ بين أن الغلو في العبادة والإفراط في الطاعة على وجه تخرج به عن الحد الذي حده، والمقدار الذي قدره ممنوع منه منهي عنه،.... "^(٣).

وقال المراغي: " وفي هذا إيماء إلى وجوب اتباع النصوص في الأمور الدينية من عقائد وعبادات، واجتناب الرأي، وبطلان التقليد فيها....

ولما خرج متأخرو الأمة عن هدى سلفهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ زاغوا فكانوا: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٢]، فسقط بعضهم في خيال التشبيه، وبعضهم في خيال التعطيل، ولو كانوا قد نهجوا نهج السابقين؛ لتجنبوا أسباب الخلاف والتفرق في الدين، الذي أوعده الله أهله بالعذاب العظيم، وبرأ رسوله منهم"^(٤).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٣٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة، (٥/٤٠٢)، (٣٢٩٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. وانظر: الألباني في الصحيحة (٩٥٥).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٢/٦٠٠).

(٤) المراغي، تفسير المراغي، د. ط، (١٢/٩٠-٩١). وقوله: " من العبادات العملية" تحكم بلا دليل، بل اتباع الكتاب والسنة في باب الخبرات وباب العمليات على حد سواء، كما قرره - رحمه الله - في أول كلامه باتباع السلف.

وقال ابن القيم: "فبين أن الاستقامة ضد الطغيان. وهو مجاوزة الحدود في كل شيء"^(١).

وقال أيضا: "ولهذا كان الدين كله في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]"^(٢).

وقال الفيروز آبادي: "واستقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم"^(٣).

وقال أيضا: "والاستقامة: لزوم المنهج القويم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، فبين أن الاستقامة بعدم الطغيان، وهو مجاوزة الحدود.

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثَلَّكُمُ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]. وسئل صديق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: "ألا تشرك بالله شيئا"^(٤). يريد الاستقامة على محض التوحيد.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أن يستقيم على الأمر والنهي، ولا يروغ روغان الثعلب"^(٥).

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (١٠٤/٢).

(٢) ابن القيم، طريق الهجرتين، ط ٢، (٤١/١).

(٣) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ط ٣، (١٤٦/٢).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، (٤٦٤/٢١)، وإسناده ضعيف، فيه سعيد بن نمران، مجهول، كما في الميزان (١٦١/٢)، لكنه توبع بالأسود بن هلال عند الطبري أيضا، (٤٦٤/٢١)، وقد أخرج الحاكم هذه الطريق، في المستدرک، (٤٤٠/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي. والخلاصة: أنه حسن لغيره. وانظر أيضا: الدر المنثور، (٦٨١/٥).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد، (١١٠/١)، (٣٢٥)، ومن طريقه الطبري في جامع البيان، (١٠٧/١١)، وأحمد في الزهد، ص ١٤٤، وإسناده صحيح إلى الزهري.

وقال عثمان رضى الله عنه: "استقاموا: أخلصوا العمل لله"^(١).

وقال عليّ رضى الله عنه، وابن عباس رضى الله عنهما: "استقاموا: أدّوا الفرائض"^(٢).

وقال الحسن البصرى: "استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته"^(٣).

وقال مجاهد - رحمه الله -: "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، حتى لحقوا بالله"^(٤).

وقال بعضهم: "استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة"^(٥).

وعند مسلم عن سفيان بن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله: قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل آمنت بالله ثم استقم"^(٦).

(١) ذكره القرطبي، أحكام القرآن، ط ٢، (٣٥٨/١٥)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان، (٢٩٣/٨)، بلا إسناد، وكذا البغوي في معالم التنزيل، ط ١، (١٧٢/٧).

(٢) أثر عليّ أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان، (٢٩٣/٨)، وأثر ابن عباس أخرجه الطبري في جامع البيان، (٤٦٥/٢١)، من رواية علي بن أبي طلحة عنه.

وصحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ثابتة أثنى عليها الإمام أحمد، قال: "بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا؛ ما كان كثيرا". أسنده أبو جعفر النحاس في النسخ والمنسوخ، (٧٥/١). قال ابن حجر: "وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن أبي صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه كثيرا فيما يعلق عن ابن عباس. وقال قوم: لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير... ثم قال ابن حجر: بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة؛ فلا ضير في ذلك أ.هـ. / الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط ٣، (١٧/٢). وانظر أيضا: ابن حجر العسقلاني، العجائب في بيان الأسباب، د. ط، (٢٠٧/١)، بتحقيق عبد الحكيم الأنيس.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان، (٢٩٤/٨).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، (٤٦٥/٢١). وكذا قال عكرمة والسدي وغيرهما، كما في جامع البيان، (٤٦٥/٢١)، وهي آثار يقوي بعضها بعضا.

(٥) قال ابن القيم: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة" / مدارج السالكين، ط ٣، (١٠٤/٢).

(٦) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، (٢٨٣/١)، (٨٣).

وعن ثوبان يرفعه: "استقيموا ولن تُحْصُوا، واعلموا أنَّ خير أعمالكم الصَّلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلاَّ مؤمن"^(١)....

فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهو القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصّدق، والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلّق بالأقوال والأفعال والأحوال والنّيّات.

فالاستقامة فيها، وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله"^(٢).

وقال الرازي: "وهذه الكلمة كلمة جامعة في كل ما يتعلق بالعقائد والأعمال"^(٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن الاستقامة هي لزوم المنهج القويم.

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن، (١/١٦٥)، (٢٧٧)، كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء. وأخرجه الحاكم في المستدرک (١/١٣٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة... قلت: وله شواهد كثيرة ذكرها الألباني في إرواء الغلیل، ط٢، (٤١٢).

(٢) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ط٣، (٤/٣١١-٣١٣).

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ط٣، (١٨/٤٠٦).

سورة يوسف

٤٤ . قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها: من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاز إلى طاعته، وترك معصيته؛ (سبيلي)، وطريقي ودعوتي، (أدعو إلى الله) وحده لا شريك له (على بصيرة)، بذلك، ويقين عليم متي به أنا، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي" (١).

ثم ذكر بإسناده تفسيراً عظيماً عن ابن زيد قال: "قال ابن زيد، في قوله: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة)، قال: "هذه سبيلي": هذا أمري وسنتي ومنهاجي (أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)، قال: وحق - والله - على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويدكر بالقرآن والموعظة، وينهى عن معاصي الله" (٢).

وقال ابن كثير: "يقول الله تعالى لعبد ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمراً له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي" (٣).

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٢٩١/١٦).

(٢) المصدر نفسه، (٢٩٢/١٦).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٢٢/٤).

وقال السعدي: "يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ) للناس (هَذِهِ سَبِيلِي) - أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له" (١).

وقال الشوكاني: "وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله - أي: الدعاء إلى الإيمان به، وتوحيده، والعمل بما شرعه لعباده" (٢).

وقال ابن القيم: "ف (من اتبعني) إن كان عطفاً على الضمير في أدعو إلى الله؛ فهو دليل أن أتباعه هم الدعوة إلى الله، وإن كان عطفاً على الضمير المنفصل؛ فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون من عداهم.

والتحقيق أن العطف يتضمن المعنيين؛ فأتباعه هم أهل البصيرة الذين يدعون إلى الله... " (٣).

وقال أيضاً: "فدلت الآية أيضاً على أن من لم يكن على بصيرة؛ فليس من أتباع الرسول، وأن أتباعه هم أولو البصائر؛ ولهذا قال: (أنا ومن اتبعني)" (٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن سبيل الرسول ﷺ هي الدعوة إلى الله على بصيرة، ولا يكون ذلك إلا بتجريد الاتباع.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٤٠٦/١).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٧١/٣).

(٣) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (١٥٥-١٥٦)، ومفتاح دار السعادة، ط ١، (١٥٤/١).

(٤) ابن القيم، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ط ١، ص ٢٣.

سورة الرعد

٤٥. قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد: ١٧].

قال ابن كثير: "اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، ...

(كذلك يضرب الله الحق والباطل) - أي: إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل؛ ولهذا قال: (فأما الزبد فيذهب جفاء) - أي: لا يُنتفع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح. وكذلك خبت الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب، لا يرجع منه شيء، ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به" (١).

ولابن تيمية توجيه آخر، وتابعه عليه ابن القيم والسعدي بما خلاصته أن هذه أمثال للوحي وانتفاع الناس به، ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم أن هذه أمثال للحق؛ فإن الحق في الوحي.

قال ابن تيمية: "وكذلك يضرب الله الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب، ونوراً لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض، وبالنار التي يحصل بها النور...." (٢).

وقال ابن القيم: "ولهذا يضرب الله سبحانه وتعالى المثلين المائي والناري لوحيه ولعباده.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤/٤٤٧).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٩/٩٤-٩٥)، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٤١٥).

أما الأول: فكما قال في سورة الرعد... فضرب لوجيه المثل بالماء؛ لما يحصل به من الحياة، وبالنار؛ لما يحصل بها من الإضاءة والإشراق.... وأما ضرب هذين المثلين للعباد، فكما قال في سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ﴾ (١٨)، فهذا المثل الناري، ثم قال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْدِعَهُمْ فِيءًا وَإِنَّهُمْ مِنَ الصَّاعِقِ حَدَرَالْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٧ - ٢٠]، فهذا المثل المائي" (١).

وخلاصة هذا الأصل: أن الحق باق، والباطل ذاهب.

٤٦. قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الرعد: ١٩).

قال السعدي: "يقول تعالى - مفرقا بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم -: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ) ففهم ذلك وعمل به. (كَمَنْ هُوَ أَعْمَى) لا يعلم الحق، ولا يعمل به، فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض" (٢).

وقال الشوكاني: "الهمزة في قوله: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ) للإنكار على من يتوهم المماثلة بين من يعلم أنما أنزل الله سبحانه إلى رسوله ﷺ من الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، وهو القرآن، وبين من هو أعمى لا يعلم ذلك؛ فإن الحال بينهما متباعد جدا، كالتباعد الذي بين الماء والزبد، وبين الخبث والخالص من تلك الأجسام، ثم بين سبحانه أنه إنما يقف على تفاوت المنزلتين، وتباين الرتبين أهل العقول الصحيحة، فقال: (إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ) ثم وصفهم بهذه الأوصاف المادحة" (٣).

وقال ابن القيم: "وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الرعد: ١٩). وكان ما شهدوه من ذلك بالعقل والفطرة لا بمجرد الخبر، بل جاء إخبار

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ط ٢، (٢٢/١).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٤١٦/١).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٩٢/٣-٩٣).

الرب تعالى وإخبار رسوله مطاباً لما في فطرهم السليمة، وعقولهم المستقيمة؛ فتضافر على إيمانهم به الشريعة المنزلة، والفطرة المكملّة، والعقل الصريح؛ فكانوا هم العقلاء حقاً، وعقولهم هي المعيار، فمن خالفها فقد خالف صريح المعقول، والقواطع العقلية"^(١).

وقال أيضاً: "قسم الناس قسمين: أحدهما: العلماء بأن ما أنزل إليه من ربه هو الحق. والثاني: العمي؛ فدل على أنه لا واسطة بينهما"^(٢).

وقال الشنقيطي: "ولا شك أن من عميت بصيرته عن النور؛ تخبط في الظلام، ومن لم يجعل الله له نورا، فما له من نور.

وبهذا تعلم أيها المسلم المنصف، أنه يجب عليك الجد والاجتهاد في تعلم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ بالوسائل النافعة المنتجة، والعمل بكل ما علمك الله منهما علماً صحيحاً.

ولتعلم أن تعلم كتاب الله وسنة رسوله في هذا الزمان أسير منه بكثير في القرون الأولى؛ لسهولة معرفة جميع ما يتعلق بذلك، من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومبين، وأحوال الرجال، من رواية الحديث، والتمييز بين الصحيح والضعيف؛ لأن الجميع ضُبط وأُتقن ودُون، فالجميع سهل التناول اليوم. فكل آية من كتاب الله قد علم ما جاء فيها من النبي ﷺ ثم من الصحابة والتابعين وكبار المفسرين. وجميع الأحاديث الواردة عنه ﷺ حُفظت ودُونت، وعُلمت أحوال متونها وأسانيدها، وما يتطرق إليها من العلل والضعف.

فجميع الشروط التي اشترطوها في الاجتهاد يسهل تحصيلها جداً على كل من رزقه الله فهما وعِلماً. والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، ونحو ذلك؛ تسهل معرفته اليوم على كل ناظر في الكتاب والسنة ممن رزقه الله فهما، ووفقه لتعلم كتاب الله وسنة رسوله.

(١) ابن القيم، طريق الهجرتين، ط ٢، (١/١٥٥). والكتاب الذي ذكره هو كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: "درء تعارض العقل والنقل".

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط ١، (١/٩١).

واعلم أيها المسلم المنصف، أنّ من أشنع الباطل وأعظم القول بغير الحق، على الله وكتابه وعلى النبي وسنته المطهرة، ما قاله الشيخ أحمد الصاوي، في حاشيته على الجلالين، في سورة الكهف وآل عمران - واغتر بقوله في ذلك خلق لا يحصى من المتسمّين باسم طلبة العلم؛ لكونهم لا يميزون بين حق وباطل؛ فقد قال الصاوي، أحمد المذكور: "... ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل، وربما أداه ذلك للكفر؛ لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر"^(١). انتهى منه بلفظه.

فانظر يا أخي - رحمك الله - ما أشنع هذا الكلام، وما أبطله! وما أجرأ قائله على الله وكتابه، وعلى النبي ﷺ وأصحابه! سبحانك، هذا بهتان عظيم....

والتحقيق الذي لا شك فيه، وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وعامة علماء المسلمين؛ أنه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في حال من الأحوال بوجه من الوجوه، حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح.

والقول بأن العمل بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر لا يصدر البتة عن عالم بكتاب الله وسنة رسوله، وإنما يصدر عن لا علم له بالكتاب والسنة أصلاً؛ لأنه - لجهله بهما - يعتقد ظاهرهما كفراً، والواقع في نفس الأمر أن ظاهرهما بعيد مما ظنه أشد من بعد الشمس من اللمس"^(٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن أولي الألباب هم الذين يعلمون الحق، ومن سواهم غمي.

(١) الصاوي، حاشية الصاوي على الجلالين، ط ١، (١٩/٤). والصاوي من المالكية، ولد بـ "صا الحجر"، الغربية، بمصر، وتوفي بالمدينة. / انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، د. ط، (١/٢٦٩).

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٧/٢٦٤-٢٦٧).

سورة الحجر

٤٧. قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤١) [الحجر: ٤١].

لا يقدم قول أحد في هذه الآية، وما كان مثلها على قول البحر المحقق ابن تيمية الهمام، حيث ذكر اختلاف المفسرين في هذه الآية، وما كان مثلها، فقال: "فصل: في آيات ثلاث متناسبة متشابهة اللفظ والمعنى يخفى معناها على أكثر الناس:

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) [الحجر: ٤١ - ٤٢]. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ [النحل: ٩]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) [الليل: ١٢ - ١٣]. فلفظ هذه الآيات فيه أن السبيل الهادي هو على الله.

ثم ذكر أقوال المفسرين في ذلك، ثم قال:

قلت: القول الصواب هو قول أئمة السلف - قول مجاهد ونحوه - فإنهم أعلم بمعاني القرآن، لا سيما مجاهد؛... وما ذكره عن مجاهد ثابت عنه. رواه الناس كابن أبي حاتم وغيره. من تفسير ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: (هذا صراط علي مستقيم): الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه لا يعرج على شيء^(١).

وذكر عن قتادة أنه فسرهما على قراءته - وهو يقرأ "علي" - فقال: أي: رفيع مستقيم. وكذلك ذكر ابن أبي حاتم عن السلف أنهم فسروا آية النحل. فروي من طريق ورقاء عن ابن أبي

(١) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ط ١، (٢٢٦٤/٧). وورقاء هو ورقاء بن عمر الإشكري، والكلام عليه وعلى تفسيره، ودرجته في الرواية مستوفى في: المزي، تهذيب الكمال، (٤٣٣/٣٠)، ط ١. وابن أبي نجيح هو عبد الله بن أبي نجيح المكي، المفسر صاحب مجاهد، (ت ١٣١هـ). انظر: الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، ص ١٦، ط ١.

نجيح عن مجاهد قوله: ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] قال: طريق الحق على الله^(١). قال: وروي عن السدي أنه قال: الإسلام. وعطاء قال: هي طريق الجنة.

فهذه الأقوال - قول مجاهد والسدي وعطاء - في هذه الآية هي مثل قول مجاهد والحسن في تلك الآية..... فقد تبين أن جمهور المتقدمين فسروا الآيات الثلاث بأن الطريق المستقيم لا يدل إلا على الله.....

وتلك الآيات قصد بها أن سبيل الحق والهدى، وهو الصراط المستقيم، هو الذي يسعد أصحابه وينالون به ولاية الله ورحمته وكرامته، فيكون الله وليهم دون الشيطان. وهذه سبيل من عبد الله وحده وأطاع رسوله؛ فلهذا قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ﴾ [الليل: ١٢]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ [النحل: ٩]، ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١]. فالهدى، وقصد السبيل، والصراط المستقيم إنما يدل على عبادته وطاعته - لا يدل على معصيته وطاعة الشيطان.

فالكلام تضمن معنى "الدلالة"؛ ... فكأنه قيل: الصراط المستقيم يدل على الله - على عبادته وطاعته. وذلك يبين أن من لغة العرب أنهم يقولون: "هذه الطريق على فلان" إذا كانت تدل عليه، وكان هو الغاية المقصود بها؛ وهذا غير كونها "عليه" بمعنى أن صاحبها يمر عليه. وقد قيل:

فهن المنايا أي واد سلكته ... عليها طريقي أو علي طريقها

وهو كما قال الفراء: من سلك الهدى فعلى الله سبيله. فالمقصود بالسبيل هو: الذي يدل ويوقع عليه، كما يقال: إن سلكت هذه السبيل؛ وقعت على المقصود، ونحو ذلك، وكما يقال: "على الخير سقطت". فإن الغاية المطلوبة إذا كانت عظيمة فالسالك يقع عليها ويرمي نفسه عليها.

(١) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ط ١، (٢٢٧٨/٧).

وأيضاً؛ فسالك طريق الله متوكل عليه؛ فلا بد له من عبادته ومن التوكل عليه. فإذا قيل: "عليه الطريق المستقيم" تضمن أن سالكه عليه يتوكل، وعليه تدله الطريق، وعلى عبادته وطاعته يقع ويسقط، لا يعدل عن ذلك، إلى نحو ذلك من المعاني التي يدل عليها حرف الاستعلاء دون حرف الغاية"^(١).

وقال ابن القيم: "وهذا المعنى في القرآن في ثلاث مواضع: ههنا، وفي النحل، في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، وفي الحجر في قوله: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١]، وهو معنى شريف جليل، يدل على أن سالك طريق الهدى يوصله طريقه إلى الله ولا بد، والهدى: هو الصراط المستقيم، فمن سلكه أوصله إلى الله. فذكر الطريق والغاية، فالطريق: الهدى، والغاية: الوصول إلى الله. فهذه أشرف الوسائل، وغايتها أعلى الغايات...."^(٢).

وقال أيضاً: "وهذا؛ لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله، موصل إلى الله، قال الله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١]. قال الحسن: معناه صراط إليّ مستقيم.

وهذا يحتمل أمرين: أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض، فقامت أداة "على" مقام "إلى"، والثاني: أنه أراد التفسير على المعنى، وهو الأشبه بطريق السلف-أي: صراط موصل إلي.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٥/١٩٨-٢١٦)، مقتطفات. وبيان كلامه - رحمه الله - فيما يتعلق بالتضمن، أن أصل الكلام: صراط إلي يدل علي. فحذف حرف الجر المتعلق بـ "صراط"، مع متعلق علي - أي: حذف حرف الجر الأول، وجيء بحرف الجر الثاني مكانه ليدل عليه، على ما هو معروف من معنى التضمن. / انظر: حبكة الميداني، البلاغة العربية، ط ١، (٤٩/٢).

(٢) ابن القيم، التبيان في أقسام في القرآن، ط ١، (١/٧٠).

وقال مجاهد: الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه، لا يُعَرَّج على شيء، وهذا مثل قول الحسن، وأبين منه، وهو من أصح ما قيل في الآية.....^(١).

وخلاصة هذا الأصل العظيم: أن طريق الحق واحدة، وهي الوحيدة الموصلة إلى الله، وجنته.

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٣٨-٤٢)، باختصار.

سورة النحل

٤٨. قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

سبق تأصيل هذه الآية في آية هود، وآية الحجر، بما خلاصته أن الله على الحق في شأنه كله سبحانه، وعليه سبيله: تدل عليه، وتوصل إليه.

قال ابن كثير: "لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية؛ نبه على الطرق المعنوية الدينية. وكثيرا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية، كما قال تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال: ﴿يَنْبَغِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِدْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

ولما ذكر في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها، التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم، وتحمل أثقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة؛ شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه، فبين أن الحق منها ما هي موصلة إليه، فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ [النحل: ٩]. كما قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحجر: ٤١].

قال مجاهد: في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]؛ قال: طريق الحق على الله.

وقال السدي: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، قال: الإسلام. وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، يقول: وعلى الله البيان - أي: تبين الهدى والضلال. وكذا روى علي بن أبي طلحة، عنه، وكذا قال قتادة، والضحاك.

وقول مجاهد هاهنا أقوى من حيث السياق؛ لأنه تعالى أخبر أن ثم طرقا تسلك إليه، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق، وهي الطريق التي شرعها ورضيها، وما عداها مسدودة، والأعمال فيها مردودة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ [النحل: ٩] - أي: حائد مائل زائغ عن الحق.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: هي الطرق المختلفة، والآراء والأهواء المتفرقة، كاليهودية والنصرانية والمجوسية^(١) " (٢).

وقال السعدي: " وأما الطريق الجائر في عقائده وأعماله، وهو: كل ما خالف الصراط المستقيم؛ فهو قاطع عن الله، موصل إلى دار الشقاء، فسلك المهتدون الصراط المستقيم بإذن ربهم، وضل الغاؤون عنه، وسلكوا الطرق الجائرة. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩] ولكنه هدى بعضا كرما وفضلا، ولم يهد آخرين، حكمة منه وعدلا" (٣).

وخلاصة هذا الأصل: كالذي قبله.

٤٩. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ ۖ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣-٤٤].

قال الطبري: " يقول: فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذي كنا نرسل إلى من قبلهم من الأمم من جنسهم، وعلى منهاجهم....." (٤).

وقال ابن كثير: "...، فتفصل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أشكل: (ولعلهم يتفكرون) - أي: ينظرون لأنفسهم فيهدون، فيفوزون بالنجاة في الدارين" (٥).

(١) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ط ١، (٢٢٧٨/٧)، والطبري، جامع البيان، ط ١، (١٧٥/١٧).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٥٦٠/٤).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٤٣٦/١).

(٤) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٢٠٧/١٧-٢١١).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٥٧٤/٤).

وقال السعدي: "... وهذا شامل لتبيين ألفاظه، وتبيين معانيه، (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فيه؛ فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه" (١).

وقال ابن تيمية: " يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٣ - ٤٤] يتناول هذا وهذا.

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي - رحمه الله -: " حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن: كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات؛ لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً" (٢)؛ ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة.

وقال أنس رضي الله عنه: " كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران؛ جلّ في أعيننا" (٣).

وأقام ابن عمر رضي الله عنهما على حفظ البقرة عدة سنين. قيل: ثمان سنين، ذكره مالك (٤) (٥).

وقال ابن القيم: " فكل ما بيّنه رسول الله ﷺ، فعن ربه سبحانه بينه بأمره وإذنه" (٦).

وخلاصة هذا الأصل: أن الرسول بيّن القرآن، وأكمل الله به الدين؛ فبطل الابتداع فيه.

٥٠. قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٤٤١/١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، (٤١٠/٥)، وإسناده حسن، تحقيق الأرئوط، برقم (٢٣٤٨٢).

(٣) رواه أحمد في المسند، (١٢١/٣)، وأصله عند البخاري في الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (٣٦١٧).

(٤) ذكره مالك في الموطأ بلاغا، كتاب القرآن، باب ما جاء في قراءة القرآن، (١٤٨/٢)، (٥٢٢).

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٣١/١٣).

(٦) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (١٨٦/١).

قال الطبري: "وقوله: (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول: وهو مع أمره بالعدل، على طريقٍ من الحق في دعائه إلى العدل، وأمره به مستقيم، لا يَعْوَجُّ عن الحق ولا يزول عنه" ^(١).

وقال ابن تيمية: "وقد ضرب ذلك مثلاً لنفسه؛ فإنه سبحانه عالم عادل قادر، يأمر بالعدل، وهو قائم بالقسط على صراط مستقيم. كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال هود: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] ^(٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن منهاج الله وكتابه ودينه هو العدل، والصراط المستقيم

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٢٦٢/١٧).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١١٦/١٠).

سورة الإسراء

٥١. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ [الإسراء: ٩].

قال الطبري: "يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه وهو الإسلام، يقول جل ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به" (١).

ثم أسند عن ابن زيد - رحمه الله - قوله: "التي هي أصوب: هو الصواب، وهو الحق؛ قال: والمخالف هو الباطل، وقرأ قول الله تعالى: (فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ)، قال: فيها الحق ليس فيها عوج. وقرأ: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا) يقول: قيما مستقيما" (٢).

وقال ابن كثير: "يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن، بأنه يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل" (٣).

وقال السعدي: "يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنه (يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) - أي: أعدل وأعلى من العقائد، والأعمال، والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن؛ كان أكمل الناس، وأقومهم، وأهداهم؛ في جميع أموره" (٤).

وقال أيضا: "ما أعظم هذه القاعدة، وما أحكم هذا الأصل العظيم الذي نص الله نصاً صريحاً على عموم ذلك، وعدم تقييد هذا الهدى بحالة من الأحوال.

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٣٩٢/١٧).

(٢) المصدر نفسه، (٣٩٢/١٧). وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، (ت ١٠٢هـ). انظر: طبقات المفسرين، ص ١١.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٨/٥).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٤٥٤/١). وقد جعل الشيخ هذه الآية من القواعد الحسان في تفسير القرآن:

القاعدة التاسعة والخمسون، ص ١٤٦.

فكل حالة هي أقوم، في العقائد، والأخلاق، والأعمال، والسياسات الكبار والصغار، والصناعات والأعمال الدينية والدنيوية؛ فإن القرآن يهدي إليها ويرشد إليها، ويأمر بها ويحث عليها. معنى (أقوم) - أي: أكرم وأنفس وأصلح وأكمل استقامة، وأعظم قياماً وصلاًحاً للأمر....

وتفصيل هذا الأصل لا يمكن استيفاءه في هذه القواعد الإجمالية، فكل التفاصيل الواردة في الكتاب والسنة، وما تقتضيه المصالح تفصيلاً لهذا الأصل المحيط.

وبهذا وغيره تبين لك أنه لا يمكن أن يرد علم صحيح أو معنى نافع أو طريق صلاح ينافي القرآن. والله ولي الإحسان" (١).

وقال الشنقيطي: ".... وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها.

فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال؛ لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة. ولكننا إن شاء الله تعالى سنذكر جملاً وافرة في جهات مختلفة كثيرة من هدى القرآن للطريق التي هي أقوم؛ بياناً لبعض ما أشارت إليه الآية الكريمة؛ تنبيهاً ببعضه على كله من المسائل العظام، والمسائل التي أنكرها الملحدون من الكفار، وطعنوا بسببها في دين الإسلام؛ لقصور إدراكهم عن معرفة حكمها البالغة" (٢).

ثم ذكر جملاً من ذلك، تقدم ذكرها مختصرة في الباب الأول (٣).

وقال ابن تيمية: "وما أحسن ما وصف الله به كتابه بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. فأقوم الطريق إلى أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله، وأما طريق هؤلاء؛ فهي - مع ضلالهم في البعض، واعوجاج طريقهم، وطولها في البعض الآخر - إنما توصلهم إلى أمر

(١) السعدي، القواعد الحسان، القاعدة التاسعة والخمسون، ط ١، ص ١٤٦.

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (١٧/٣).

(٣) انظر ص ٤٦ من هذا البحث.

لا ينجي من عذاب الله، فضلاً عن أن يوجب لهم السعادة، فضلاً عن حصول الكمال للأنفس البشرية بطريقهم" (١).

وخلاصة هذا الأصل: أن الهداية للطريقة الأقوم، والمنهاج الأحق؛ إنما ذلك في كتاب الله.

٥٢. قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز، وهو القرآن المجيد، أنه بالحق نزل - أي: متضمناً للحق، كما قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ﴾ [النساء: ١٦٦] - أي: متضمناً علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه، من أحكامه وأمره ونهيهِ.

وقوله: (وبالحق نزل) - أي: ووصل إليك - يا محمد - محفوظاً محروساً، لم يُشَبَّ بغيره، ولا زيد فيه ولا نقص منه" (٢).

ففسر الأولى بما اشتمل عليه القرآن، والثانية بطريقة إنزاله.

و كذا قال الشنقيطي: "بيّن جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أنزل هذا القرآن بالحق - أي: متلبساً به متضمناً له. فكل ما فيه حق. فأخبره صدق، وأحكامه عدل، كما قال تعالى: ﴿وَكَمَّمْتُ كَلِمَتُ رِيقِكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وكيف لا! وقد أنزله جل وعلا بعلمه، كما قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ﴾ [النساء: ١٦٦] الآية.

وقوله: (وبالحق نزل) يدل على أنه لم يقع فيه تغيير ولا تبديل في طريق إنزاله" (٣).

وقال ابن عاشور: "وقد ذكر فعل النزول مرتين، وذكر له في كل مرة متعلق متمثل اللفظ، لكنه مختلف المعنى، فعلق إنزال الله إياه بأنه بالحق؛ فكان معنى الحق الثابت الذي لا ريب فيه ولا

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٥٣/٩).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٢٧/٥).

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٢٦٥/٣).

كذب، فهو كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، وهو رد لتكذيب المشركين أن يكون القرآن وحياً من عند الله.

وعلق نزول القرآن - أي: بلوغه للناس بأنه بالحق؛ فكان معنى الحق الثاني مقابل الباطل - أي: مشتملاً على الحق الذي به قوام صلاح الناس، وفوزهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]"^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن إنزال القرآن حق من عند الله، وأنه نزل بالحق مشتملاً عليه.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢٢٩/١٥).

سورة الكهف

٥٣. قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندنا، أن يقال: إن الله عز وجل عني بقوله: (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مُرضٍ، وهو بفعله ذلك لله مُسَخِّط، وعن طريق أهل الإيمان به جائز" (١).

قال ابن كثير: "ومعنى هذا عن علي، رضي الله عنه: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص، ولا هؤلاء، بل هي أعم من هذا؛ فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى، وقبل وجود الخوارج بالكلية.

وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود، كما قال تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) [الغاشية: ٢ - ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (١٣) [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ يَفِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

وقال في هذه الآية الكريمة: (قل هل ننبئكم) - أي: نخبركم (بالأخسرين أعمالاً)؟ ثم فسره فقال: (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) - أي: عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة، (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) - أي: يعتقدون أنهم على شيء، وأنهم مقبولون محبوبون" (٢).

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (١٢٥/١٨ - ١٢٨)، مختصراً.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٠٢/٥).

وقال الشوكاني: "والأولى حمل الآية على العموم لكل من اتصف بتلك الصفات المذكورة"^(١).

وقال ابن تيمية: "وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أنهم كانوا يتأولونها في الحرورية ونحوهم من أهل البدع والضلالات"^(٢).

وقال أيضا: "... ولهذا تأول أصحاب النبي ﷺ هذه الآية فيمن يتعبد بغير شريعة الله التي بعث بها رسوله: من المشركين، وأهل الكتاب، كالرهبان، وفي أهل الأهواء من هذه الأمة كالخوارج"^(٣).

وقال ابن القيم: "وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل، أو على غير سنة رسول الله ﷺ، وحال أرباب العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوة، ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال، وكناسة أفكارهم، فأتبعوا قواهم وأفكارهم وأذهانهم في تقرير آراء الرجال أو الانتصار لهم، وفهم ما قالوه، وبثه في المجالس والمحاضر، وأعرضوا عما جاء به الرسول صفحا، ومن به رفق منهم يعيره أدنى التفات؛ طلبا للفضيلة....."^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن من حاد عن المنهاج خاسر عمله، ضال سعيه، وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

٥٤. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن كثير: " (فمن كان يرجو لقاء ربه) - أي: ثوابه وجزاءه الصالح؛ (فليعمل عملا صالحا)، ما كان موافقا لشرع الله، (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وهو الذي يراد به وجه الله وحده

(١) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٣/٣٧٣).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٠/٤٤٩).

(٣) ابن تيمية، جامع الرسائل، ط ١، (١/٢٣١).

(٤) ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ط ١، (٢/٨٩).

لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل. لا بد أن يكون خالصا لله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ^(١).

وقال ابن تيمية: "وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان: أحدهما: أن لا نعبد إلا الله. والثاني: أن لا نعبد إلا بما شرع، لا نعبد بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. قال الفضيل بن عياض: "أخلصه وأصوبه". قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: "إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً؛ لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً؛ لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة"^(٢). وذلك تحقيق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]^(٣).

وقال ابن القيم: "وقد قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الاعمال سواه، وهو أن يكون موافقاً لسنة رسول الله، مراداً به وجه الله، ولا يتمكن العامل من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلا بالعلم؛..."^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن العمل لا يقبل إلا إذا كان على المنهاج، وذلك بالشرطين المذكورين: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول. وهذا الأصل والذي قبله متلازمان.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٠٥/٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (٩٥/٨).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٣٣/١).

(٤) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط ١، (٨٢/١).

سورة مريم

٥٥. قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤٣) [مريم: ٤٣].

وهذا مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) [الأنعام: ١٥٣]، مع حديث ابن مسعود في تفسيرها، كما تقدم، حيث فيه ذكر سبيل الله، وذكر السبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وهكذا هنا، ذكر سبحانه عن إبراهيم دعوته أباه أن يتبعه؛ لأن اتباعه هداية إلى صراط سوي هو سبيل الله، وما سواه عبادة الشيطان.

وتأمل ههنا أيضاً كيف ذكر العلم قبل، والذي لا تحصل الاستقامة على الصراط إلا به.

قال القاسمي: "(يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) - أي: وحق القاصر اتباع الإنسان الكامل (فاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) - أي: معتدلاً لا إفراط فيه بعبادة من لا يستحق، ولا تفريط بترك عبادة من يستحق، وكذا في باب الأخلاق والأعمال" (١).

وقال الشعراوي - رحمه الله -: "ثم يقول: (فاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)؛ لأن هذا المنهج الذي أدعوك إليه ليس من عندي، بل من أعلى مني ومنك. والصراط السوي: هو الطريق المستقيم الذي يوصلك للغاية بأيسر مشقة، وفي أقصر وقت" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن الهداية إلى الصراط المستقيم تكون باتباع الأنبياء.

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ط ١، (١٠٠/٧).

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، (١/٥٥٥٥).

سورة طه

٥٦. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۖ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۖ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

أسند الطبري عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)". وأسند عنه أيضا قال: "عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: "من قرأ القرآن واتبع ما فيه؛ عصمه الله من الضلالة، ووقاه - أظنه أنه قال: من هول يوم القيامة" (١).

وقال ابن عاشور: "وفي هذه الآية وصاية الله آدم وذريته باتباع رسل الله والوحي الإلهي.... وأما قوله: (فلا يضل) فمعناه: أنه إذا اتبع الهدى الوارد من الله على لسان رسله؛ سلم من أن يعتريه شيء من ضلال، وهذا مأخوذ من دلالة الفعل في حيز النفي على العموم، كعموم النكرة في سياق النفي.... وهذا حال متبعي الشرائع غير الإلهية، وهي الشرائع الوضعية،..." (٢).

وقال الشنقيطي: " - أي: من آمن برسلي وصدق بكتبي، وامثل ما أمرت به، واجتنب ما نهيت عنه على ألسنة رسلي؛ فإنه لا يضل في الدنيا - أي: لا يزيغ عن طريق الحق؛ لاستمسাকে بالعروة الوثقى، ولا يشقى في الآخرة؛ لأنه كان في الدنيا عاملا بما يستوجب السعادة من طاعة الله تعالى، وطاعة رسله. وهذا المعنى المذكور هنا ذكر في غير هذا الموضع، كقوله في «البقرة»: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨]، ونحو ذلك من الآيات" (٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن من اتبع الهدى - بالسير على المنهاج - لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٣٨٩/١٨).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٣٣٠/١٦).

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (١٢٥/٤).

سورة الأنبياء

٥٧. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢).

قال ابن كثير: "قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: (إن هذه أمتكم أمة واحدة)، يقول: دينكم دين واحد. وقال الحسن البصري - في هذه الآية -: بين لهم ما يتقون وما يأتون، ثم قال: (إن هذه أمتكم أمة واحدة) - أي: سنتكم سنة واحدة.

فقوله: (إن هذه) إن واسمها، و (أمتكم) خبر إن - أي: هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم، وقوله: (أمة واحدة) نصب على الحال؛ ولهذا قال: (وأنا ربكم فاعبدون)، كما قال: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) [المؤمنون: ٥١ - ٥٢]، وقال رسول الله ﷺ: "نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد" (١).

يعني: أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له، بشرائع متنوعة لرسله، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] (٢).

وقال السعدي: "... فإذا كان الرب واحداً، والنبي واحداً، والدين واحداً، وهو عبادة الله، وحده لا شريك له، بجميع أنواع العبادة؛ كان وظيفتكم والواجب عليكم القيام بها؛ وكان اللائق الاجتماع على هذا الأمر، وعدم التفرق فيه، ولكن البغي والاعتداء أبياً إلا الافتراق والتقطع؛ ولهذا قال: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَجُوعٌ﴾ (الأنبياء: ٩٣) - أي: تفرق الأحزاب المنتسبون لأتباع الأنبياء فرقا، وتشتتوا، كل يدعي أن الحق معه، والباطل مع الفريق

(١) أخرجه البخاري. كتاب الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم)، (٣٠٥/٨)، برقم (٣٤٤٢)، ومسلم. كتاب

الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، (١٤٣/٢٣٦٥).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٧١/٥).

الآخر، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وقد عُلم أن المصيب منهم، من كان سالكا للدين القويم، والصراط المستقيم، مؤتما بالأنبياء،....^(١).

وقال الشوكاني: "ثم لما ذكر سبحانه الأنبياء؛ بين أنهم كلهم مجتمعون على التوحيد، فقال: (إن هذه أمتكم أمة واحدة)، والأمة: الدين"^(٢).

وقال الشنقيطي: "والمراد بالأمة هنا: الشريعة والملة. والمعنى: وأن هذه شريعتكم شريعة واحدة، وهي توحيد الله على الوجه الأكمل من جميع الجهات، وامتنال أمره، واجتناب نهيهِ بإخلاص في ذلك. على حسب ما شرعه لخلقه. (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون) - أي: وحدي. والمعنى: دينكم واحد، وربكم واحد، فلم تختلفون؟! (وتقطعوا أمرهم بينهم) - المعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً، كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه، فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب؛ تمثيلاً لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فرقاً شتى"^(٣).

وقال ابن تيمية: "والأمة: الملة والطريقة، كما قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِلَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، كما تسمى الطريق إماماً؛ لأن السالك فيها يؤتم به، فكذلك السالك يؤمه ويقصده.

والأمة أيضاً: معلم الخير الذي يأتم به الناس، وإبراهيم عليه السلام جعله الله إماماً، وأخبر أنه كان أمة"^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن الدين واحد، والصراط واحد، والرب واحد، لا شريك له.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٥٣٠).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٣/٥٠٢).

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٤/٣٢١).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٨/٢١٩-٢٢٠)، (٤/٣٢٧).

سورة الحج

٥٨. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

قال ابن كثير: "لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلدين في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣]؛ ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلال من رعوس الكفر والبدع، فقال: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) - أي: بلا عقل صحيح، ولا نقل صحيح صريح، بل بمجرد الرأي والهوى" (١).

وقال السعدي: "المجادلة المتقدمة للمقلد، وهذه المجادلة للشيطان المريد، الداعي إلى البدع، فأخبر أنه (يُجَادِلُ فِي اللَّهِ) - أي: يجادل رسل الله وأتباعهم بالباطل؛ ليدحض به الحق، (بِغَيْرِ عِلْمٍ) صحيح (وَلَا هُدًى) - أي: غير متبع في جداله هذا من يهديه، لا عقل مرشد، ولا متبوع مهتد، (وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) - أي: واضح بين، أي: فلا له حجة عقلية ولا نقلية، إن هي إلا شبهات، يوحىها إليه الشيطان: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحِيَكَ لِئَوْفِيَٰ آيَاتِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]" (٢).

وقال ابن القيم: "فإن قيل فما الفرق بين الصنف الأول الذي يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد، والصنف الثاني الذي يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، كما ذكرهم سبحانه صنفين؟ قيل: قد ذكر سبحانه ثلاثة أصناف:

صنفاً يجادل في الله بغير علم، ويتبع كل شيطان مريد مكتوباً عليه إضلال من تولاه، وهذه حال المتبع لأهل الضلال.

وصنفاً يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه؛ ليضل عن سبيله، وهذه حال المتبوع المستكبر الصاد عن سبيل الله. فالأول: حال الأتباع، والثاني: حال المتبوعين.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٩٩/٥).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٥٣٤/١).

ثم ذكر حال من يعبد الله على حرف، وهذه حال المتبع لهواه، الذي إن حصل له ما يهواه من الدنيا؛ عبد الله، وإن أصابه ما يُمتحن به في دنياه؛ ارتد عن دينه، وهذه حال من كان مريضاً في إرادته وقصده، وهي حال أهل الشهوات والأهواء؛ ولهذا ذكر ذلك في العبادة، فأصلها القصد والإرادة، وأما الأولان فحال الضال والمضل، وذلك مرض في العلم والمعرفة، وهي حال أهل الشبهات، والنظر الفاسد، والجدال بالباطل....^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن أصول الجدال هي العلم أو الهدى أو كتاب منير، وأن المخالفين للصراط المستقيم لا شيء عندهم منها.

٥٩. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٣ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٤ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ٥٥﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٥].

قد أكثر المفسرون وغيرهم الكلام على هذه الآيات، ومن أجمع ما رأيت جمعاً للكلام عليها ما ذكره الشوكاني بقوله: "قال جماعة المفسرين في سبب نزول هذه الآية: إنه ﷺ لما شق عليه إعراض قومه عنه؛ تمنى في نفسه أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه؛ لحرصه على إيمانهم، فكان ذات يوم جالساً في ناد من أنديةهم، وقد نزل عليه سورة: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾﴾ [النجم: ١]، فأخذ يقرأها عليهم حتى بلغ قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ٢٠﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، وكان ذلك التمني في نفسه، فجرى على لسانه، مما ألقاه الشيطان عليه: "تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتها لترتجى"، فلما سمعت قريش ذلك؛ فرحوا ومضى رسول الله ﷺ في قراءته حتى ختم السورة. فلما سجد في آخرها؛ سجد معه جميع من في النادي؛ من المسلمين والمشركين، فافتقرت قريش مسرورين بذلك، وقالوا: قد ذكر محمد آهتنا بأحسن الذكر، فأتاه جبريل فقال: ما

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلّة، ط ٣، (١٠٨٨/٣ - ١٠٩١).

صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتكم به عن الله، فحزن رسول الله ﷺ، وخاف خوفاً شديداً، فأنزل الله هذه الآية. هكذا قالوا^(١).

ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته، بل بطلانه؛ فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ﴾^(٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ^(٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ^(٤٦) [الحاقة: ٤٤ - ٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢) [النجم: ٣]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْنِيَنَّاكَ لَفَازَكِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٧٤) [الإسراء: ٧٤]، فنفي المقاربة للركون، فضلاً عن الركون. - ثم ذكر أقوال من رد هذا من الأئمة، ثم قال:

فحاصل معنى الآية: أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك، من دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ، ولا جرى على لسانه، فتكون هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ - أي: لا يهولنك ذلك ولا يحزنك، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء....^(٢).

والذي يظهر في هذا المقام أن هذه الآيات كآيات سورة آل عمران في المحكمات والمتشابهات، لكن الفرق أن هذه إلقاء في الأسماع - سواء قيل: إن هذا إلقاء على لسان النبي، وفي الأسماع، أم فقط إلقاء في الأسماع - وتلك إلقاء في القلوب، والله تعالى أعلم.

(١) هذا السياق الذي فيه التمني المذكور، أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، (٢٥٠١/٨)، عن ابن شهاب الزهري؛ معضلاً، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة، (٢٨٥/٢)، ولم يذكر فيه ابن شهاب، وانظر: الدر المنثور، (٣٦٧/٤)، وأخرجه الطبري في جامع البيان، (١١٩/١٧) عن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، وأخرجه الطبري في جامع البيان، (١٢٢/١٧)، وابن أبي حاتم في التفسير، (٢٥٠٢/٨) عن قتادة، وكلها مراسلات معضلات. / وانظر: نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق، للألباني ص ٩-١٢.

وقد جمع الألباني روايات هذه القصة، وبيّن أنها لا يقوي بعضها بعضاً؛ خلافاً للحافظ ابن حجر العسقلاني؛ فليُنظر هناك. لكن الذي يظهر - والله أعلم - اعتماداً على قواعد النقد الحديثي - صحة ما ذكره ابن حجر، وعليه أيضاً ابن تيمية، وغيرهما، مع التنبيه على أن المراسيل التي هي محل التقوية هي التي فيها: (تمنى) بمعنى: قرأ، لا التي بمعنى التمني المعروف. والغرائيق: جمع غرنوق، وهو طائر الماء، شبهوا أصنامهم بها لأنها - بزعمهم - تعلقو وتشفع لهم.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٥٤٦/٣ - ٥٤٧).

ثم وجدت ابن تيمية - رحمه الله - ذكر مثل ذلك^(١). لكنه يرى أن الصواب ما نُقل عن السلف؛ خلافاً للمتأخرين، فقال: "والعصمة فيما يبلغونه - أي: الرسل - عن الله ثابتة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين. ولكن هل يصدر ما يستدركه الله، فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته؟ هذا فيه قولان. والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك.

والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة النجم بقوله: "تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى". وقالوا: إن هذا لم يثبت.

ومن علم أنه ثبت؛ قال هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم، ولم يلفظ به الرسول ﷺ، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضا. وقالوا في قوله: (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) هو حديث النفس.

وأما الذين قرروا ما نُقل عن السلف، فقالوا هذا منقول نقلاً ثابتاً، لا يمكن القدح فيه، والقرآن يدل عليه بقوله: - وذكر هذه الآيات [الحج: ٥٢ - ٥٤]. فقالوا: الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث، والقرآن يوافق ذلك، فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته، وتمييز الحق من الباطل؛ حتى لا تختلط آياته بغيرها، وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم؛ إنما يكون إذا كان ذلك ظاهراً يسمعه الناس، لا باطناً في النفس.

والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ^(٢).

ويؤيد هذا أثر حذيفة رضي الله عنه: "إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويُفتح فيها القرآن حتى يأخذهُ المؤمن والمنافق والرجل والمرأة، والصغير والكبير والعبد والحر، فيوشكُ قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فيأياكم وما

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٧٠/١٣).

(٢) المصدر نفسه، (٢٩٠-٢٩٢).

ابُدِّعَ؟ فَإِنْ مَا ابْتُدِّعَ ضَلَالَةً، وَأَحْذَرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ، قَالَ: قُلْتُ لِمَعَاذِ: مَا يُدْرِينِي - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - أَنْ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ، وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: بَلَى، اجْتَنَّبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمَشْتَهَرَاتِ الَّتِي يُقَالُ مَا هَذِهِ، وَلَا يَشْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَهُ أَنْ يُرَاجَعَ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنْ عَلَى الْحَقِّ نُورًا^(١).

والشاهد منه قوله: "فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم"، فقد صرح فيه أن الشيطان يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وبيّن فيه أيضاً أن على الحق نوراً، فيستتير الحق ويتبين بمثل هذا، والله عليم حكيم.

وخلاصة هذا الأصل: أن الحق يظهر ويتميز بظهور الباطل، وأن ظهور الباطل لا يزيد أهل الحق إلا معرفة به وتمسكاً.

٦٠. قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ^ج وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ^{٦٧}﴾ [الحج: ٦٧].

قال السعدي: "... فإنه إذا ثبتت رسالة الرسول بأدلتها؛ وجب أن يُتلقى جميع ما جاء به بالقبول والتسليم، وترك الاعتراض؛ ولهذا قال: (فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ) - أي: لا ينازعك المكذبون لك، ويعترضون على بعض ما جئتهم به، بعقولهم الفاسدة،....

مع أن في قوله: (إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ) إرشاد لأجوبة المعترضين على جزئيات الشرع، بالعقل الصحيح؛ فإن الهدى وصف لكل ما جاء به الرسول، والهدى: ما تحصل به الهداية، من مسائل الأصول والفروع، وهي المسائل التي يُعرف حسناتها، وعدلها، وحكمتها، بالعقل والفطرة السليمة، وهذا يعرف بتدبر تفاصيل الأمور والمنهيات؛ ولهذا أمره الله بالعدول عن جدالهم في هذه الحالة، فقال: ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ^{٦٨}﴾ [الحج: ٦٨] - أي: هو عالم بمقاصدكم

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب السنة، باب من دعا إلى السنة (باب لزوم السنة)، (٢٣٧/١٢)، (٤٥٩٨)، وهو صحيح، وانظر تحقيق الأرئوط، فقد استوفى الكلام عليه هناك، (٢١/٧).

ونياتكم، فمجازيكم عليها في يوم القيامة الذي يحكم الله بينكم فيما كنتم فيه تختلفون، فمن وافق الصراط المستقيم، فهو من أهل النعيم، ومن زاغ عنه، فهو من أهل الجحيم"^(١).

وقال الشوكاني: "وفي هذه الآية تعليم لهذه الأمة بما ينبغي لهم أن يجيبوا به من أراد الجدل بالباطل"^(٢).

واستدل ابن تيمية بالآية على منع مشاركة المسلمين غيرهم في أعيادهم، فقال: "الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك، التي قال الله سبحانه (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ)، كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد، موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعها: موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر؛ فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه"^(٣).

فالآية من آيات البراءة من هدي غير المسلمين، مهما كانت مللهم.

وخلاصة هذا الأصل: البراءة من كل من خالف المنهاج الواضح، وعدم الانشغال بمخالفته.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٥٤٥).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٣/٥٥٣).

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ط ٥، (١/٥٢٨).

سورة المؤمنون

٦١. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ٥٢ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ٥٣ [المؤمنون: ٥٢ - ٥٣].

هذه الآية نظيرة آية سورة الأنبياء، وقد مضت.

قال السعدي: "... فالواجب من كل المنتسبين إلى الأنبياء وغيرهم، أن يمتثلوا هذا، ويعملوا به، ولكن أبي الظالمون المفترقون إلا عصيانا؛ ..." (١).

وقال ابن عاشور: "وقديماً كان التحزب مسبباً لسقوط الأديان والأمم، وهو من دعوة الشيطان التي يلبس فيها الباطل في صورة الحق. والحزب: الجماعة المجتمعون على أمر من اعتقاد أو عمل، أو المتفقون عليه" (٢).

وقال ابن القيم: "والزبر: الكتب، أي كل فرقة صنفوا كتباً أخذوا بها وعملوا بها ودعوا إليها دون كتب الآخرين كما هو الواقع سواء، وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال ابن عباس: "تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف" (٣).

وقال النبي ﷺ: "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم" (٤).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط٤، (٥٥٣/١).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط١، (٧٣/١٨).

(٣) أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة، (١/٧٩/٧٤)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، (٨/٣٧٥)، (٢٤٦٩)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل، (١/٤٨)، ومنهاج السنة، (٣/٤٦٧)، ومجموع الفتاوى، (٣/٢٧٨)، واجتماع الجيوش الإسلامية، (ص٢٩)، وإعلام الموقعين، (١/٢٥٩)، والاعتصام، (١/٧٥)، كما في موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج، (١/٣٢٤)، للمغراوي.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، (٢/٣٩٠)، (٤٣٢).

وقال: "اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا"^(١).

وكان التنازع والاختلاف أشد شيء على رسول الله ﷺ، وكان إذا رأى من الصحابة اختلافا يسيرا في فهم النصوص يظهر في وجهه، حتى كأنما فقي فيه حب الرمان، ويقول: "أبهذا أمرتم"^(٢).

ولم يكن أحد بعده أشد عليه الاختلاف من عمر رضي الله عنه، وأما الصديق فسان الله خلافته عن الاختلاف المستقر في حكم واحد من أحكام الدين، وأما خلافة عمر فتنازع الصحابة تنازعا يسيرا في قليل من المسائل جدا، وأقر بعضهم بعضا على اجتهاده من غير ذم ولا طعن.

فلما كانت خلافة عثمان؛ اختلفوا في مسائل يسيرة، صحب الاختلاف فيها بعض الكلام واللوم، كما لام علي عثمان في أمر المتعة وغيرها، ولامه عمار بن ياسر وعائشة في بعض مسائل قسمة الأموال والولايات.

فلما أفضت الخلافة إلى علي - كرم الله وجهه في الجنة -؛ صار الاختلاف بالسيف.

والمقصود أن الاختلاف مُنافٍ لما بعث الله به رسوله.

قال عمر رضي الله عنه: "لا تختلفوا؛ فإنكم إن اختلفتم؛ كان من بعدكم أشد اختلافا"^(٣). ولما سمع أبي بن كعب وابن مسعود يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد أو

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، (٣٣٤/١١)، (٥٠٦٠)،

(٥٠٦١)، ومسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، (٤٦٩/٨)، (٢٦٦٧).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، (٤٤٣/٤)، (٢١٣٣)، وقال:

وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري

له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها. قلت: لكن له شواهد يصير بها حسنا، وانظر: الألباني في الصحيحة، (٨٦١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (٨٥/١)، (٩٤٧)، (٨٦/١)، (٩٤٨). وفيه قصة فيها عِبر.

الثوبين؛ صعد المنبر، وقال: "رجلان من أصحاب النبي ﷺ اختلفا، فعن أي فُتياكم يصدر المسلمون؟ لا أسمع اثنين اختلفا بعد مقامي هذا إلا صنعت وصنعت"^(١).

وقال علي - كرم الله وجهه في الجنة - في خلافته، لقضاته: "اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الخلاف، وأرجو أن أموت كما مات أصحابي"^(٢).

وقد أخبر النبي ﷺ أن هلاك الأمم من قبلنا إنما كان باختلافهم على أنبيائهم.

وقال أبو الدرداء وأنس وواثلة بن الأسقع: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في شيء من الدين، فغضب غضبا شديدا، لم يغضب مثله، قال: ثم انتهرنا، قال: يا أمة محمد، لا تهيجوا على أنفسكم وهج النار، ثم قال: أبهذا أمرتم؟ أوليس عن هذا نهيتم؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا"^(٣).

وقال عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابني العاص أنهما قالوا: "جلسنا مجلسا في عهد رسول الله ﷺ كنا به أشد اغتباطا، فإذا رجال عند حجرة عائشة يتراجعون في القدر، فلما رأيناهم اعتزلناهم، ورسول الله ﷺ خلف الحجرة يسمع كلامهم، فخرج علينا رسول الله ﷺ مغضبا يعرف في وجهه الغضب، حتى وقف عليهم، وقال: "يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل

(١) أقرب لفظ لهذا ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم، (٢/٩٠)، (١٧١٣) بدون إسناد، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (١/٢٧٧)، (٣١٨٨)، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف، (١/٣٥٦)، (١٣٨٤)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الفضائل، باب مناقب علي، (٨/٦٦٣)، (٣٧٠٧).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة، باب ذم الجدال والخصومات في الدين، (١/٤٣١)، (١١١)، وابن بطة في الإبانة، نفس الباب، (٢/٤٨٩)، (٥٣٢)، وفي إسناده كثير بن مروان الفلسطيني: متفق على ضعفه واتهمه بعضهم، فالحديث ضعيف جدا، لكن أخرجه الطبراني في الكبير، (١٩٨، ٧٦٦٠) من طريق عبد الله بن خالد القرقساني بسياق مختصر، وقال عنه الألباني: إسناده هالك، كما في ظلال الجنة، (١/١٥٤)، (٣٤٦).

القرآن يصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به، ثم التفت فرآني أنا وأخي جالسين، فغبطنا أنفسنا أن لا يكون رأنا معهم" ^(١) ^(٢).

قال أبو المظفر السمعاني: "وكان السبب في اتفاق أهل الحديث؛ أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل؛ فأورثهم الاتفاق والائتلاف. وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء؛ فأورثهم الافتراق والاختلاف؛ فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة؛ فذلك اختلاف لا يضر الدين، ولا يقدر فيه، وأما دلائل العقل؛ فقلما تتفق، بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يري الآخر، وهذا بين والحمد لله" ^(٣).

وخلاصة هذا الأصل: جماعة وائتلاف، لا فرقة واختلاف، لكن الجماعة والائتلاف إنما يكون على ما جاءت به الأنبياء.

٦٢. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ^١ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ [المؤمنون: ٧١].

في هذه الآية تأكيد للأصل السابق، وذلك أن الآية ناطقة بأنهم أعرضوا عن ذكرهم - وهو شرفهم - الذي جاءهم به الأنبياء، وتفرقوا واتبعوا أهواءهم التي هي أصل الفساد.

قال ابن كثير: "وقوله: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)، قال مجاهد، وأبو صالح، والسدي: الحق هو الله عز وجل، والمراد: لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم

(١) أخرجه ابن أبي عاصم، في الأحاد والمثاني، (١٠٨/٢)، وابن ماجه، في السنن، المقدمة، باب في القدر، (٧٤/١)، (٨٥)، وأحمد في المسند، (١٩٥-١٩٦/٢)، وإسناده جيد. قال البخاري: "رأيت أحمد بن حنبل، وعلي بن عبد الله، والحميدي، وإسحاق بن إبراهيم، يحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده" / التاريخ الكبير، (٣٤٣/٦).

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (١٩٧-١٩٨).

(٣) السمعاني، الانتصار لأصحاب الحديث، ط ١، ص ٤٧. وبحرفه نقله أبو القاسم الأصبهاني، الملقب بـ "قوام السنة"، في الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، ط ٢، (٢٤١/٢).

من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك (لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن) - أي: لفساد أهوائهم واختلافها^(١).

وقال الشنقيطي: " فالأهواء الفاسدة المختلفة لا يمكن أن يقوم عليها نظام السماء والأرض ومن فيهن، بل لو كانت هي المتبعة لفسد الجميع. ومن الآيات الدالة على أن أهواءهم لا تصلح لأن تكون متبعة قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]؛ لأن القرآن لو أنزل على أحد الرجلين المذكورين، وهو كافر يعبد الأوثان فلا فساد أعظم من ذلك، وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية، وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وقال تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ٥٣] ...

ومما يوضح أن الحق لو اتبع الأهواء الفاسدة المختلفة؛ لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].^(٢)

وقال الشوكاني: " فالأولى تفسير الحق - هنا وهناك - بالصدق الصحيح من الدين الخالص من شرع الله. والمعنى: ولو ورد الحق متابعاً لأهوائهم، موافقاً لفساد مقاصدهم؛ لحصل الفساد"^(٣).

وقال ابن تيمية: " وأمثال هذا في القرآن كثير. فتبين أن على العبد أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله، ولا يجعل دينه تبعاً لهواه"^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن الحق ليس بالهوى، وإنما بالذكر المنزل، وأن اتباع الأهواء فساد عريض.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٨٤/٥).

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٣٤٢/٥).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٥٨٣/٣).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٤١/٢٢).

٦٣. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَابِتُونَ ﴿٧٤﴾ [المؤمنون: ٧٣ - ٧٤].

قال السعدي: "... فدعوتك إياهم إلى الصراط المستقيم، موجب لمن يريد الحق أن يتبعك؛ لأنه مما تشهد العقول والفطر بحسنه، وموافقته للمصالح، فأين يذهبون إن لم يتابعوك؟ فإنهم ليس عندهم ما يغنيهم ويكفيهم عن متابعتك؛ لأنهم (عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَابِتُونَ) متجنبون منحرفون، عن الطريق الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، ليس في أيديهم إلا ضلالات وجهالات.

وهكذا كل من خالف الحق، لا بد أن يكون منحرفاً في جميع أموره، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]"^(١).

وقال ابن القيم: "... ولقد خاطبت يوماً بعض أكابر هؤلاء. فقلت له: سألتك بالله، لو قدر أن الرسول ﷺ حي بين أظهرنا، وقد واجهنا بكلامه وبخطابه؛ أكان فرضا علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟

فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه. فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنا؟ وبأي شيء نسخ؟ فوضع إصبعه على فيه. وبقي باهتا متحيراً، وما نطق بكلمة"^(٢).

وخلاصة هذا الأصل: الدعوة إلى المنهاج الحق، والصراط الصدق، وعدم الانشغال بالناكبين.

٦٤. قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٩٠) [المؤمنون: ٩٠].

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٥٥٦).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٢/٣٦٥-٣٦٦). ويتمنى الباحث أن لو كان مصنف بعنوان: "حظ المسلمين من صفات الكفار والمنافقين"، فوالله منازل القرآن في قوم كانوا ثم بانوا، كما قال ابن القيم رحمه الله.

قال السعدي: " يقول تعالى: بل أتينا هؤلاء المكذبين بالحق، المتضمن للصدق في الأخبار، العدل في الأمر والنهي، فما بالهم لا يعترفون به، وهو أحق أن يتبع؟ وليس عندهم ما يعرضهم عنه، إلا الكذب والظلم؛ ولهذا قال: (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)"^(١).

وقال الشوكاني: " ثم يبين سبحانه أنه قد بالغ في الاحتجاج عليهم فقال: (بل أتيناهم بالحق) - أي: الأمر الواضح الذي يحق اتباعه (وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)"^(٢).

وقال المراغي: " بل جئناهم فيه بالدين الحق الذي فيه سعادة البشر، (وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في إنكار ذلك؛ لأن عقولهم قد سُحرت بخدع الآباء، وتكرار القول، وحكم العادة، وهي طبيعة ثانية"^(٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن كل من عدل عن الحق؛ فهو كاذب.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٥٥٨/١).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٥٨٧/٣).

(٣) المراغي، تفسير المراغي، د. ط، (١٨/٤٩-٥٠).

سورة النور

٦٥. قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْثُونَ مِنْكُمْ لَوْ اذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن كثير: "وقوله: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) - أي: عن أمر رسول الله ﷺ: سبيله هو، ومنهاجه، وطريقته، وسنته، وشريعته؛ فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائناً ما كان،..."^(١).

وقال ابن تيمية: "قد ذم الله تعالى في القرآن مَنْ عدل عن اتباع الرسل إلى ما نشأ عليه من دين آبائه، وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله وهو: أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول، وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحد؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"^(٢).

وقال أيضاً: "وقد سئل مالك عن رجل أحرم قبل الميقات؟ فقال: أخاف عليه من الفتنة، فقال: قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فقال السائل: وأي فتنة في ذلك؟ وإنما هي زيادة أميال في طاعة الله تعالى، قال: وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك خُصصت بفعل لم يفعله رسول الله ﷺ؟"^(٣)، أو كما قال.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٦/٨٩-٩٠)، بحذف بعضه.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٩/٢٦٠-٢٦١).

(٣) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، (١/٢٠٠)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، (١/١٦٣)، (٢٩٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء، (٦/٣٢٦)، والبغوي في شرح السنة، (١/٢١٦، ١٩١)، وابن بطه في الإبانة، (١/٢٦١)، (٩٨). قال الألباني في الإرواء تحت حديث (١٠٠٢): "وما أحسن ما قال الإمام مالك - رحمه الله - لرجل أراد أن يحرم قبل ذي الحليفة: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة،... فذكره. وانظر كذلك تحقيق مشهور آل سلمان للاعتصام للشاطبي، (١/٢٢٧).

قال الشاطبي في الاعتصام، ط ١، (١/٢٢٧): "وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله في تفسير الآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه وما سنه نبيه ﷺ دون ما اهتمدوا إليه يعقولهم. وفي مثل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه فيما روي عنه ابن وضاح: "لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم!... =

وكان يقول: " لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل؛ تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد، بجدل هذا؟" (١) (٢).

وقال أيضا: " قال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد: " نظرت في المصحف، فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا، ثم جعل يتلو: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] الآية، وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف؛ فيزيغ قلبه؛ فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥] (٣).

وقال أبو طالب المشكاني - رحمه الله -: وقيل له: إن قوماً يدعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره؛ فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث، وعرفوا الإسناد وصحته يدعون، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، قال الله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، وتدرى ما الفتنة؟ الكفر. قال الله تعالى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي (٤).

فإذا كان المخالف عن أمره قد حُذِر من الكفر والشرك، أو من العذاب الأليم؛ دل على أنه قد يكون مفضيا إلى الكفر، أو إلى العذاب الأليم (٥).

=وقصة ابن مسعود التي ذكرها قصة مشهورة، رواها الدارمي في مقدمة السنن، (١/٧٩). (٢٠٤)، ورواها غيره، وما ذكره عن ابن وضاح أخرجه في البدع، (١/٣٥)، (٩).

(١) أخرجه البيهقي في المدخل، (١/٢٠١)، واللالكائي في شرح السنة، (١/١٦٣)، وابن بطة في الإبانة، (٢/٥٠٧).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٠/٣٧٥).

(٣) ابن بطة، الإبانة، ط ١، (١/٢٦٠)، (٩٧)، وابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، د.ط، (١/٩٧ - ٩٨). وزاد ابن بطة في روايته: " قال: من رد حديث النبي ﷺ؛ فهو على شفا هلكة".

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وهو بمعنى الذي قبله. وأبو طالب هو: أحمد بن حميد، أبو طالب المشكاني، من الطبقة الأولى من تلاميذ الإمام أحمد، روى عنه مسائل كثيرة، وكان صحبه قديماً إلى أن مات الإمام أحمد. وكان أبو طالب رجلاً صالحاً، توفي سنة (٢٤٤هـ). انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، د.ط، (١/٣٩ - ٤٠).

(٥) ابن تيمية، الصارم المسلول، د.ط، (١/٥٦ - ٥٧).

وقال ابن القيم: "وقال الإمام أحمد: من رد حديث رسول الله ﷺ؛ فهو على شفا هلكة، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣] الآية، وأي فتنة! إنما هي الكفر"^(١).

وقال أيضا: "قال أبو داود: حدثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أنه حدث بحديث، فقال له رجل من أهل الكوفة: إن الله تعالى يقول في كتابه كذا وكذا، فغضب سعيد، وقال: "لا أراك تعرض في حديث رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله منك"^(٢).

فإذا كان هذا إنكارهم على من عارض سنة رسول الله ﷺ بالقرآن؛ فماذا تراهم قائلين لمن عارضها بآراء المتكلمين، ومنطق المتفلسفين وأقيسة المتكلمين، وخيالات المتصوفين، وسياسات المعتدين؟.

ولله بلال بن سعد - رحمه الله - حيث يقول: "ثلاث لا يقبل معهن عمل: الشرك، والكفر، والرأي، قلت: يا أبا عمر! وما الرأي؟ قال: يترك سنة الله ورسوله، ويقول بالرأي"^(٣)...

وقال سفيان - رحمه الله -، في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال: "يطبع على قلوبهم"^(٤)، وقال الإمام أحمد: "إنما هي الكفر"^(٥).

(١) البعلي، مختصر الصواعق المرسلة، ط ١، (٦١٣/١). والأثر عن الإمام أحمد تقدم تخريجه، ص ٢٠٠.

(٢) هذا لا يوجد عند أبي داود، لا السجستاني، ولا الطيالسي، وإنما أخرجه الدارمي في السنن، كتاب العلم، باب السنة قاضية على الكتاب، (١٥٤/١)، (٥٩٠)، والآجري في الشريعة، (٤١٧/١)، (٩٩)، وابن بطة في الإبانة، (٢٤٨/١)، (٨١). وأبو داود هنا هو أبو داود الطيالسي.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (٢٢٩/٥).

(٤) أخرجه عبد بن حميد، كما في الدر المنثور، (١١١/٥).

(٥) سبق تخريجه، ص ٢٠٣.

ولقي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جابر بن زيد في الطواف، فقال له: "يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة، فلا تُفت إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك؛ هلكت وأهلك" ^(١).

وقال ابن خزيمة - رحمه الله -: قلت لأحمد بن نصر، وحديث بخير عن رسول الله ﷺ، أما تأخذ به؟ فقال: "أترى على وسطي زُنارًا، لا تقل لخبر النبي ﷺ، أتأخذ به، وقل أصحيح هو ذا؟ فإذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ؛ قلتُ به؛ شئت أم أبيت" ^(٢).....

وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: "إياكم والرأي، فإن الله رد على الملائكة الرأي، وقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، ولم يقل بما رأيت" ^(٣).....

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "يا أيها الناس اتحموا الرأي على الدين، فلقد رأيته أردّ أمر رسول الله ﷺ، برأي اجتهدا، والله ما آلو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل، والكتاب بين يدي رسول الله ﷺ وبين أهل مكة، فقال رسول الله ﷺ: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: بل تكتب كما نكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله ﷺ، وأبيت عليه حتى قال رسول الله ﷺ: "تراني أرضى وتأبى" ^(٤).

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام، (١٢٤ / ٢)، (٢٧٤)، (١٧٧/٢)، (٣٢٢)، والدارمي (٥٩ / ١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه، باب اعتماد المفتي على الكتاب والسنة، (٣٤٤ / ٢).

(٢) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله، (١٧٨/٢)، (٣٢٤)، ومثله عن الشافعي، في البيان والإشهار، (٢٧٢/١).

(٣) أخرجه الهروي في ذم الكلام، (١١٧/٢).

(٤) أخرجه البيهقي في المدخل، (١٩٢/١)، (٢١٨)، والضياء المقدسي في المختارة، (٣٢٥/١)، (٢١٩)، واللالكائي في أصول الاعتقاد، (١٤١/١)، (٢٠٨)، والطبراني في الكبير، (٧٢/١)، (٨٢)، والدولابي في الكنى والأسماء، (٨٦١/٢)، رقم (١٥١٧)، والبخاري في المسند، (٢٥٣/١)، وأحمد في فضائل الصحابة، (٣٧٣/١)، (٥٥٨).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، قال: "لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة"^(١)"^(٢).

وخلاصة هذا الأصل: الحذر من مخالفة الرسول؛ فإنها الفتنة.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور، (٥٤٦/٧) لابن جرير في جامع البيان، (٢٧٢/٢٢)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، في التفسير، (٣٣٠٢/١٠)، وأبي نعيم في الحلية، (٣٩٨/١٠)، ووجدته عند السلفي في الطيوريات، (١٣٧٤/٤)، وعند ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة، (٦٦١/٢). وهو من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهي صحيفة مقبولة في التفسير، أثنى عليها الإمام أحمد، كما تقدم بيان ذلك، حاشية، ص ١٥٩.

(٢) ابن الموصلي البجلي، مختصر الصواعق المرسلة، ط ١، (٥٤٦-٥٤٨).

سورة القصص

٦٦. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

قال السعدي: "وفي قوله: (فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول؛ فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى"^(١).

وقال الرازي - رحمه الله -: "ثم زَيَّف طريقتهم بقوله: (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وهذا من أعظم الدلائل على فساد التقليد، وأنه لا بد من الحجة والاستدلال"^(٢).

وقال ابن تيمية: "فكل من اتبع ذوقاً أو وجداً بغير هدى من الله، سواء كان ذلك عن حب أو بغض؛ فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به، ويتخذ ديناً، وينهى عما يبغضه ويذمه، ويتخذ ذلك ديناً إلا بهدى من الله، وهو شريعة الله التي جعل عليها رسوله.

ومن اتبع ما يهواه حباً وبغضاً بغير الشريعة؛ فقد اتبع هواه بغير هدى من الله؛ ولهذا كان السلف يعدّون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء، ويذمونهم بذلك، ويأمرون بالألّا يغتر بهم، ولو أظهروا ما أظهروه من العلم والكلام والحجاج، أو العبادة والأحوال، مثل المكاشفات وخرق العادات"^(٣).

وقال أيضاً: "واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات؛ ...

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦١٧/١).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ط ٣، (٦٠٦/٢٤).

(٣) ابن تيمية، الاستقامة، ط ١، (٢٥٤/١).

والعلم بالدين لا يكون إلا بهدي الله الذي بعث به رسوله؛ ولهذا قال تعالى في موضع: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩]. وقال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]"^(١).

وقال ابن القيم: "فقسم الناس إلى مستجيبين للرسول، ومتبع هواه.

فمن ترك استجابته إذا ظهرت له سنة، وعدل عنها إلى خلافها؛ فقد اتبع هواه، وهذا أكثر من أن يذكر...."^(٢).

وقال أيضا: "فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما، إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإما اتباع الهوى، فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى"^(٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن من لم يتبع الهدى؛ اتبع الهوى.

٦٧. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧].

قال ابن كثير: "(ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك) - أي: لا تتأثر؛ لمخالفتهم لك، وصدّهم الناس عن طريقك، لا تلوي على ذلك، ولا تباله؛ فإن الله مُعَلِّ كَلِمَتِكَ، ومؤيد دينك، ومظهر ما أرسلت به على سائر الأديان؛ ولهذا قال: (وادع إلى ربك) - أي: إلى عبادة ربك وحده لا شريك له، (ولا تكونن من المشركين)"^(٤).

(١) ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط ١، ص ١٦.

(٢) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (١٥٢٧/٤).

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (٣٩/١)، (١٨٩).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٦١/٦).

وقال ابن عاشور: " والمقصود: تحذير المسلمين من الركون إلى الكافرين في شيء من شؤون الإسلام؛ فإن المشركين يحاولون صرف المسلمين عن سماع القرآن: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦]"^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن صاحب المنهج الصحيح لا يبالي بمخالفة من خالف.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (١٩٥/٢٠).

سورة العنكبوت

٦٨. قوله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال السعدي: "ومعنى تلاوته: اتباعه، بامثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، عُلم أن إقامة الدين كله، داخله في تلاوة الكتاب" (١).

وقال الشنقيطي: "والأمر في قوله «واتل» شامل للتلاوة بمعنى القراءة، والتلو: بمعنى الاتباع، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أمره تعالى نبيه ﷺ بتلاوة القرآن العظيم، واتباعه، جاء مبينا في آيات آخر، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الأمر باتباع هذا القرآن العظيم" (٢).

وقال ابن تيمية: "وكذلك لفظ «التلاوة»، فإنها إذا أطلقت في مثل قوله: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] تناولت العمل به، كما فسره بذلك الصحابة والتابعون، مثل ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم، قالوا: (يتلونه حق تلاوته) يتبعونه حق اتباعه،

وروى محمد بن نصر بإسناده الثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال: يتبعونه حق اتباعه" (٣). وروي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال: يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه" (٤).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦٣٢/١).

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٢٦١/٣).

(٣) أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة، (٣٩٥/١)، والضياء في المختارة، (٣٨٢/١١)، وتلا الآية: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا لَهَا﴾ (٤٠)

﴿[الشمس: ٢]، وابن المقريء في المعجم، (٦١/١)، وأبو داود في الزهد، (٣٦٩/١)، وتلا الآية المذكورة، وابن منده في الإيمان، (٣٦٤/١).

(٤) أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة، (٣٩٦/١).

وعن قتادة: "﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] يؤمنون به، قال: أولئك أصحاب محمد ﷺ، آمنوا بكتاب الله، وصدقوا به، أحلُّوا حلاله وحرَّموا حرامه، وعملوا بما فيه، ذُكر لنا أن ابن مسعود كان يقول: إن حق تلاوته: أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، وأن نقرأه كما أنزل الله، ولا نحرفه عن مواضعه" (١).

وعن الحسن: "﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه" (٢).

وعن مجاهد: "يتبعونه حق اتباعه. وفي رواية: يعملون به حق عمله" (٣) (٤).

وقال ابن القيم: "... فحقيقة التلاوة في هذه المواضع هي التلاوة المطلقة التامة، وهي تلاوة اللفظ والمعنى؛ فتلاوة اللفظ جزء مسمى التلاوة المطلقة، وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع" (٥).

وخلاصة هذا الأصل: اتباع الكتاب حق الاتباع.

٦٩. قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْتَثُّ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قال ابن كثير: "أي: هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق: أمراً ونهيّاً وخبراً، يحفظه العلماء، يسره الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيراً" (٦).

(١) أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة، (٣٩٦/١).

(٢) المصدر نفسه، (٣٩٧/١).

(٣) المصدر نفسه، (٣٩٦/١).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٦٧/٧-١٦٩).

(٥) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط ١، (٤٢/١).

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٨٦/٦).

وقال السعدي: " فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء؛ كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلماً؛ ولهذا قال: (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)؛ لأنه لا يجحدها إلا جاهل تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، وهو متمكن من معرفته على حقيقته، وإما متجاهل عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه" (١).

وقال ابن القيم: " وسواء كان المعنى أن القرآن مستقر في صدور الذين أوتوا العلم، ثابت فيها، محفوظ، وهو في نفسه آيات بينات؛ فيكون أخبر عنه بخبرين: أحدهما: أنه آيات بينات. الثاني: أنه محفوظ مستقر ثابت في صدور الذين أوتوا العلم، أو كان المعنى: أنه آيات بينات في صدورهم - أي: كونه آيات بينات معلوم لهم، ثابت في صدورهم.

والقولان متلازمان، ليسا بمختلفين. وعلى التقديرين، فهو مدح لهم، وثناء عليهم، في ضمنه الاستشهاد بهم" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، لا في صدور غيرهم - ولو كان حافظاً لحروفه - فهم المتبعون، لا غيرهم من الذين لا يجاوز تراقيهم.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط٤، (٦٣٣/١).

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط١، (٥٠/١).

سورة الروم

٧٠. قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢].

قال ابن كثير: "... فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيما بينهم على نحل كلُّها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل - عليه السلام - عن الفرقة الناجية منهم، فقال: " ما أنا عليه اليوم وأصحابي" ^(١) ^(٢).

وقال السعدي: " وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا، كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشايخين بذلك للمشركين في التفرق، بل الدين واحد، والرسول واحد، والإله واحد.

وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يُلغى ويُبني التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية، أو فروع خلافية يضلُّ بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟ فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟ وهل السعي في جمع كلمتهم وإزالة ما

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب العلم، (٢١٨/١)، (٤٤٤). والحديث صحيح يبلغ التواتر، وقد خرجته وافياً في رسالتي في المجستير، ص ١٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣١٧/٦).

بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل الجهاد في سبيل الله وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟" (١).

وفي هذه الآية - ومثلها كثير - جمع الشيخ الدين كله، وفي هذا أوضح البيان على صحة هذا المسلك الذي سلكه الباحث من جمع كلام هؤلاء الراسخين حول هذه الآيات التي أراد الله تعالى بحكمته ورحمته أن تكون آيات منهجية، يسلك عليها من أراد أن يذكر، أو أراد شكورا.

وقال ابن تيمية: "وهذا التفرق والاختلاف يوجب الشرك، وينافي حقيقة التوحيد، الذي هو إخلاص الدين كله لله، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠] وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) [الروم: ٣١ - ٣٢]، فإقامة وجهه للدين حنيفا، وعبادة الله وحده لا شريك له، وذلك يجمع الإيمان بكل ما أمر الله به، وأخبر به أن يكون الدين كله لله، ثم قال الله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا)، وذلك أنه إذا كان الدين كله لله؛ حصل الإيمان والطاعة لكل ما أنزله وأرسل به رسله، وهذا يجمع كل حق، ويُجمع عليه كل حق" (٢).

فانظر كيف جعل الشيخ التفرق في الدين من الشرك، وهذا مما لا يتنبه له كثير من المتفرقين المختلفين؛ وذلك أنه في التفرق والاختلاف تحصل الإرادات المدمومة، وهي منافية للتوحيد والإخلاص.

وخلاصة هذا الأصل: أن التفرق ينافي حقيقة التوحيد، وهو سبيل المشركين، لا المسلمين.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٦٤٠).

(٢) ابن تيمية، قاعدة في المحبة، ط ١، ص ٤٣-٤٤.

سورة لقمان

٧١. قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

قال ابن جرير: "وقوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] يقول: واسلك طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، واتبع محمداً ﷺ" (١).

وقال السعدي: "واتباع سبيلهم: أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي الله، ويقرب منه" (٢).

وقال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وصية لجميع العالم، كأن المأمور الإنسان، وأناب معناه: مال ورجع إلى الشيء. وهذه سبيل الأنبياء والصالحين" (٣).

وقال الألوسي - رحمه الله -: "﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] - أي: رجع (إِلَى) بالتوحيد والإخلاص بالطاعة، وحاصله: اتبع سبيل المخلصين" (٤).

وقال المراغي - رحمه الله -: "﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] - أي: واسلك سبيل من تاب من شركه ورجع إلى الإسلام، واتبع محمداً ﷺ. والخلاصة: واتبع سبيلي بالتوحيد، والإخلاص والطاعة" (٥).

(١) ابن جرير، جامع البيان، ط ١، (١٣٩/٢٠).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦٤٨/١).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ط ١، (٣٤٩/٤).

(٤) الألوسي، روح المعاني، ط ١، (٤٣٩/١٥).

(٥) المراغي، تفسير المراغي، د. ط، (٨٤/٢١).

وقال البغوي: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] - أي: دين من أقبل إلى طاعتي، وهو النبي ﷺ وأصحابه" (١).

وقال ابن تيمية: "فالواجب اتباع الكتاب المنزل والنبي المرسل وسبيل من أناب إلى الله" (٢).

وقال أيضا: "ومنها قوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] والسلف المؤمنون منييون - أي: فيجب اتباع سبيلهم" (٣).

وقال ابن القيم: "قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وكل من الصحابة مني إلى الله؛ فيجب اتباع سبيله؛ وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله، والدليل على أنهم منييون إلى الله تعالى؛ أن الله تعالى قد هداهم، وقد قال: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]" (٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن الاتباع يكون لسبيل من أناب إلى الله.

(١) البغوي، معالم التنزيل، ط ١، (٦/٢٨٨).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٦/٢٥٨).

(٣) المصدر نفسه، (٢٠/٥٠٠).

(٤) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (٤/١٠٠).

سورة الأحزاب

٧٢. قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢].

قال ابن كثير: "... ولهذا قال: (واتبع ما يوحى إليك من ربك) - أي: من قرآن وسنة" (١).

وقال الشوكاني: "(واتبع ما يوحى إليك من ربك) من القرآن - أي: اتبع الوحي في كل أمورك، ولا تتبع شيئاً مما عداه من مشورات الكافرين والمنافقين، ولا من الرأي البحت؛ فإن فيما أوحى إليك ما يغنيك عن ذلك" (٢).

وقال ابن القيم: "وتأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ آتَىٰ اللَّهُ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَتْ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٢) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٣) [الأحزاب: ١ - ٣] كيف أمره بتقواه ... واتباع ما أوحى إليه المتضمن لتركه ما سوى ذلك، واتباع المنزل خاصة" (٣).

وخلاصة هذا الأصل: اتباع الوحي، لا ما سواه.

٧٣. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله" (٤).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٧٥/٦).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٣٠٠/٤).

(٣) ابن القيم، روضة المحبين، ط ١، (٢٨٨/١).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٤، (٣٩١/٦).

وقال السعدي: " فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة. فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ، فإن المتأسّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه؛ فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسّي بهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] ^(١).

وقال الشوكاني: " وهذه الآية وإن كان سببها خاصا؛ فهي عامة في كل شيء، ومثلها: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ^(٢).

وقال ابن عاشور: " وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص؛ ليشمل الائتساء به في أقواله، بامتنال أوامره واجتناب ما ينهى عنه، والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات ^(٣).

وخلاصة هذا الأصل: التأسّي بالرسول ﷺ هو سبيل المخلصين لله.

٧٤. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال ابن كثير: " فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء؛ فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وفي الحديث: " والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٦٦٠).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٤/٣١١-٣١٢).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢١/٣٠٢-٣٠٣).

جئت به" ^(١)؛ ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور: ٦٣] ^(٢).

وقال السعدي: "فذكر أولاً السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلّال، الدال على العقوبة والنكال" ^(٣).

وقال الشوكاني: "ومعنى الآية: أنه لا يحل لمن يؤمن بالله إذا قضى الله أمراً أن يختار من أمر نفسه ما شاء، بل يجب عليه أن يدع لل قضاء، ويوقف نفسه على ما قضاه الله عليه واختاره له" ^(٤).

وقال البغوي: "والمعنى أن يريد غير ما أراد الله، أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به" ^(٥).

وقال ابن تيمية: "وليس لأحد أن يخرج عن شيء مما شرعه الرسول ﷺ، وهو الشرع الذي يجب على ولاية الأمر إلزام الناس به، ويجب على المجاهدين الجهاد عليه، ويجب على كل واحد اتباعه ونصره....."

(١) ذكره النووي في الأربعين، الحديث الحادي والأربعون، وقال ابن رجب، في جامع العلوم والحكم، (١١٤٦/٣)، ط ٢، "تصحیح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه"، ثم ذكرها، وأهمها: تفرد نعيم بن حماد، وهو ضعيف، لا يحتمل تفرده، ويخالف الثقات، وخرجه الألباني في ظلال الجنة، (٧/١)، (١٥)، وضعفه.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٢٣/٦).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦٦٥/١).

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٣٢٥-٣٢٦/٤).

(٥) البغوي، معالم التنزيل، ط ١، (٣٥٣/٦).

وإن ترك المسلم - عالماً كان أو غير عالم - ما علم من أمر الله ورسوله ﷺ لقول غيره؛ كان مستحقاً للعذاب، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣) ﴿[النور: ٦٣]﴾^(١).

وقال ابن القيم: "وفرض عليهم اتباع ما أنزل إليهم، وسن رسول الله ﷺ لهم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦) ﴿[الأحزاب: ٣٦]، فأعلم أن معصيته في ترك أمره وأمر رسول الله ﷺ، ولم يجعل لهم إلا اتباعه" (٢).^(٢)

وخلاصة هذا الأصل: لا خيار لأحد بعد أمر الله ورسوله.

٧٥. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٦٦) ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (٦٧) ﴿[الأحزاب: ٦٦ - ٦٧]﴾.

قال ابن كثير: " - أي: اتبعنا السادة: وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل - واعتقدنا أن عندهم شيئاً، وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء" (٣).^(٣)

وقال السعدي: " (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا) وقلدناهم على ضلالهم، (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا)، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (١٧) ﴿[الفرقان: ٢٧] الآية" (٤).^(٤)

وقال الشوكاني: " والمراد بالسادة والكبراء: هم الرؤساء، والقادة الذين كانوا يمثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم. وفي هذا زجر عن التقليد شديد.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٧٢/٣٥-٣٧٥)، مع حذف كثير.

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (٢٠٦/٢).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٨٤/٦).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦٧٢/١).

وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا، والتحذير منه، والتنفير عنه، ولكن لمن يفهم معنى كلام الله، ويقتدي به، وينصف من نفسه، لا لمن هو من جنس الأنعام، في سوء الفهم، ومزید البلادة، وشدة التعصب"^(١).

وقال ابن تيمية: "فمن اتبع دين آبائه وأسلافه؛ لأجل العادة التي تعودها، وترك اتباع الحق الذي يجب اتباعه؛ فهذا هو المقلد المذموم، وهذه حال اليهود والنصارى؛ بل أهل البدع والأهواء في هذه الأمة الذين اتبعوا شيوخهم ورؤساءهم في غير الحق، - وذكر هذه الآية - ثم قال: وأمثال ذلك مما فيه بيان أن من أطاع مخلوقاً في معصية الله؛ كان له نصيب من هذا الذم والعقاب"^(٢).

وقال أيضاً: "ودليل هذا الأصل كثير في الكتاب والسنة، وهو أصل الإسلام" شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله"، وهو متفق عليه بين الذين أوتوا العلم والإيمان قولاً واعتقاداً؛ وإن خالفه بعضهم عملاً وحالاً.

فليس عالم من المسلمين يشك في أن الواجب على الخلق طاعة الله ورسوله، وأن ما سواه إنما تجب طاعته حيث أوجبها الله ورسوله. وفي الحقيقة؛ فالواجب في الأصل إنما هو طاعة الله؛ لكن لا سبيل إلى العلم بمأموره وبخبره كله إلا من جهة الرسل....

والمقصود بهذا الأصل أن من نصّب إماماً، فأوجب طاعته مطلقاً: اعتقاداً أو حالاً؛ فقد ضل في ذلك: كأئمة الضلال الرافضة الإمامية، حيث جعلوا في كل وقت إماماً معصوماً تجب طاعته؛ فإنه لا معصوم بعد الرسول، ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء....

كذلك من دعا لاتباع شيخ من مشايخ الدين في كل طريق من غير تخصيص ولا استثناء، وأفرده عن نظرائه وكذلك من دعا إلى اتباع إمام من أئمة العلم في كل ما قاله وأمر به ونهى عنه مطلقاً، كالأئمة الأربعة.

(١) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٤/٣٥٢).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٤/١٩٨).

وكذلك من أمر بطاعة الملوك والأمراء والقضاة والولاة في كل ما يأمرون وينهون عنه من غير تخصيص ولا استثناء...

فتدبر هذا الأصل فإنه نافع جدا، والله أعلم....

فالاتباع المطلق دائر مع الرسول وجوداً وعدماً^(١).

وقال أيضا: "وهذه النصوص فيها نصيب لكل من اتبع أحداً من الرؤوس فيما يخالف الكتاب والسنة، سواء كانوا من رؤوس أهل النظر والكلام والمعقول والفلسفة، أو رؤوس أهل الفقه والكلام في الأحكام الشرعية، أو من رؤوس أهل العبادة والزهادة والتأله والتصوف، أو من رؤوس أهل الملك والإمارة والحكم والولاية والقضاء"^(٢).

وقال ابن القيم: "وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٧]، وهذا نص في بطلان التقليد...

وإنما يكون على طريقتهم-أي: على طريقة الأئمة- من اتبع الحجة، وانقاد للدليل، ولم يتخذ رجلاً بعينه سوى الرسول ﷺ يجعله معياراً على الكتاب والسنة، يعرضهما على قوله. وبهذا يظهر بطلان فهم من جعل التقليد اتباعاً، وإيهامه وتبليسه، بل هو مخالف للاتباع.

وقد فرق الله ورسوله وأهل العلم بينهما، كما فرقت الحقائق بينهما، فإن الاتباع سلوك طريق المتبع، والإتيان بمثل ما أتى به^(٣).

وقال ابن عبد الب- رحمه الله-ر: "وقال: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ ﴿٦٧﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ومثل هذا في القرآن، من ذم تقليد الآباء والرؤساء، وقد احتج العلماء بهذه الآيات في

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٦٨/١٩-٧١).

(٢) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ط ١، (٣١٨/٥).

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (١٣١/٢).

إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها؛ لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين التقليديين بغير حجة للمقلد، كما لو قلد رجل فكفر، وقلد آخر فأذنب، وقلد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها، كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة؛ لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضاً، وإن اختلفت الآثام فيه.... فإذا بطل التقليد بكل ما ذكرنا وجب التسليم للأصول التي يجب التسليم لها، وهي الكتاب والسنة، أو ما كان في معناهما^(١).

وخلاصة هذا الأصل: ضلال من أطاع الكبراء والسادة في خلاف طاعة الله ورسوله.

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ط٦، (٢/٢٢٢).

سورة سبأ

٧٦. قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦].

قال السعدي: "لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق؛ ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهل العلم، وأنهم يرون ما أنزل الله على رسوله من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار، هو الحق - أي: الحق منحصر فيه، وما خالفه وناقضه، فإنه باطل؛ لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين.

ويرون أيضا أنه في أوامره ونواهيه (يَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)"^(١).

وقال ابن تيمية: "لكن أعلم الناس من كان رأيه واستصلاحه واستحسانه وقياسه موافقاً للنصوص، كما قال مجاهد: "أفضل العبادة الرأي الحسن"^(٢)، وهو اتباع السنة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦]؛ ولهذا كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة والشرعية في مسائل الاعتقاد الخيرية ومسائل الأحكام العملية، أهل الأهواء؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل، لا علم؛ فصاحبه ممن اتبع هواه بغير علم"^(٣).

وقال ابن القيم: "وقد شهد سبحانه لمن يرى أن ما جاء به من عند الله هو الحق، لا آراء الرجال؛ بالعلم، فقال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩].

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦٧٥/١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (٣٥/١١)، وأبو نعيم في الحلية، (٢٩٣/٣).

(٣) ابن تيمية، قاعدة في المحبة، د. ط، (١٨/١-١٩)، وانظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان، ط ٢، (١٣٩/٢).

فمن تعارض عنده حقائق ما جاء به وآراء الرجال، فقدمها عليه، أو توقف فيه، أو قدحت في كمال معرفته وإيمانه به؛ لم يكن من الذين شهد الله لهم بالعلم، ولا يجوز أن يسمى بأنه من أهل العلم^(١).

وخلاصة هذا الأصل: ضلال من أطاع الكبراء والسادة في خلاف طاعة الله ورسوله.

٧٧. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ ۖ﴾ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۖ﴾ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ [سبأ: ٤٨ - ٥٠].

قال السعدي: "ولما بيّن البراهين الدالة على صحة الحق، وبطلان الباطل؛ أخبر تعالى أن هذه سنته وعادته أن يقذف ﴿بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]؛ لأنه بيّن من الحق في هذا الموضع، ورد به أقوال المكذبين، ما كان عبرة للمعتبرين، وآية للمتأملين..."^(٢).

وقال المراغي: "والخلاصة - إن الخير كله من الله، وفيما أنزله على من الوحي والحق المبين"^(٣).

وقال ابن تيمية: "فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر؛ ظهرت له البراهين، وقوي به اليقين، وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين. والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل، ورام أن يقيم عوده المائل، أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق"^(٤).

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (١/١٥٥-١٥٦).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٦٨٢-٦٨٣).

(٣) المراغي، تفسير المراغي، د. ط، (٢٢/٩٩).

(٤) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ط ٢، (١/٨٨-٨٩).

وقال ابن القيم: "وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَفِئَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]. فهذا نص صريح في أن هدى الرسول ﷺ إنما يحصل بالوحي، فيا عجباً كيف يحصل الهدى لغيره من الأراء والعقول المختلفة، والأقوال المضطربة" ^(١).

وخلاصة هذا الأصل: ضلال من أطاع الكبراء والسادة في خلاف طاعة الله ورسوله.

(١) ابن القيم، الرسالة التبوكية، ط ١، ص ٤٥. والفلتان: المنبعث إلى الشر.

سورة فاطر

٧٨. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا النُّورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝٢٢ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٤].

قال السعدي: "فكما أنه من المقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك، أن هذه المذكورات لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى.

فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فإذا عُلمت المراتب، ومُيزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه، ما هو أولى به وأحقها بالإيثار" (١).

وقال ابن تيمية: "... ونظائر ذلك مما يفرق الله فيه بين أهل الحق والباطل، وأهل الطاعة وأهل المعصية، وأهل البر وأهل الفجور، وأهل الهدى والضلال، وأهل الغي والرشاد، وأهل الصدق والكذب" (٢).

وقال أيضا: "وقد قرن الله سبحانه في كتابه في غير موضع بين أهل الهدى والضلال وبين أهل الطاعة والمعصية بما يشبه هذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا النُّورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝٢٢ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر: ١٩ - ٢١]. وقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْبَحِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤] الآية" (٣).

وقال ابن القيم: "وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا النُّورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝٢٢ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر: ١٩ - ٢١] الآية، فجعل من اهتدى بهداه،

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٦٨٨).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٠/١٦١-١٦٢).

(٣) المصدر نفسه، (١٥/٢٨٤).

واستنار بنوره بصيراً حياً، في ظل يقيه من حر الشبهات والضلال، والبدع والشرك، مستنيراً بنوره، والآخر أعمى ميتاً في حر الكفر والشرك والضلال، منغمساً في الظلمات" (١).

وخلاصة هذا الأصل: لا يستوي أبداً الحق وأهله، والباطل وأهله.

٧٩. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْذِنُ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ [فاطر: ٣١ - ٣٢].

قال الطبري: "هُوَ الْحَقُّ" يقول: هو الحق، عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك" (٢).

وقال السعدي: "يذكر تعالى أن الكتاب الذي أوحاه إلى رسوله (هُوَ الْحَقُّ) من كثرة ما اشتمل عليه من الحق، كأن الحق منحصر فيه،

فجاء بهذا الشرع الذي يصلح لمصالح الخلق إلى يوم القيامة، ويتكفل بما هو الخير في كل وقت؛ ولهذا، لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولاً، وأحسنهم أفكاراً، وأرقهم قلوباً، وأزكاهم أنفسهم؛ اصطفاهم الله تعالى، واصطفى لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيم على سائر الكتب.... فأجلّ النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، وراثته هذا الكتاب" (٣).

وقال ابن عاشور: "والتعريف في الحق تعريف الجنس. وأفاد تعريف الجزأين قصر المسند على المسند إليه - أي: قصر جنس الحق على الذي أوحينا إليك" (٤).

وخلاصة هذا الأصل: تباين أهل الإسلام في وراثتهم الكتاب المشتمل على الحق.

(١) ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ط ١، (٨٧/٢).

(٢) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٤٦٤/٢٠).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦٨٩/١).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٣٠٩/٢٢).

سورة يس

٨٠. قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ ﴾ [يس: ١١].

قال السعدي: " - أي: إنما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك (مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) - أي: مَنْ قصده اتباع الحق، وما ذُكِّر به، (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ) - أي: مَنْ اتصف بهذين الأمرين: القصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالى؛ فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك" ^(١).

وكان من دعاء النبي ﷺ: "... اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب..." ^(٢). فجمع النبي ﷺ بين اتباع الحق، والخشية، التي هي العمل بالحق على كل حال.

وخلاصة هذا الأصل: أن النذارة إنما تنفع باتباع المنهاج ظاهرا، مع خشية الله باطنا.

من خلال هذا الباب تبين المعالم والأصول الآتية للمنهاج القرآني:

٤١. لا يستوي صاحب الحق، وصاحب الباطل، كما لا يستوي البصير والسميع، والأعمى والأصم.

٤٢. الله سبحانه وتعالى على صراط مستقيم، وعلى الحق في كل شأنه: قضاء وقدر، حكما وشرعا.

٤٣. الاستقامة هي لزوم المنهج القويم.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط٤، (١/٦٩٢).

(٢) رواه النسائي، في السنن الصغرى، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، نوع آخر منه، (٣/٥٤)، وابن حبان، كما في موارد الظمان، كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة، (٢/٢٢٥)، وأحمد في المسند، (٤/٢٦٤)، وانظر: الألباني، في أصل صفة الصلاة، (٣/١٠٠٨)، وصحيح الجامع، (١٣٠١)، وصحيح الموارد، (١/٢٤٧)، (٤١٧).

٤٤. سبيل الرسول ﷺ هي الدعوة إلى الله على بصيرة، ولا يكون ذلك إلا بتجريد
الاتباع.

٤٥. الحق باق، والباطل ذاهب.

٤٦. أولو الألباب هم الذين يعلمون الحق، ومن سواهم عُمي.

٤٧-٤٨. طريق الحق واحدة، وهي الوحيدة الموصلة إلى الله، وجنته.

٤٩. الرسول بيّن القرآن، وأكمل الله به الدين؛ فبطل الابتداع فيه.

٥٠. منهاج الله وكتابه ودينه هو العدل، والصراط المستقيم.

٥١. الهداية للطريقة القويمة، والمنهاج الحق؛ إنما ذلك في كتاب الله.

٥٢. أن إنزال القرآن حق من عند الله، وأنه نزل بالحق مشتملا عليه.

٥٣. أن من حاد عن المنهاج خاسر عمله، ضال سعيه، وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

٥٤. أن العمل لا يُقبل إلا إذا كان على المنهاج، وذلك بالشرطين المذكورين: الإخلاص

لله، والمتابعة للرسول. وهذا الأصل والذي قبله متلازمان.

٥٥. أن الهداية إلى الصراط المستقيم تكون باتباع الأنبياء.

٥٦. أن من اتبع الهدى - بالسير على المنهاج - لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في

الآخرة.

٥٧. أن الدين واحد، والصراط واحد، والرب واحد، لا شريك له.

٥٨. أن أصول الجدال هي العلم أو الهدى أو كتاب منير، وأن المخالفين للصراط

المستقيم لا شيء عندهم منها.

٥٩. أن الحق يظهر ويتميز بظهور الباطل، وأن ظهور الباطل لا يزيد أهل الحق إلا

معرفة به وتمسكا.

٦٠. البراءة من كل من خالف المنهاج الواضح، وعدم الانشغال بمخالفته.

٦١. جماعة وائتلاف، لا فرقة واختلاف، لكن الجماعة والائتلاف إنما يكون على ما

جاءت به الأنبياء.

٦٢. أن الحق ليس بالهوى، وإنما بالذكر المنزل، وأن اتباع الأهواء فساد عريض.
٦٣. الدعوة إلى المنهاج الحق، والصراط الصدق، وعدم الانشغال بالناكبين.
٦٤. أن كل من عدل عن الحق؛ فهو كاذب.
٦٥. الحذر من مخالفة الرسول؛ فإنها الفتنة.
٦٦. أن من لم يتبع الهدى؛ اتبع الهوى.
٦٧. أن صاحب المنهج الصحيح لا يبالي بمخالفة من خالف.
٦٨. اتباع الكتاب حق الاتباع.
٦٩. أن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، لا في صدور غيرهم - ولو كان حافظا لحروفه - فهم المتبعون، لا غيرهم من الذين لا يجاوز تراقيهم.
٧٠. أن التفرق ينافي حقيقة التوحيد، وهو سبيل المشركين، لا المسلمين.
٧١. أن الاتباع يكون لسبيل من أناب إلى الله.
٧٢. اتباع الوحي، لا ما سواه.
٧٣. التأسى بالرسول ﷺ هو سبيل المخلصين لله.
٧٤. لا خيار لأحد بعد أمر الله ورسوله.
- ٧٥-٧٧. ضلال من أطاع الكبراء والسادة في خلاف طاعة الله ورسوله.
٧٨. لا يستوي أبدا الحق وأهله، والباطل وأهله.
٧٩. تباين أهل الإسلام في وراثتهم الكتاب المشتمل على الحق.
٨٠. أن النذارة إنما تنفع باتباع المنهاج ظاهرا، مع خشية الله باطنا.

الباب الرابع: الآيات المنهاجية في القرآن الكريم (٣).

(من بقية سورة يس إلى سورة الكافرون)

٨١. قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١) [يس: ٢٠ - ٢١].

قال السعدي: " (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) حرصاً على نصيح قومه، حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به، وعلم ما رد به قومه عليهم، فقال لهم: (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)، فأمرهم باتباعهم، وَنَصَحَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر تأييداً لما شهد به ودعا إليه، فقال: (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا) - أي: اتبعوا من نصحكم نصحاً يعود إليكم بالخير، وليس يريد منكم أموالكم، ولا أجراً على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع مَنْ هذا وصفه. بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجره، ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: (وَهُمْ مُهْتَدُونَ)؛ لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه" (١).

وقال ابن القيم: " ومن هذا ما حكاه الله سبحانه عن محاجة صاحب يس لقومه بقوله: ﴿يَنْقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١) [يس: ٢٠ - ٢١]. فنبه على موجب الاتباع، وهو كون المتبوع رسولاً لمن لا ينبغي أن يخالف ولا يعصي، وأنه على هداية، ونبه على انتفاء المانع، وهو عدم سؤال الأجر؛ فلا يريد منكم دنيا ولا رياسة. فموجب الاتباع كونه مهتدياً، والمانع منه منتف، وهو طلب العلو في الأرض والفساد، وطلب الأجر" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن المنهاج هو اتباع المرسلين، لا المتفلسفين.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط٤، (٦٩٣/١).

(٢) ابن القيم، الصواعق المرسلّة، ط٣، (٤٩٤/٢ - ٤٩٥).

سورة الصافات

٨٢. قوله تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].

قال ابن كثير: "يعني رسول الله ﷺ، جاء بالحق في جميع شريعة الله له من الإخبار والطلب، (وصدق المرسلين) - أي: صدقهم فيما أخبروه عنه من الصفات الحميدة، والمناهج السديدة، وأخبر عن الله في شرعه وقدره وأمره" (١).

وقال السعدي: " - أي: مجيئه حق، وما جاء به من الشرع والكتاب حق" (٢).

وقال ابن عاشور: "وتصديق المرسلين يجمع ما جاء به الرسول محمد ﷺ إجمالاً وتفصيلاً؛ لأن ما جاء به لا يعدو أن يكون تقريراً لما جاءت به الشرائع السالفة، فهو تصديق له ومصادقة عليه" (٣).

وقال ابن القيم: " - أي: مجيئه تصديق لهم من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئه ومبعثه. ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به، ومطابقة ما جاءوا به لما جاءوا به.

والمعنى الثاني: أنه لم يأت مكذباً لمن قبله من الأنبياء، مُزرياً عليهم، كما يفعل الملوك المتغلبون على الناس بمن تقدمهم من الملوك، بل جاء مصداقاً لهم، شاهداً بنبوّتهم" (٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن الحق لا يختلف.

٨٣. قوله تعالى: ﴿وَأَيِّنَّهَما الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ﴾ [الصافات: ١١٧ - ١١٨].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٢/٧).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٧٠٢/١).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (١٠٨/٢٣).

(٤) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ط ٢، (٣٥٠/٢ - ٣٥١).

قال السعدي: " يذكر تعالى مَنَّهُ على عبديه ورسوليه، موسى وهارون، ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى، ونجّاهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام والمواظع وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، وَمَنْ عليهما بسلوكه" (١).

وقال الآلوسي: " (وهديناها) بذلك (الصراط المستقيم) الموصل إلى الحق والصواب، بما فيه من تفاصيل الشرائع، وتفاريع الأحكام" (٢).

ونكتة اقتران هاتين الآيتين، أن الهداية إلى الصراط المستقيم إنما تكون - بعد توفيق الله تعالى - بالكتاب المستبين؛ فلا هداية تامة بما فيه غَبْش، بل ربما غلب الغبش؛ فصار هو الأصل، كما هو الشأن فيمن زاغ؛ فيُزيغ الله قلبه حتى يصبح زيغه هو منهاجه الذي يسير عليه.

وخلاصة هذا الأصل: أن الهداية لا تكون إلا بالمستبين.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٦٠٦).

(٢) الآلوسي، روح المعاني، ط ١، (١٧/٢٢١-٢٢٢).

سورة الزمر

٨٤. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ۖ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ وَوَلَّيْنَاكَ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَنَىٰ ۚ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

قال الطبري: "الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد"^(١).

وقال السعدي: "وَمِنْ لُبِّهِمْ وحزمهم، أنهم عرفوا الحسَن من غيره، وآثروا ما ينبغي إثاره، على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنهما، وقبيحها؛ ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعا لشهوته، فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل"^(٢).

وقال الشنقيطي: "قوله تعالى: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه). أظهر الأقوال في الآية الكريمة، أن المراد بالقول، ما جاء به النبي ﷺ، من وحي الكتاب والسنة"^(٣).

وقال الشوكاني: "والمعنى: يستمعون القول الحق من كتاب الله وسنة رسوله، فيتبعون أحسنه - أي: محكمه، ويعملون به. قال السدي: "يتبعون أحسن ما يؤمرون به، فيعملون بما فيه"^(٤).

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (١٢/٢٧٣-٢٧٤).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٧٢١).

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٦/٣٦٥).

(٤) أخرجه الطبري، جامع البيان، ط ١، (٢١/٢٧٤).

ثم ذكر أقوالاً أخرى، ثم قال: ثم أثنى سبحانه على هؤلاء المذكورين فقال: (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) - أي: هم الذين أوصلهم الله إلى الحق، وهم أصحاب العقول الصحيحة؛ لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم، ولم ينتفع من عداهم بعقولهم" (١).

وقال ابن عاشور: "أثنى الله عليهم بأنهم أهل نقد، يميزون بين الهدى والضلال، والحكمة والأوهام، نُظّر في الأدلة الحقيقية، نقاد للأدلة السفسطائية. وفي الموصول إيماء إلى أن اتباع أحسن القول سبب في حصول هداية الله إياهم" (٢).

وقال ابن تيمية: "قد قال تعالى: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) والمراد بالقول: القرآن، كما فسره بذلك سلف الأمة وأئمتها، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] واللام لتعريف القول المعهود؛ فإن السورة كلها إنما تضمنت مدح القرآن واستماعه" (٣).

وقال أيضاً: "وقوله: (فيتبعون أحسنه)، كقوله في هذه السورة: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]، فهذه الكلمة مثل هذه الكلمة سواء بسواء. وهذا من معاني تشابه القرآن، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، فاتباع أحسن ما أنزل إلينا من ربنا هو اتباع أحسن القول. وبهذا أمر بني إسرائيل حيث قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ بِأَخْذُهَا بِحَسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥] (٤).

(١) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٤/٥٢٣-٥٢٤).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢٣/٣٦٦).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٦/٥).

(٤) ابن تيمية، الاستقامة، ط ١، (١/٢٣١-٢٣٢).

وقال ابن القيم: "والقول ها هنا ما قاله الله ورسوله، واتباع أحسنه هو الاقتداء به، فهذا أحسن من قول كل قائل عداه" (١).

وخلاصة هذا الأصل: أن صاحب الهدى والعقل هو الذي يستمع الوحي، ويتبعه.

٨٥. قوله تعالى: ﴿قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ [الزمر: ٣٩ - ٤١].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبیاناً للناس بالحق (فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ) يقول: فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه إليه، واتبعه؛ فلنفسه، يقول: فإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها بغى الخير لا غيرها؛ لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

(وَمَنْ ضَلَّ) يقول: وَمَنْ جَارَ عَنْ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ، والبيان الذي يبيناه لك، فضل عن قصد المحجة، وزال عن سواء السبيل؛ فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك؛ لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم" (٢).

وقال ابن كثير: "وقوله: (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) - أي: على طريقتكم، وهذا تهديد ووعيد. (إني عامل) - أي: على طريقتي ومنهجتي، (فسوف تعلمون) - أي: ستعلمون غب ذلك ووباله" (٣).

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (١٥٢٥/٤).

(٢) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٢٩٧/٢١).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٠١/٧).

وقال السعدي: " يخبر تعالى أنه أنزل على رسوله الكتاب المشتمل على الحق، في أخباره وأوامره ونواهيه، الذي هو مادة الهداية، وبلاغ لمن أراد الوصول إلى الله وإلى دار كرامته، وأنه قامت به الحجة على العالمين"^(١).

وقال الشوكاني: " فمن اهتدى طريق الحق، وسلكها؛ فلنفسه. ومن ضل عنها؛ فإنما يضل عليها- أي: على نفسه، فضرر ذلك عليه لا يتعدى إلى غيره"^(٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن من كان على الحق والصواب؛ فلا يبالي بخلاف المخالف.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط٤، (٧٢٥/١).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط١، (٥٣٤/٤).

سورة غافر

٨٦. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]، مع التأمل في الآيات بعدها؛ لبيان أن اتباع المنهاج هو سبيل النجاة.

قال ابن عاشور: "ورتب خطبته على أسلوب تقديم الإجمال ثم تعقيبه بالتفصيل، فابتدأ بقوله: (اتبعون أهدكم سبيل الرشاد)، وسبيل الرشاد مجمل، وهو على إجماله مما تتوق إليه النفوس، فربط حصوله باتباعهم إياه مما يُقبل بهم على تلقي ما يفسر هذا السبيل،

وقد بنى هذه المقدمة على ما كانوا عليه من معرفة أن وراء هذه الحياة حياة أبدية، فيها حقيقة السعادة والشقاء، وفيها الجزاء على الحسنات والسيئات بالنعيم أو العذاب؛ إذ كانت ديانتهم تثبت حياة أخرى بعد الحياة الدنيا، ولكنها حرفت معظم وسائل السعادة والشقاوة، فهذه حقائق مسلّمة عندهم على إجمالها، وهي من نوع الأصول الموضوعة في صناعة الجدل، وبذلك تمت مقدمة خطبته، وتهيأت نفوسهم لبيان مقصده المفسر لإجمال مقدمته"^(١).

وقال الآلوسي: "(يا قوم اتبعون) فيما دلتكم عليه (أهدكم سبيل الرشاد) سبيلاً يصل به سالكه إلى المقصود، وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي"^(٢).

فأمر قومه باتباعه - إذ هو على بينة من ربه؛ بإيمانه بموسى - فإن اتبعوه؛ هداهم سبيل الرشاد؛ فهو كالفائد والمرشد، ثم حذرهم من الصادّ لهم عن ذلك، وهو الحياة الدنيا، وأن الآخرة هي دار القرار، وهي خير لمن آمن وعمل صالحاً، وأن سبيل الرشاد هو طريق النجاة، وأن ما هم عليه هو طريق العطب والهلاك، وأنه ليس بشيء. فما أنصحهم، وما أشجعهم!

وخلاصة هذا الأصل: الدعوة إلى السبيل، ومفاصلة المعاندين

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (١٤٨/٢٤ - ١٤٩).

(٢) الآلوسي، روح المعاني، ط ١، (٩٣/١٨).

سورة فصلت

٨٧. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١].

قال ابن كثير: "أي: أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم" (١).

وقال السعدي: "أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملاً؛ فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة" (٢).

وقال ابن عاشور: "والاستقامة حقيقتها: عدم الاعوجاج والميل، والسين والتاء فيها للمبالغة في التقويم. فحقيقة استقام: استقل، غير مائل، ولا منحني....

ف(استقاموا) هنا يشمل معنى الوفاء بما كلفوا به، وأول ما يشمل من ذلك أن يشبثوا على أصل التوحيد - أي: لا يغيروا ولا يرجعوا عنه.

ومن معنى هذه الآية ما روي في «صحيح مسلم» عن سفيان الثقيفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: "قل آمنت بالله ثم استقم" (٣).

وعن أبي بكر - رحمه الله -: " (ثم استقاموا): لم يشركوا بالله شيئاً".

وعن عمر - رحمه الله -: "استقاموا على الطريقة لطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعالب".

وقال عثمان - رحمه الله -: "ثم أخلصوا العمل لله". وعن علي: "ثم أدّوا الفرائض".

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٧٥/٧).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٧٤٨/١).

(٣) سبق تحريجه، ص ١٦٢.

فقد تولى تفسير هذه الآية الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم. وكل هذه الأقوال ترجع إلى معنى الاستقامة في الإيمان وآثاره، وعناية هؤلاء الأربعة أقطاب الإسلام ببيان الاستقامة مشير إلى أهميتها في الدين^(١).

وقال القاسمي: "(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) - أي: وحدوه بنفي غيره، وعرفوه بالإيقان حق معرفته. (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) - أي: في أخلاقهم وعقائدهم وأعمالهم؛ وذلك بالسلوك في طريقه تعالى، والثبات على صراطه، مخلصين لأعمالهم، عاملين لوجهه، غير ملتفتين بها إلى غيره"^(٢).

وقال ابن القيم: "فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين. وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات. فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله...

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله تعالى روحه - يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة"^(٣).

وقال أيضا: "... ومدار ذلك كله على الاستقامة باطناً وظاهراً؛ ولهذا كان الدين كله في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]"^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن الاستقامة هي كلية الدين، ومنهاج السبيل.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢٨٢/٢٤-٢٨٣). والآثار المذكورة عن الخلفاء الأربعة قد استوفيت تخريجها فيما

تقدم عند الكلام على آية هود: ١١٢، ص ١٥٨.

(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ط ١، (٣٣٦/٨).

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (١٠٦/٢).

(٤) طنطاوي، التفسير الوسيط، ط ١، (٣٧٠٥/١).

سورة الشورى

٨٨. قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء، فتنازعتم بينكم؛ فحكمه إلى الله. يقول: فإن الله هو الذي يقضي بينكم، ويفصل فيه الحكم" (١).

وقال ابن كثير: "أي: مهما اختلفتم فيه من الأمور، وهذا عام في جميع الأشياء، (فحكمه إلى الله) - أي: هو الحاكم فيه بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، كقوله: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]" (٢).

وقال السعدي: "يقول تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ) من أصول دينكم وفروعه، مما لم تتفقوا عليه؛ (فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ)، يُرَدُّ إلى كتابه، وإلى سنة رسوله، فما حَكَمَا به فهو الحق، وما خالف ذلك فباطل. (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي) - أي: فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر؛ فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم" (٣).

وتأمل كيف اجتمع في هذه الآية، ونحوها، هذا التقرير العظيم، الذي لا يفقهه أهل الأهواء والحزبيات الذين يتشدقون بالتوحيد والعقيدة، وهم أبعد ما يكونون عنها؛ وذلك أنه سبحانه جعل الرد إليه عند الاختلاف من أصول التوحيد والعقيدة.

وقد قرر الشنقيطي ذلك، فقال: "ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره؛ جاء موضحاً في آيات كثيرة. فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته.

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٥٠٦/٢١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٩٣/٧).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٧٥٣/١).

قال في حكمه: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]. وفي قراءة ابن عامر من السبعة: (ولا تشرك في حكمه أحدا)، بصيغة النهي.

وقال في الإشراف به في عبادته: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه - إن شاء الله.

وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله، عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه؛ كفر بواح لا نزاع فيه.

وقد دل القرآن في آيات كثيرة على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع تشريع غيره كفر به.....^(١).

وقال ابن تيمية: "وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]. وقال: ﴿إِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ فالأمور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة، ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك.

ومن اعتقد أنه يحكم بين الناس بشيء من ذلك، ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة؛ فهو كافر.

وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة، لا يحكمون في الأمور الكلية، وإذا حكموا في المعينات؛ فعليهم أن يحكموا بما في كتاب الله، فإن لم يكن؛ فيما في سنة رسول الله ﷺ. فإن لم يجدوا؛ اجتهد الحاكم برأيه...^(٢).

(١) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٤٧/٧-٤٨).

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (١٣٢/٥). وما ذكره من التدرج في مرجعية الحكم مأخوذ من حديث معاذ، قال البخاري: مرسل، وكذا الترمذي، وانظر: الضعيفة للألباني (٨٨١)، قال الألباني: "فأقول: هو صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقدان النص، وهذا مما لا خلاف فيه، ولكنه ليس صحيح المعنى عندي فيما يتعلق بتصنيف =

وقال ابن القيم: " وهذا نص صريح في أن حُكْم جميع ما تنازعنا فيه مردود إلى الله وحده وهو الحاكم فيه على لسان رسوله، فلو قدّم حكم العقل على حكمه؛ لم يكن هو الحاكم بوحيه وكتابه"^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن الحكم في جميع الأمور إلى الله تعالى: بكتابه، وسنة نبيه ﷺ.

٨٩. قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادِّعْ^ط وَأَسْتَقِمْ^ط كَمَا أُمِرْتَ^ط وَلَا تَتَّبِعْ^ط أَهْوَاءَهُمْ^ط وَقُلْ^ط ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ^ط اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ^ط وَأُمِرْتُ^ط لِأَعْدِلَ^ط بَيْنَكُمْ^ط اللَّهُ رَبُّنَا^ط وَرَبُّكُمْ^ط لَنَا^ط أَعْمَلُنَا^ط وَلَكُمْ^ط أَعْمَلُكُمْ^ط لَا حُجَّةَ^ط بَيْنَنَا^ط وَبَيْنَكُمْ^ط اللَّهُ يَجْمَعُ^ط بَيْنَنَا^ط وَإِلَيْهِ^ط الْمَصِيرُ^ط ﴿١٥﴾ [الشورى: ١٥].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فإلى ذلك الدين الذي شرع لكم، ووصى به نوحاً، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على العمل به، ولا تزعج عنه، وأثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة"^(٢).

وقال ابن كثير: " اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات، كل منها منفصلة عن التي قبلها، لها حكم برأسه، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه - ثم فسرهما واحدة واحدة"^(٣).

وقال السعدي: "(فَلِذَلِكَ فَادِّعْ) - أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقبله.

=السنة مع القرآن وإنزاله إياه معه منزلة الاجتهاد منهما. فكما أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص في الكتاب والسنة، فكذلك لا يؤخذ بالسنة إلا إذا لم يجد في الكتاب. وهذا التفريق بينهما مما لا يقول به مسلم، بل الواجب النظر في الكتاب والسنة معاً، وعدم التفريق بينهما؛ لما علم من أن السنة تبين مجمل القرآن، وتقيد مطلقة، وتخصص عمومه، كما هو معلوم. ومن رام الزيادة في بيان هذا؛ فعليه برسالي " منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن".

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (٨٢٨/٣).

(٢) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٥١٦/٢١).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٩٥/٧-١٩٦).

(وَاسْتَقِمْ) بنفسك (كَمَا أُمِرْتَ) - أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك. ومن المعلوم أن أمر الرسول ﷺ أمر لأمرته إذا لم يرد تخصيص له.

(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) - أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين: إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة... ولم يقل: "ولا تتبع دينهم"؛ لأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم، ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً....^(١).

وقال ابن تيمية: "فأمر الله نبيه أن يؤمن بجميع الكتب المنزلة، وأن يعدل بين الناس كلهم؛ فيعطي كل ذي حق حقه، ويمنع كل مبطل عن باطله؛ فإن القسط والعدل في جميع أمور الدين والدنيا فيما جاء به، وهو المقصود بإرسال الرسل وإنزال الكتب"^(٢).

وقال ابن القيم: "وأنت إذا تأملت هذه الآية؛ وجدت أهل الكلام الباطل وأهل الأهواء والبدع من جميع الطوائف أبخس الناس منها حظاً، وأقلهم نصيباً، ووجدت حزب الله ورسوله وأنصار سنته هم أحق بها وأهلها"^(٣).

وخلاصة هذا الأصل: إقامة الدين، وعدم التفرق فيه، وعدم البغي حال الاختلاف، والاستقامة على ذلك، مع الدعوة إليه، وعدم اتباع أهواء المخالفين، والإيمان بكل ما أنزل الله، وسلوك سبيل العدل في كل شيء.

٩٠. قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٢١].

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٧٥٥).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٢/٣٤٢).

(٣) ابن القيم، شفاء العليل، ط ١، (١/٥٢).

قال ابن تيمية: "العبادات مبناهما على الشرع والاتباع، لا على الهوى والابتداع؛ فإن الإسلام مبني على أصليين: أحدهما: أن نعبد الله وحده لا شريك له. والثاني: أن نعبد به ما شرعه على لسان رسوله ﷺ، لا نعبد به بالأهواء والبدع، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۗ﴾ [الحاثية: ١٨ - ١٩] الآية. وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله ﷺ: من واجب ومستحب، لا يعبد به بالأمر المبتدعة، كما ثبت في السنن من حديث العرياض بن سارية^(١). قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي مسلم: "أنه ﷺ كان يقول في خطبته: "خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"^(٢)^(٣).

وقال أيضا: "تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم. وعادات يحتاجون إليها في دنياهم"^(٤).

وقال أيضا: "وذلك أن باب العبادات والديانات والتقربات متلقاة عن الله ورسوله، فليس لأحد أن يجعل شيئا عبادة أو قرينة إلا بدليل شرعي. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]"^(٥).

وقال أيضا: "ومن بدل شرع الأنبياء، وابتدع شرعا؛ فشرعه باطل لا يجوز اتباعه،...

والله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله. ومحمد ﷺ خاتم الرسل؛ فعلى جميع الخلق اتباعه، واتباع ما شرعه من الدين، وهو ما أتى به من الكتاب والسنة، فما جاء به

(١) سبق تخریجه، ص ١١٩.

(٢) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٤١٨/٣)، (٨٦٧).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٨٠/١).

(٤) المصدر نفسه، (١٦/٢٩-١٧).

(٥) المصدر نفسه، (٣٥/٣١).

الكتاب والسنة هو الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه؛ - وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون، وهو الكتاب والسنة.

وسيوف المسلمون تنصر هذا الشرع، وهو الكتاب والسنة، كما قال جابر بن عبد الله: "أمرنا رسول الله ﷺ أن نضرب بهذا - يعني السيف - من خرج عن هذا - يعني المصحف" (١) (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن الدين ما شرعه الله وأذن به.

٩١. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

قال السعدي: "(جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم" (٣).

وقال الشنقيطي: "وما دلت عليه هذه الآيات الكريمة من كون هذا القرآن نورا، يدل على أنه هو الذي يكشف ظلمات الجهل، ويظهر في ضوئه الحق، ويتميز عن الباطل، ويميز به بين الهدى والضلال، والحسن والقيح.

فيجب على كل مسلم أن يستضيء بنوره، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويمثل أوامره، ويحتمل ما نهى عنه، ويعتبر بقصصه وأمثاله. والسنة كلها داخلة في العمل به؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ فَخُذْهُ وَمَا نَهَكَم عَنْهُ فَأْتَهُمْ﴾ [الحشر: ٧] (٤).

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة، د. ط، (١١٣٥/٣)، وفيه قصة هناك.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٦٥/٣٥).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٧٦٢/١).

(٤) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٨٠/٧).

وقال ابن تيمية: "فبمحمد ﷺ تبين الكفر من الإيمان، والريح من الخسران، والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال، والغى من الرشاد، والزيغ من السداد، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقون من الفجار، وإيثار سبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من سبيل المغضوب عليهم والضالين.

فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا. وذاك إذا فات حصل العذاب.

فحق على كل أحد بذل جهده واستطاعته في معرفة ما جاء به، وطاعته؛ إذ هذا طريق النجاة من العذاب الأليم، والسعادة في دار النعيم.

والطريق إلى ذلك الرواية والنقل؛ إذ لا يكفي من ذلك مجرد العقل،^(١).

وقال ابن القيم: "فلا روح إلا فيما جاء به، ولا نور إلا في الاستضاءة به، فهو الحياة والنور، والعصمة والشفاء، والنجاة والأمن، والله سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ فلا هدى إلا فيما جاء به، ولا يقبل الله من أحد ديناً يدينه به إلا أن يكون موافقاً لدينه"^(٢).

وقال أيضاً: "وقد اختلف في مفسر الضمير من قوله تعالى: (ولكن جعلناه نورا)، ف قيل: هو "الإيمان"؛ لكونه أقرب المذكورين. وقيل: هو "الكتاب"؛ فإنه النور الذي هدى به عباده.

قال شيخنا: والصواب أنه عائد على الروح المذكور في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ [الشورى: ٥٢] الآية - أي: جعلنا ذلك الروح نورا نهدي به من نشاء من عبادنا، فسمى وحيه روحاً؛ لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة، ومن عدمها فهو ميت لا حي.....

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١/٥٦-٦).

(٢) ابن القيم، الصواعق المرسلّة، ط ٣، (١/١٥٢).

وكمال الروح بهاتين الصفتين: بالحياة والنور. ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والاهتداء بما بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكا^(١)تهم".
وخلاصة هذا الأصل: أن الوحي هو الحياة والنور، وبه الهدى إلى الصراط المستقيم.

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (١٨٨/٢).

سورة الزخرف

٩٢. قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَدَّبْنَاهُمْ بِمَا كَتَبْنَا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَئِكَ حِجَّتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانظُرْ كَيْفَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٢١ - ٢٥].

قال السعدي: " وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لأبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرته ما معهم من الباطل؛ ولهذا كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: (أُولَئِكَ حِجَّتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ) - أي: فهل تتبعوني لأجل الهدى؟ (قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) فَعَلِمَ بِهَذَا، أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا اتِّبَاعَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَإِنَّمَا قَصَدَهُمْ اتِّبَاعَ الْبَاطِلِ وَالْهُوَى " (١).

وقال الشنقيطي: " وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تسفيه رأي الكفار وبيان شدة ضلالهم في تقليدهم آبائهم هذا التقليد الأعمى، جاء موضحاً في آيات كثيرة " (٢).

وقال الشوكاني: " وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه، فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم، ويتبعون آثارهم، ويقتدون بهم، فإذا رام الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة، أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير، ولا حجة واضحة " (٣).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٧٦٣/١-٧٦٤).

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (١٠٠/٧).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٦٣١/٤-٦٣٣)، مع حذف. قال الشوكاني: " وقد أوضحت هذا غاية الإيضاح في كتابي

الذي سميته «أدب الطلب ومنتهى الأرب» فارجع إليه، إن رمت أن تحلي عنك ظلمات التعصب، وتتقشع لك سحائب التقليد ". والكتاب الذي ذكره مطبوع، (اليمن: صنعاء، مكتبة الإرشاد، وبيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، بتحقيق عبد الله السريحي.

وقال ابن عاشور: "وهكذا كل مبطل، لا مستند لأقواله، ولا لأفعاله، لا من جهة العقل، ولا من جهة النقل، إن هو إلا الخرص، أو تقليد السالفين"^(١).

وقال ابن القيم: "والمقصود أن كل بلية طرقت العالم، عامة أو خاصة فأصلها من معارضة الوحي بالعقل، وتقديم الهوى على الأمر. والمعصوم من عصمه الله"^(٢).

وخلاصة هذا الأصل: ذم التقليد والتعلل به في ترك ما جاء به الرسول من الهدى.

٩٣. قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمِيعْ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النزخرف: ٤٣].

ما أنسب هذه الآية للأصل المذكور آنفاً؛ فإنه إذا علم بطلان التقليد؛ لزم الاستمسك بالوحي.

قال الطبري: " (إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ومنهاج شديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام"^(٣).

وقال ابن كثير: " - أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك؛ فإنه هو الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم"^(٤).

وقال الشنقيطي: "أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يتمسك بهدي هذا القرآن العظيم، ويّين له أنه على صراط مستقيم - أي: طريق واضح لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام الذي تضمنه هذا القرآن العظيم الذي أوحى إليه.

(١) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (١٨٦/٢٥).

(٢) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (١٠٨٠/٣).

(٣) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٦١٠/٢١).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٢٩/٧).

وما تضمنته هذه الآية الكريمة قد جاء موضحاً في آيات آخر من كتاب الله" (١).

ومن المناسب ههنا لذكر الاستمسك ذكر قول الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه عام الحديبية: "إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصى ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: الاستمسك بالوحي؛ فإنه الصراط المستقيم.

(١) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (١٢٠/٧).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، (٢١٦/٧)، (٢٧٣٢، ٢٧٣١).

سورة الجاثية

٩٤. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٨] الجاثية: [١٨].

قال الطبري: " (عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ) يقول: على طريقة وسنة ومنهاج مِن أمرنا الذي أمرنا به مَن قبلك من رسلنا. (فَاتَّبِعْهَا) يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به" (١).

وقال ابن كثير: "... وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم؛ ولهذا قال: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) - أي: ﴿أَتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقال هاهنا: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) - أي: وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً، فإنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً" (٢).

وقال الشنقيطي: " وما تضمنته آية «الجاثية» هذه من النهي عن اتباع أهوائهم، جاء موضحاً في آيات كثيرة، والآيات يمثل ذلك كثيرة معلومة" (٣).

وقال ابن تيمية: " وقد دخل في الذين لا يعلمون: كل من خالف شريعته" (٤).

وقال أيضاً: "... فقد نهاه عن اتباع أهواء المشركين، واتباع أهواء أهل الكتاب، وحذره أن يفتنوه عما أنزل الله إليه من الحق، وذلك يتضمن النهي عن اتباع أهواء أحد في خلاف شريعته وسنته، وكذا أهل الأهواء من هذه الأمة.

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٧٠/٢٢).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٦٧/٧).

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (١٩٩/٧).

(٤) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ط ٥، (٩٨/١).

وقد بيّن ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩]، فقد أمره في هذه الآية باتباع الشريعة التي جعله عليها، ونهاه عن اتباع ما يخالفها وهي أهواء الذين لا يعلمون؛ ولهذا كان كل من خرج عن الشريعة والسنة من أهل الأهواء، كما سماهم السلف^(١).

وقال ابن القيم: "وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩]، ففُتِّم الأمر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها، وأوحى إليه العمل بها، وأمر الأمة بها، وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون؛ فأمر بالأول، ونهى عن الثاني"^(٢).

وخلاصة هذا الأصل: اتباع المنهاج، وترك ما خالفه؛ فإنها الأهواء.

(١) ابن تيمية، جامع الرسائل، ط ١، (٢/٢٠٦-٢٠٧).

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (١/٣٨).

سورة الأحقاف

٩٥. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

تقدم الكلام على مضمون هذه الآية في آية سورة فصلت.

وقد ذكر ابن كثير ههنا فائدة، قال: "وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه؛ لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها"^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن أهل الاستقامة والمنهاج لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بخلاف أهل الاعوجاج.

٩٦. قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

قال الطبري: "وقوله (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) يقول: يرشد إلى الصواب، ويدل على ما فيه الله رضا (وإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول: وإلى طريق لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام"^(٢).

وقال ابن كثير: "وقولهم: (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) - أي: في الاعتقاد والإخبار، (وإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) في الأعمال، فإن القرآن يشتمل على شيئين: خير وطلب: فخير صدق، وطلبه عدل، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٧/٢٧٨-٢٧٩).

(٢) الطبري، جامع البيان، ط ١، (١٤٠/٢٢).

وَدِينِ الْحَقِّ ﴿التوبة: ٣٣﴾، فالهذى هو: العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح. وهكذا قالت الجن: (يهدي إلى الحق) في الاعتقادات، (وإلى طريق مستقيم) - أي: في العمليات" (١).

وقال ابن القيم: "وتعبرهم عنه هاهنا بالطريق فيه نكتة بديعة، ... أي: إلى سبيل مطروق قد مرت عليه الرسل قبله، وإنه ليس ببدع، كما قال في أول السورة نفسها؛ فاقتضت البلاغة والإعجاز لفظ الطريق؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول - أي: مطروق مشت عليه الرسل والأنبياء قبل، فحقيقٌ على من صدق رسل الله، وآمن بهم أن يؤمن به ويصدقه؛ فذكر الطريق هاهنا - إذن - أولى؛ لأنه أُدْخِلَ في باب الدعوة، والتنبيه على تعين اتباعه، والله أعلم. ثم رأيت هذا المعنى بعينه قد ذكره السهيلي، فوافق فيه الخاطر الخاطر" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن المنهاج علم نافع وعمل صالح، وأن ذلك هو القرآن.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٠٣/٧).

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ١، (١٦/٢-١٧).

سورة محمد

٩٧. قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُرِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٤].

قال السعدي: " - أي: لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه، علماً وعملاً، قد علم الحق واتبعه، ورجا ما وعده الله لأهل الحق، كمن هو أعمى القلب، قد رفض الحق وأضله، واتبع هواه بغير هدى من الله، ومع ذلك، يرى أن ما هو عليه من الحق، فما أبعد الفرق بين الفريقين! وما أعظم التفاوت بين الطائفتين، أهل الحق وأهل الغي!"^(١).

وقال ابن عطية: " واتباع الأهواء: طاعتها؛ كأنها تذهب إلى ناحية، والمرء يذهب معها"^(٢).

وقال ابن تيمية: " وقال أبو الدرداء: لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم، ويتركوا ما جاءهم به أنبياءهم من البينات والهدى"^(٣).

وخلاصة هذا الأصل: أنه ليس بعد البينة من الله إلا عمل سوء مُزَيَّن، واتباع الهوى؛ فليس بعد الهدى إلا الهوى.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٧٨٦/١).

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ط ١، (١١٤/٥).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٦٣/١٥). وأثر أبي الدرداء لم أجده.

سورة الفتح

٩٨. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا

﴿٢٨﴾ [الفتح: ٢٨].

قال ابن كثير: " - أي: بالعلم النافع والعمل الصالح؛ فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فإخباراتها حق، وإنشاءاتها عدل" ^(١).

وقال السعدي: " (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى) الذي هو العلم النافع، الذي يهدي من الضلالة، ويبين طرق الخير والشر. (وَدِينِ الْحَقِّ) - أي: الدين الموصوف بالحق، وهو العدل والإحسان والرحمة، وهو كل عمل صالح مزكّ للقلوب، مطهر للنفوس، مربّ للأخلاق، مُعْلِل للأقدار" ^(٢).

وقال ابن تيمية: " وذلك أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، فبالهدى يُعرف الحق، وبدين الحق يُقصد الخير ويُعمل به، فلا بد من علم بالحق، وقصد له وقدرة عليه" ^(٣).

وقال أيضاً: " فالهدى: كمال العلم، ودين الحق: كمال العمل" ^(٤).

وقال أيضاً: " فالهدى يتضمن العلم النافع، ودين الحق يتضمن العمل الصالح" ^(٥).

وخلاصة هذا الأصل: أن الهدى ودين الحق فيما جاء به الرسول.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٦٠/٧).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٧٩٥/١).

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (٥٤٨/٤).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٥٩/٢).

(٥) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ط ٢، (١٠٦/١).

سورة الحجرات

٩٩ . قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْفُوا^٤ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

قال الطبري: "يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله؛ فتَقْضُوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله. محكي عن العرب: فلان يقدم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه"^(١).

ثم أسند عن ابن عباس: "يقول: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة"^(٢).

وقال ابن كثير: "أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه - أي: قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور"^(٣).

وقال السعدي: "وفي هذا، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ على قوله؛ فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ؛ وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائن ما كان"^(٤).

وقال الشنقيطي: "والمعنى لا تتقدموا أمام الله ورسوله: فتقولوا في شيء بغير علم ولا إذن من الله. وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله"^(٥).

وقال الشوكاني: "ومعنى الآية: لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله، ولا تعجلوا به"^(٦).

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٢٧٢/٢٢).

(٢) تقدم تخريجه، ص ٢٠٣.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٦٤/٧).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٧٩٩/١).

(٥) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٤٠٠/٧-٤٠١). مع حذف.

(٦) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٦٩/٥).

وقال الألوسي: "وحاصله النهي عن الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة"^(١).

وقال ابن تيمية: "قال مجاهد: لا تفتاتوا عليه بشيء حتى يقضيه الله على لسانه... فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول، ولا يتقدم بين يديه؛ بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعمله تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة، ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه؛ نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل؛ فهذا أصل أهل السنة.

وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الأمر على ما تلقوه عن الرسول؛ بل على ما رأوه أو ذاقوه، ثم إن وجدوا السنة توافقه، وإلا لم يبالوا بذلك. فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً، أو حرفوها تأويلاً.

فهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة وأهل النفاق والبدعة"^(٢).

وقال ابن القيم: "والقول الجامع في معنى الآية: لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم؛ فكيف تقدم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم"^(٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن أصل المنهاج الأعظم: أن نكون تبعاً للكتاب والسنة.

(١) الألوسي، روح المعاني، ط ١، (٢٨٥/١٣).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٦٣-٦٢/١٣). وليتأمل العاقل في هذا الكلام النور، وصدقه في المنهاجية؛ ولذا آثرت ألا تكثر تعليقاتي؛ اكتفاءً بهذا الكلام المنقول عن الراسخين؛ فإنه شافٍ كاف.

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (٤١/١).

سورة النجم

١٠٠. قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٢ - ٥].

قال ابن كثير: " فنزه الله سبحانه وتعالى رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال، كالنصارى، وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال: (وما ينطق عن الهوى) - أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض، (إن هو إلا وحي يوحى) - أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفراً من غير زيادة ولا نقصان.

ثم ذكر الحديث الذي رواه الإمام أحمد بإسناده عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ، مِثْلُ الْحَيِّينَ - أو: مثل أحد الحيين - ربيعة ومضر". فقال رجل: يا رسول الله، أو ما ربيعة من مضر؟ قال: "إنما أقول ما أقول"^(١).

ومعناه أنه ﷺ لا يقول من عند نفسه، وإنما بالوحي.

وحديثاً آخر رواه أحمد أيضاً وأبو داود بإسنادهما عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله، ورسول الله ﷺ بشر، يتكلم في الغضب. فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: " اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما خرج مني إلا حق"^(٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند، (٢٥٧، ٢٦١/٥)، وانظر: الألباني في الصحيحة، برقم (٢١٧٨)، وهو صحيح بشواهده.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، (٦٨/٦)، وصححه إسناده أحمد شاكر، وكذا الأرئوط، وأخرجه الدارمي في السنن، كتاب العلم، باب من رخص في كتابة العلم، (١٣٦/١)، (٤٨٤)، ورواه أبو داود في السنن، كتاب العلم، باب في كتابة العلم، (١٠، ٥٧)، (٣٦٤١).

وآخر رواه البزار بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما أخبرتكم أنه الذي من عند الله، فهو الذي لا شك فيه" (١).

وآخر رواه أحمد بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا أقول إلا حقاً". قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: "إني لا أقول إلا حقاً" (٢) (٣).

وفي القَسَم بالنجم ههنا مناسبة، قال السعدي: "... لأن في ذلك مناسبة عجيبة؛ فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء؛ لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم.

والمقسم عليه، تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه، والغى في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتدياً في علمه، هادياً، حسن القصد، ناصحاً للأمة، بعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، وفساد القصد...

ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه؛ لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى" (٤).

وقال ابن تيمية: "فنزّه الله رسوله عن الضلال، والغى. والضلال: عدم العلم، والغى: اتباع الهوى.....

(١) وأخرجه ابن حبان في الصحيح، (٧/٤)، (٢١٠٣)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم (٢١٠٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، (٣٦٠/٢)، والترمذي في السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح. وقال: حديث حسن صحيح. والبخاري في الأدب المفرد، باب المزاح، (١٤٠/١)، (٢٦٥). وانظر: الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٢٦).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٧/٤٤٢-٤٤٣).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٨١٨).

والصراط المستقيم يتضمن معرفة الحق والعمل به، فمن خرج عن الصراط المستقيم؛ كان متبعاً لظنه، وما تهواه نفسه، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]. وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة، فإنهم إن يتبعون إلا الظن، وما تهوى الأنفس، ففيهم جهل وظلم^(١).

وقال ابن القيم: "فنزّهه عن الضلال، الذي هو نقيض الهدى، وعن الغي، الذي هو نقيض الرشd"^(٢).

وقال أيضاً: "...؛ فهو الكامل في علمه وفي عمله، وقد وصف بذلك خلفاءه من بعده، وأمر باتباعهم على سنتهم؛ فقال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي"^(٣). رواه الترمذي وغيره"^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن المنحرف عن المنهاج؛ ضال، أو غاو، أو كلاهما.

١٠١. قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدًى﴾ [النجم: ٢٣ - ٢٤].

قال ابن كثير: " (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) - أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير، والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤوهم به، ولا انقادوا له"^(٥).

وقال السعدي: " (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدًى) - أي: الذي يرشدهم في باب التوحيد والنبوة، وجميع المطالب التي يحتاج إليها العباد، فكلها قد بينها الله أكمل بيان وأوضحه، وأدله

(١) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (١/١٨-٢٠).

(٢) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (٤/١٢١١).

(٣) سبق تخريجه، ص ١١٩.

(٤) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط ١، (١/٤٠).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٧/٤٥٨).

على المقصود، وأقام عليه من الأدلة والبراهين، ما يوجب لهم ولغيرهم اتباعه، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة من بعد البيان والبرهان^(١).

وقال ابن عاشور: "والتعريف في الهدى؛ للدلالة على معنى الكمال، أي: الهدى الواضح"^(٢).

وقال ابن تيمية: "وأصل الضلال" اتباع الظن والهوى، كما قال الله تعالى في حق من ذمهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]^(٣).

وقال أيضا: "فإن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن، وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى"^(٤).

وقال ابن القيم: "وقال فيمن قدم عقله على ما جاء به: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]. والقرآن مملوء بوصف من قدم عقله على ما جاء به بالضلال"^(٥).

وقال أيضا: "فأصل كل خير: هو العلم والعدل. وأصل كل شر: هو الجهل والظلم"^(٦).

وخلاصة هذا الأصل: أن المنحرف عن المنهاج والهدى ليس معه إلا الظن والهوى.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٨١٩).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢٧/١١٠).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣/٣٨٤).

(٤) المصدر نفسه، (١٢/٢٣٧).

(٥) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (٣/٨٤٧).

(٦) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ط ٢، (٢/١٣٧).

١٠٢. قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٢٨) فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ [النجم: ٢٨ - ٣٠].

وهذا الأصل مقرر للأصلين قبله، وقد جاءت هذه الأصول الثلاثة في سورة واحدة هي سورة النجم، وما أنسب اسمها لما اشتملت عليه! فإنها اشتملت على الهداية بالوحي والهدى الذي جاء به سيد الورى، كما يهتدى بالنجوم، وأن الهداية بغير ذلك، فإنما هو الظن والهوى الذي يمليه الشيطان المرجوم بالنجم، فلا بقاء له، ولا قيمة.

قال الشوكاني: "وفيه دليل على أن مجرد الظن لا يقوم قيام العلم، وأن الظان غير عالم" (١).

وقال ابن القيم: "— بعد أن ذكر جماعة من حيارى المتكلمين؛ لإعراضهم عن الكتاب والسنة—: ولقد أحسن القائل في وصف هؤلاء وبصائرهم أنها بمنزلة أبصار الخفاش تعجز عن ضوء النهار، ولا تفتح أعينها فيه، ويلائمها ظلام الليل، فتذهب فيه وتجيء؛... فعلمهم ظنون: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٢٨) [النجم: ٢٨]، وإرادتهم هوى نفوسهم، وعلمهم تدعو إلى إرادتهم، وإرادتهم تدعو إلى علمهم؛ فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، ويضل عن سبيل الله، فتولوا عن القرآن، وآثروا عاجل الدنيا" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: الإعراض عمن تولى عن الذكر والمنهاج؛ فإنه لا شيء معه، ولا هدى عنده.

(١) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (١٣٤/٥).

(٢) ابن القيم، الصواعق المرسلة، ط ٣، (٨٤١/٣-٨٤٤). ومعنى (خلع العذار): خلع الحياء، مثل يضرب للمنهك في الغي. والعذاران من الفرس كالعازيين من وجه الإنسان. انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢٥٥/٤)، مادة (عذر).

سورة الحديد

١٠٣. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ^ط وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ^{٢٥}﴾ [الحديد: ٢٥].

قال ابن كثير: " (والميزان) وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وقال: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ^٧﴾ [الرحمن: ٧].

ولهذا قال في هذه الآية: (ليقوم الناس بالقسط) - أي: بالحق والعدل، وهو: اتباع الرسل فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاؤوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق"^(١).

وقال السعدي: "والدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي، وفي معاملات الخلق، وفي الجنايات والقصاص والحدود، والموارث، وغير ذلك...."^(٢).

وقال ابن تيمية: "فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي، والسيف الناصر، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ^ط وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥]"^(٣).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٧/٨-٢٨).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٨٤٢/١).

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (١/٥٣١).

وقال أيضا: "... ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف. وقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نضرب بهذا - يعني السيف - من عدل عن هذا - يعني المصحف" (١).

وقال أيضا: "والميزان" فسر السلف بالعدل، وفسره بعضهم بما يوزن به، وهما متلازمان. وقد أخبر تعالى أنه أنزل ذلك كما أنزل الكتاب؛ ليقوم الناس بالقسط" (٢).

وقال أيضا: "والميزان" هو: العدل، وما به يعرف العدل" (٣).

وقال أيضا: "فالكتاب والعدل متلازمان، والكتاب هو المبين للشرع؛ فالشرع هو العدل، والعدل هو الشرع. ومن حكم بالعدل؛ فقد حكم بالشرع، ولكن كثيراً من الناس ينسبون ما يقولونه إلى الشرع، وليس من الشرع؛ بل يقولون ذلك إما جهلاً، وإما غلطاً، وإما عمداً وافتراءً، وهذا هو الشرع المبدل..." (٤).

وقال ابن القيم: "ومن أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه، وإن الشرك لظلم عظيم، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات. فتأمل هذا الأصل حق التأمل، واعتبر تفاصيله؛ تعرف به حكمة أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين فيما فرضه على عباده، وحرمه عليهم، وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي" (٥).

وخلاصة هذا الأصل: أن غاية المنهاج إقامة القسط.

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ط ١، (٣٧/١). وأثر جابر سبق تخريجه، ص ٢٤٨.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٣٩/٩).

(٣) المصدر نفسه، (٣٧/٢٨).

(٤) المصدر نفسه، (٣٦٦/٣٥).

(٥) ابن القيم، الجواب الشافي، ط ١، (١٢٨/١).

سورة الممتحنة

١٠٤. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦].

قال الشنقيطي: "الأسوة كالقدوة، وهي اتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة؛ ولذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وهنا أيضا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]"^(١).

وقال السعدي: "وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل على من (كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، يسهّل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقراً ومضطراً إلى ذلك غاية الاضطرار"^(٢).

وأكثر المفسرين على أن هذه الآية تأكيد للآية التي قبلها. والذي يظهر للباحث أنها إطلاق لها؛ حيث ذكر في الأولى التأسّي بهم في البراءة، ولما كان هذا قد يفهم منه التأسّي بهم فقط فيما ذكر؛ أطلق في هذه الآية التأسّي بهم؛ لأنهم أهل الأسوة والقدوة.

وخلاصة هذا الأصل: التأسّي بأهل المنهاج الصحيح؛ لنكون منهم.

(١) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٨/٨٥).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٨٥٦).

سورة الصف

١٠٥ . قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

تقدم الكلام على هذه الآية مرتين: مرة في آية التوبة، ومرة في آية الفتح.

لكن ما أحسن ما ذكره الإمام السعدي في هذا الموضع، و-كعاداته- في كل موضع؛ فإنه إمام في التفسير المنهاجي والتربوي.

قال: "ثم ذكر سبب الظهور والانتصار للدين الإسلامي، الحسي والمعنوي، فقال: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ) - أي: بالعلم النافع والعمل الصالح...

فما بعث به النبي ﷺ من الهدى ودين الحق، أكبر دليل وبرهان على صدقه، وهو برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد العاقل تفكراً؛ ازداد به فرحاً وتبصراً.

(لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) - أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان. فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجحه وبكسه، وصار له الظهور والقهر.

وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم؛ فكذلك لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهروا على أهل الأديان، وإذا ضيعوه واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه؛ لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم، ويعرف هذا من استقرأ الأحوال، ونظر في أول المسلمين وآخرهم^(١).

وخلاصة هذا الأصل - كما تقدم - أن المنهاج هو العلم النافع، والعمل الصالح، وأنه يعلو، ولا يعلو.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٨٥٩). فلجحه: كسره. بلسه: قطعه؛ فلم تكن له حجة. / انظر: الأزهري،

تهذيب اللغة، (٣٠٦/١٢)، مادة (بلس).

سورة الطلاق

١٠٦ . قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّقُوا لِيَ الْآلِبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ ﴾ ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرْجِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۖ ﴾ ﴿١١﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١].

قال ابن كثير: " (قد أنزل الله إليكم ذكرا) - يعني: القرآن . كقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ﴿٩﴾ [الحجر: ٩] .

وقوله: (رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات)، قال بعضهم: (رسولاً) منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة؛ لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر.

وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر، يعني: تفسيراً له؛ ولهذا قال تعالى: (رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات) - أي: في حال كونها بينة واضحة جلية (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور)، كقوله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [إبراهيم: ١] ، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] - أي: من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم.

وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا؛ لما يحصل به من الهدى، كما سماه روحاً؛ لما يحصل به من حياة القلوب، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥٢﴾ [الشورى: ٥٢] ^(١).

وقال ابن عاشور: " وقوله: (رسولاً) بدل من (ذكراً) بدل اشتمال؛ لأن بين القرآن والرسول محمد ﷺ ملازمة وملابسة؛ فإن الرسالة تحققت له عند نزول القرآن عليه، فقد أُعْمِلَ فعل (أنزل) في (رسولاً) تبعاً لإعماله في المبدل منه؛ باعتبار هذه المقارنة، واشتمال مفهوم أحد

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٨/١٥٥).

الاسمين على مفهوم الآخر. وهذا كما أبدل: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البينة: ٢] من قوله: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١) ﴿[البينة: ١]. والرسول: هو محمد ﷺ﴾^(١).

وذكر الشوكاني في الآية ثمانية أقوال^(٢). وهي تكثير بلا طائل، والآية بيّنة بنفسها، فالذكر بيّنه الله تعالى بقوله: (رسولا يتلو عليكم آيات الله)؛ لأن القرآن لم ينزل لا على أحد، وإنما نزل على رسول، لا يُعلم إلا من طريقه، من جهة لفظه، ومن جهة معناه، كما قال ابن تيمية: "يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لَتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا"^(٣).

وقد نص ابن تيمية على ذلك، فقال: "وقد قال تعالى في القرآن: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ (١٠) ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمَيِّنَةً لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١]. ومعلوم أن الرسول - نفسه - لم ينزل، بل أبدل الرسول من الذكر؛ لأن الرسول جاء بالذكر.

ولما كان الرسول الملكي، والرسول البشري، والذكر المنزل أموراً متلازمة، يلزم من ثبوت واحد ثبوت الآخر، ومن الإيمان بواحد الإيمان بالآخرين؛ فيلزم من كون القرآن حقاً كون جبريل ومحمد حقاً، وكذلك يلزم من كون محمد حقاً كون جبريل والقرآن حقاً، ويلزم من كون جبريل حقاً كون القرآن ومحمد حقاً.

ولهذا جمع الله بين الإيمان بالملائكة والكتب والرسول في مثل قوله: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن القرآن والسنة متلازمان، لا يفترقان.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٣٣٦-٣٣٧). مقتطفات مقصودة.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٢٩٤/٥).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٣١/١٣).

(٤) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ط ٢، (٣١٣/٥).

سورة الملك

١٠٧. قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

قال السعدي: " - أي: أي الرجلين أهدى؟ من كان تائهاً في الضلال، غارقاً في الكفر، قد انتكس قلبه، فصار الحق عنده باطلاً، والباطل حقاً؟ ومن كان عالماً بالحق، مؤثراً له، عاملاً به، يمشي على الصراط المستقيم في أقواله وأعماله وجميع أحواله؟ فبمجرد النظر إلى حال هذين الرجلين، يُعلم الفرق بينهما، والمهتدي من الضال منهما، والأحوال أكبر شاهد من الأقوال" (١).

وقال الشوكاني: " والهمزة للاستفهام الإنكاري - أي: هل هذا الذي يمشي على وجهه أهدى إلى المقصد الذي يريده، أم يمشي سويّاً معتدلاً ناظراً إلى ما بين يديه على صراط مستقيم - أي: على طريق مستوٍ لا اعوجاج به ولا انحراف فيه" (٢).

ومما لا شك فيه ولا ريب أن الآية على العموم، كما هي طريقة القرآن، فالمثل - على هذا - للضال والمهتدي، كما يدل عليه قوله تعالى: (أهدى)، وكذا فسره ابن عباس قال: " (أفمن يمشي مكباً)، قال: في الضلال. (أمن يمشي سويّاً)، قال: مهتدياً" (٣).

وكذا قال مجاهد: " (مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ)، قال: في الضلالة. (أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، قال: حقّ مستقيم" (٤).

وقال القاسمي: " تمثيل للضالين والمهتدين" (٥).

وخلاصة هذا الأصل: أن الهدى في اتباع المنهاج.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (١/٨٧٧).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٥/٣١٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، (١٠/٣٣٦٣).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان، (٢٣/٥١٦). وإسناده صحيح، كما في موسوعة الصحيح المسبور، (٤/٥١٨).

(٥) القاسمي، محاسن التأويل، ط ١، (٩/٢٩٤).

سورة الجن

١٠٨ . قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا مَّجْبَىٰٓ ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١ - ٢].

قال الطبري: "يدلّ على الحقّ، وسبيل الصواب" (١).

وقال السعدي: "والرشد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم، (فَأَمَّنَّا بِهِ وَلَنُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى المتضمنة لترك الشر، وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد واجتناب المضار، فإن ذلك آية عظيمة، وحجة قاطعة، لمن استنار به، واهتدى بهديه" (٢).

وقال ابن القيم: "فأخبروا أنه يهدي إلى الرشد وإلى الحق، وأعظم الرشد والحق الذي يهدي إليه معرفة الله سبحانه، وإثبات صفاته، وعلوه على خلقه ومباينته لهم؛ إذ بذلك يتم الاعتراف به وإثباته، ونفي ذلك نفي له ولصفاته" (٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن الرشد والحق في القرآن.

١٠٩ . قوله تعالى: ﴿وَأَنآمَنَّا الصَّلَاحُونَ وَمَتَدُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا ۝١١﴾ [الجن: ١١].

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٦٤٧/٢٣).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٨٩٠/١).

(٣) ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ط ١، (٣٢٦/٢).

قال الطبري: "(كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا) يقول: وأنا كنا أهواء مختلفة، وفرقاً شتى، منا المؤمن والكافر. والطرائق: جمع طريقة، وهي طريقة الرجل ومذهبه. والقدد: جمع قِدَّة، وهي الضروب والأجناس المختلفة"^(١).

ثم أسند عن ابن عباس وعكرمة وقتادة أنهم قالوا: أهواء مختلفة"^(٢).

وقال ابن كثير: "وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه، حدثنا أسلم بن سهل بحشل، حدثنا علي بن الحسن بن سليمان - هو أبو الشعثاء الحضرمي، شيخ مسلم - حدثنا أبو معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: تروّح إلينا جني، فقلت له: ما أحبُّ الطعام إليكم؟ فقال الأرز. قال: فأتيانهم به، فجعلت أرى اللُّقْم تُرفع، ولا أرى أحداً. فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. قلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا"^(٣).

وقال الشوكاني: "قال الحسن: الجن أمثالكم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعية، وكذا قال السدي"^(٤).

وقال ابن تيمية: " - أي: مذاهب شتى: مسلمون وكفار؛ وأهل سنة وأهل بدعة"^(٥).

وقال ابن القيم: "وقولهم: (كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا) بيان لقولهم: (مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) - أي: كنا ذوى طرائق - وهى المذاهب - واحداً طريقة، وهى المذهب، والقدد جمع قدة، كقطعة وقطع، وزناً ومعنى. وهى من القَد، وهو القطع"^(٦).

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٦٥٩/٢٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان، (٦٥٩/٢٣).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٤٢/٨). وقال ابن كثير: "عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش".

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٣٦٧/٥).

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٨/١٩).

(٦) ابن القيم، طريق الهجرتين، ط ٢، (٤١٥/١).

وخلاصة هذا الأصل: أن معيار الصلاح هو ملازمة المنهاج، وما سواه (طرائق قددا).

١١٠. قوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقَامَةُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

قال الطبري: "على طريقة الحق والاستقامة"^(١).

وقال ابن كثير: "اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين:

أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، وعدلوا إليها، واستمروا عليها، (لأسقيناهم ماء غدقا) - أي: كثيرا. والمراد بذلك سعة الرزق. كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]، وكقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وعلى هذا يكون معنى قوله: (لنفتنهم فيه) - أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: (لنفتنهم) لنبتليهم، من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية؟ - ثم ذكر أقوال من قال بهذا القول -.

والقول الثاني: (وأن لو استقاموا على الطريقة) الضلالة (لأسقيناهم ماء غدقا) - أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا، "^(٢).

قال ابن عطية - عن القول الأول -: "وهذا قول أبين؛ لأن استعارة الاستقامة للكفر قلقة"^(٣).

وقال الشنقيطي: "قوله تعالى: (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٦٦٢/٢٣).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢٤٢/٨ - ٢٤٣).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ط ١، (٣٨٣/٥).

[الأعراف: ٩٦]، فكلها نصوص على أن الأمة إذا استقامت على الطريقة القويمة، شرعة الله؛ لفتح عليهم بركات من السماء والأرض، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]. ومفهوم ذلك: أن من لم يستقم على الطريقة؛ فقد يكون انحرافه، أو شركه موجباً لحرمانه من نعمة الله تعالى عليه...^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن الاستقامة على المنهاج فيها سعادة الدنيا قبل الأخرى.

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٣١٩/٨).

سورة المدثر

١١١. قوله تعالى: ﴿وَيْبَاكَ فَطَهَّرَ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾ [المدثر: ٤ - ٥].

بسط ابن جرير أقوال السلف في الآية الأولى، ولخصها ابن كثير - كعادته - وزاد عليها، ثم قال: "وقد تشمل الآية جميع ذلك، مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه،" (١).

فاشتملت الآية الأولى على نوعي الطهارة: الطهارة المعنوية، والطهارة الحسية؛ فشملت الدين كله، وقد جاء في مواضع في الكتاب والسنة اقتران الطهارتين.

وقال الآلوسي: "(وَيْبَاكَ فَطَهَّرَ) تطهير الثياب كناية عن تطهير النفس عما تُدَمُّ به من الأفعال، وتحذيرها عما يُستهجن من الأحوال؛ لأن من لا يرضى بنجاسة ما يماسه كيف يرضى بنجاسة نفسه.... وكلمات جمهور السلف دائرة على نحو هذا المعنى في الآية الكريمة" (٢).

وقال ابن القيم: "وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب هاهنا القلب، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق.... ثم عدّد أقوالهم كثيرا... ثم قال: قلت: الآية تعم هذا كله، وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم، إن لم تتناول ذلك لفظاً؛..." (٣).

وخلاصة هذا الأصل: أن المنهاج هو التخلي عن التدسية، والتحلي بالتزكية، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٨/٢٦٢-٢٦٤).

(٢) الآلوسي، روح المعاني، ط ١، (١٥/١٣٠-١٣١).

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ط ٢، (١/٥٢-٥٤)، مع حذف.

سورة النازعات

١١٢ . قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَىٰ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨-١٩] .

وهذا الموضع كالذي قبله؛ فيه التخلي والتحلي .

قال ابن كثير: " (فقل هل لك إلى أن تتركى؟) - أي: قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلک تتركى به - أي: تُسلم وتطيع" ^(١) .

وقال ابن عطية: " والتزكى هو التطهر من النقائص، والتلبس بالفضائل، وفسر بعضهم: (تَزَكَّى) بـ (تُسَلِّم)، وفسرها بقول: لا إله إلا الله، وهذا تخصيص، وما ذكرناه يعم جميع هذا.... ثم أمر موسى أن يفسر له التزكى الذي دعاه إليه بقوله: (وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى)، والعلم تابع للهدى، والخشية تابعة للعلم، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ^(٢) .

وقال ابن تيمية: " فالتزكية - وإن كان أصلها النماء والبركة وزيادة الخير؛ فإنما تحصل بإزالة الشر؛ فلهذا صار التزكى يجمع هذا وهذا. وقال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴿[فصلت: ٦-٧]، وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب؛ فإنه يتضمن نفى إلهية ما سوى الحق من القلب، وإثبات إلهية الحق في القلب، وهو حقيقة لا إله إلا الله. وهذا أصل ما تزكو به القلوب. والتزكية جعل الشيء زكياً: إما في ذاته وإما في الاعتقاد والخبر" ^(٣) .

وقال ابن القيم: " فإن التزكى - وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة - فإنما يحصل بإزالة الشر؛ فلهذا صار التزكى ينتظم الأمرين جميعاً.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣١٥/٨) .

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ط ١، (٤٣٣/٥) . مع بعض الحذف.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٩٦/١٠) . (٩٧) .

فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح هو التوحيد. والتزكية: جعل الشيء زكياً، إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر عنه، كما يقال: عدّلتَه وفسّقتَه: إذا جعلته كذلك في الخارج، أو في الاعتقاد والخبر^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن من اهتدى؛ خَشِيَ؛ فتحلّى، وتزكّى؛ فتحلّى.

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ط ٢، (١/٤٩).

سورة التكوير

١١٣. قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (٣٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٣٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٣٨) ﴿[التكوير: ٢٦ - ٢٨].

قال ابن كثير: "وقال قتادة: (فأين تذهبون) - أي: عن كتاب الله وعن طاعته" (١).

وقال السعدي: "(إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من النقائص والرزائل والأمثال، ويتذكرون به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكرون به الأحكام القدريّة والشرعية والجزائية، وبالجملة، يتذكرون به مصالح الدارين، وينالون بالعمل به السعادتين" (٢).

وقال الشوكاني: "ثم بكتّهم سبحانه ووجههم، فقال: (فأين تذهبون) - أي: أين تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته، كذا قاله قتادة. وقال الزجاج: معناه: أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم" (٣).

وقال ابن تيمية: "وقد بُسط الكلام في غير هذا الموضع على تنازع المبتدعين الذين اختلفوا في الكتاب، وُبَيّن فساد أقوالهم، وأن القول السديد هو قول السلف، وهو الذي يدل عليه النقل الصحيح والعقل الصريح، وإن كان عامة هؤلاء المختلفين في الكتاب لم يعرفوا القول السديد: قول السلف؛ بل ولا سمعوه ولا وجدوه في كتاب من الكتب التي يتداولونها؛ لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية، ولا معاني الكتاب والسنة إلا بتحريف بعض المحرفين لها؛ ولهذا إنما يذكر أحدهم أقوالاً مبتدعة: إما قولين وإما ثلاثة وإما أربعة وإما خمسة؛ والقول الذي كان عليه السلف ودل عليه

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣٤٠/٨).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٩١٢/١).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٤٧٤/٥).

الكتاب والسنة لا يذكره؛ لأنه لا يعرفه؛ ولهذا تجد الفاضل من هؤلاء حائراً مقرأً بالحيرة على نفسه، وعلى من سبقه من هؤلاء المختلفين؛ لأنه لم يجد فيما قالوه قولاً صحيحاً^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أين الذهاب عن منهج الاستقامة الذي جاء به الأمينان: أمين السماء، وأمين الأرض؟!!!

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٢/٣٠٨-٣٠٩).

سورة الطارق

١١٤ . قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۚ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ﴾ [الطارق: ١٣ - ١٤].

قال الطبري: "يقول: لقول يفصل بين الحق والباطل ببيانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، على اختلاف منهم في العبارة عنه، فقال بعضهم: لقول حق. وقال بعضهم: لقول حُكم"^(١).

ثم روى الأول بإسناده عن ابن عباس، والثاني بإسناده عن قتادة.

وقال السعدي: " (إِنَّهُ) - أي: القرآن (لَقَوْلُ فَصْلٍ) - أي: حق وصدق بين واضح. (وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ) - أي: جدّ ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقالات، وتنفصل به الخصومات"^(٢).

وقال الشوكاني: "إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما، وما هو بالهزل - أي: لم ينزل باللعب، فهو جد ليس بالهزل"^(٣).

وقال ابن تيمية: "وقد قال تعالى في القرآن: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣] - أي: فاصل يفصل بين الحق والباطل، فكيف يكون فصلا إذا لم يكن إلى معرفة معناه سبيل"^(٤).

وقال ابن القيم: "والقول الفصل هو الذي يفصل بين الحق والباطل، فيميز هذا من هذا، ويفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه...."^(٥).

وخلاصة هذا الأصل: أن المنهاج فَصْلُ ما بين أهله وغيرهم؛ لأنه الحق.

(١) الطبري، جامع البيان، ط ١، (٣٦٢/٢٤).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٩١٩/١).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ط ١، (٥١١/٥).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٤٣٢/١٧).

(٥) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ط ١، (١٠٧/١).

سورة الأعلى

١١٥ . قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤].

وقال ابن كثير: "يقول تعالى: (قد أفلح من تزكى) - أي: طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه" (١).

وقال ابن عاشور: "وقد جُمعت أنواع الخير في قوله: (قد أفلح)؛ فإن الفلاح نجاح المرء فيما يطمح إليه، فهو يجمع معنوي الفوز والنفع، وذلك هو الظَّفَر بالمبتغى من الخير،....

ومعنى (تزكى): عالج أن يكون زكيا - أي: بذل استطاعته في تطهير نفسه وتركيتها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [٩] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [١٠] [الشمس: ٩ - ١٠]. فمادة التفعّل للتكلف وبذل الجهد.

وأصل ذلك هو التوحيد، والاستعداد للأعمال الصالحة التي جاء بها الإسلام ويجيء بها، فيشمل زكاة الأموال" (٢).

وقد سبق الكلام على التزكية عند آية النازعات.

وخلاصة هذا الأصل: التزكية على المنهاج هي الفلاح.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٤، (٣٨١/٨).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٢٨٧/٣٠).

سورة الشمس

١١٦. قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

قال ابن تيمية: "قال قتادة وابن عيينة وغيرهما: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال. وقال الفرّاء والزجاج: قد أفلحت نفس زكّاهها الله، وقد خابت نفس دساها الله. وكذلك ذكره الوالي عن ابن عباس، وهو منقطع. وليس هو مراد الآية؛ بل المراد بها الأول قطعاً: لفظاً ومعنى" (١).

وبيّنه ابن القيم فقال: "وقوله: (قد أفلح من زكّاهها) الضمير المرفوع في (زكّاهها) عائد على (من)، وكذلك هو في دساها. المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، وقد خاب من دساها، هذا القول هو الصحيح، وهو نظير قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤]... قال الحسن: قد أفلح من زكى نفسه، وحملها على طاعة الله، وقد خاب من أهلكها، وحملها على معصية الله، وقاله قتادة....

وقال طائفة أخرى: الضمير يرجع إلى الله سبحانه، قال ابن عباس في رواية عطاء: قد أفلحت نفس زكّاهها الله وأصلحها، وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي وسعيد بن جبير ومقاتل، قالوا: سعدت نفس وأفلحت نفس أصلحها الله وطهرها ووفقها للطاعة؛ حتى عملت بها، وخابت وخسرت نفس أضلها الله وأغواها وأبطلها وأهلكها.... - ثم رجح القول الأول من وجوه" (٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن من لازم المنهاج؛ أفلح، ورفع نفسه وشرفها، ومن حاد؛ خسر، وسفل، وانطمس.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٠/٦٢٥)، (١٦/٢٣١). والوالي هو علي بن أبي طلحة. وانظر: حاشية، ص ١٥٩، من هذه الرسالة.

(٢) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ط ١، (١/٢٠-٢٥). يفاع الأرض: ما ارتفع منها. والكلبي هو محمد بن السائب، صاحب التفسير، جرّحه أحمد والذهبي شديداً، انظر ميزان الاعتدال (٣/٥٥٧)، (ت ١٤٦هـ)، انظر: طبقات = المفسرين، ص ١٧. ومقاتل هو مقاتل بن سليمان الخراساني، له تفسير مشهور، (ت ١٥٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، ص ٢٠.

سورة العلق

١١٧. قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [العلق: ١١ - ١٢].

قال قتادة: قوله: (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ)، قال: محمد كان على الهدى، وأمر بالتقوى^(١).

قال ابن كثير: " (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ) - أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله، أو (أمر بالتقوى) بقوله^(٢).

وقال ابن عاشور: " وعلى للاستعلاء المجازي، وهو شدة التمكن من الهدى بحيث يشبه تمكّن المستعلي على المكان، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]"^(٣).

وأكثر المفسرين على أن المراد بذلك النبي ﷺ، وأنه العبد المنهي بحسب الآيات قبل ذلك، مع أن العموم لا يمتنع. وبعضهم جعلها في العبد الناهي، كما قال المراغي: " (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ. أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ) - أي: أخبرني عن حال ذلك الطاغية لو تخلق بأخلاق المصلحين، ودعا إلى البر وتقوى الله، أما كان ذلك خيراً له من الكفر به، والنهي عن طاعته، فإن ذلك يفوّت عليه أعلى المراتب، ويجعله في أحط الدرجات وأدناها.

والخلاصة: أما كان الأفضل له أن يهتدي ويهدي غيره إلى خصال البر والخير، وقد كانت هذه حال النبي ﷺ، فعمله كان إما في إصلاح نفسه بالعبادات من صلاة وصيام وغيرهما، وإما في إصلاح غيره بأمره بالتقوى ودعائه إليها^(٤).

وخلاصة هذا الأصل: أن صاحب المنهاج مهتد في نفسه، ساعٍ في هدى غيره.

(١) رواه ابن جرير، جامع البيان، ط ١، (٥٢٤/٢٤).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٤٣٨/٨).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٤٤٨/٣٠).

(٤) المراغي، تفسير المراغي، د. ط، (٢٠٣/٣٠ - ٢٠٤).

سورة البينة

١١٨. قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤) [البينة: ١ - ٤].

قال ابن تيمية: "فإن هذه السورة سورة جليلة القدر، وقد ورد فيها فضائل. وقد ثبت في الصحيح أن الله أمر نبيه أن يقرأها على أبي بن كعب" (١).

وتخصيص هذه السورة بقراءتها على أبي يقتضي اختصاصها وامتيازها بما اقتضى ذلك" (٢).

وقال ابن كثير: "(حتى تأتيهم البينة) - أي: هذا القرآن؛ ولهذا قال تعالى: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة)، ثم فسر البينة بقوله: (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة) يعني: محمدا ﷺ، وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مكتتب في الملائ الأعلى، في صحف مطهرة كقوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) يَأْتِيهِمْ سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)﴾ [عبس: ١٣ - ١٦] (٣)".

وذكر ابن عاشور أن هذه الآيات مشكلة، واستصعبها المفسرون، وكذا ذكر الفخر عن الواحدي في «التفسير البسيط» له أنه قال: هذه الآية من أصعب ما في القرآن نظماً وتفسيراً، وقد تحبّط فيها الكبار من العلماء.

ثم ذكر ما ذكره الرازي من الإشكال، وزاد عليه إشكالات أخرى" (٤).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، تفسير سورة البينة، (١١/١٦٣)، (٤٩٦١)، ومسلم في الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، (٣/٣٤٤)، (٧٩٩).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٦/٤٨٠-٤٨١).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٨/٤٥٦-٤٥٧).

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٣٠/٤٦٨-٤٧٠).

وكذا نقل عطية سالم - رحمه الله - كلام الرازي، ثم قال: "وقد سقت كلامه؛ لبيان مدى الإشكال في الآيتين، وهو مبني على أن (منفكين) بمعنى تاركين: وعليه جميع المفسرين.

والذي جاء عن الشيخ - رحمه الله تعالى علينا وعليه في إملائه -: أن (منفكين) - أي: مرتدعين عن الكفر والضلال، حتى تأتيهم البينة - أي: أتتهم.

ولكن في (منفكين) وجه يرفع هذا الإشكال، وهو أن تكون (منفكين) بمعنى متروكين، لا بمعنى تاركين - أي: لم يكونوا جميعاً متروكين على ما هم عليه من الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة، على معنى قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، وقوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] - أي: لن يتركوا. وقريب منه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ [هود: ٥٣].

وقد حكى أبو حيان - رحمه الله - قولاً عن ابن عطية قوله: ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى، وذلك أن يكون المراد: لم يكن هؤلاء القوم منفكين من أمر الله تعالى وقدرته ونظره لهم، حتى يبعث الله تعالى إليهم رسولاً منذراً، تقوم عليهم به الحجة، ويتم على من آمن النعمة، فكأنه قال: ما كانوا ليتركوا سدى، ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى ١هـ. فقول ابن عطية يتفق مع ما ذكرناه، ويزيل الإشكال الكبير عن المفسرين، كما أسلفنا.

ثم نقل ما سيأتي ذكره عن ابن تيمية، ثم قال: تبين من ذلك كله أن الأصح في «منفكين» معنى «متروكين» وبه يزول الإشكال الذي أورده الفخر الرازي، ويستقيم السياق، ويتضح المعنى، وبالله تعالى التوفيق^(١).

(١) سالم، تكملة أضواء البيان، ط ١، (٤١/٩-٤٣). وما نقله عن ابن عطية هو في المحرر الوجيز، ط ١، (٥/٥٠٧).
والشيخ عطية سالم من علماء المدينة النبوية، المفسر الفقيه، المدرس في المسجد النبوي، (١٣٤٦-١٤٢٠هـ). انظر: موسوعة ويكيبيديا، كلمة البحث: (عطية سالم).

وناقش ابن تيمية كل ما قيل في الآيات، وردّه، أو بيّن ضعفه، بعد اختزال هذه الأقوال إلى ثلاثة، واختار الثالث منها، ورجحه من جهة اللفظ ومن جهة المعنى، وهو: أنهم لم يكونوا متروكين حتى يرسل إليهم رسول؟^(١).

ثم قال: "والمقصود أنهم لم يكونوا متروكين، لا يؤمرون ولا ينهون، ولا تُرسل إليهم رسل، بل يفعلون ما شاءوا مما تهواه الأنفس. والمعنى أن الله ما يخليهم ولا يتركهم، فهو لا يفكهم حتى يبعث إليهم رسولا. وهذا كقوله: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، لا يؤمر ولا ينهى - أي: أیظن أن هذا يكون؟ هذا ما لا يكون ألّبتة؛ بل لا بد أن يؤمر وينهى. وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٢] وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ [الزخرف: ٣ - ٥]، وهذا استفهام إنكار - أي: لأجل إسرافكم نترك إنزال الذكر، ونعرض عن إرسال الرسل، ومن كره إرسالهم؟^(٢).

وأجمل ابن تيمية مقصود السورة بما يترجح به صحة ما قاله واختاره، فقال: "وتضمنت السورة ذكر أصناف الخلق، وما أمر الله به جميع العباد، وأن ذلك أمر لا بد منه؛ لا بد من إرسال الرسل وإنزال الكتب وبيان السعداء أهل الجنة، والأشقياء أهل النار"^(٣).

ما ألصق اسم هذه السورة بالمنهاج؛ إذ بالبينه يتبين المنهاج ويتضح، وقد ورد هذا الاسم في غير ما آية من كتاب الله، وسبقت الإشارة في الباب الأول أنه من المصطلحات ذات الصلة.

وقد اجتمع - عند الباحث - من هذه الآيات البينات أصول منهاجية:

منها: أن الرسل جاءوا بالبينات. وهم على بينة من ربهم.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٤٨٢/١٦).

(٢) المصدر نفسه، (٤٩٤/١٦ - ٤٩٥).

(٣) المصدر نفسه، (٥٠٩/١٦).

ومنها: أن الناس قد جاءتهم البينات من ربهم؛ فلا عذر لأحد في جهالة ركبها، أو هوى اتبعه، فمن هلك؛ هلك عن بينة، ومن حيي؛ حيي عن بينة.

ومنها: أنه لا يستوي أبداً من كان على بينة من ربه، ومن زُيّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم.

ومنها: أن من اختلف من بعد ما جاءته البينات؛ فلا حيلة فيه، والله يحكم يوم القيامة بين الناس جميعاً.

ومنها: أنه لا يُؤثر أحد على ما جاء من البينات كائناً من كان؛ فليقض ما هو قاض. فاللهم ارزقنا البينة.

وخلاصة هذا الأصل العظيم: أنه قد تبين الرشد من الغي، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها. والله على كل شيء وكيل.

سورة العصر

١١٩. قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

عن أبي مدينة الدارمي - وكانت له صحبة - رضي الله عنه قال: "كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا؛ لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: (والعصر إن الإنسان لفي خسر)، ثم يسلم أحدهما على الآخر" (١).

وقال الشافعي - رحمه الله -: "لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم" (٢).

وقال السعدي: "فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالريح العظيم" (٣).

وقال ابن تيمية: "وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: "لو فكر الناس كلهم في سورة (والعصر)؛ لكفتهم". وهو كما قال؛ فإن الله تعالى أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً، ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر" (٤).

وقال ابن القيم: "قال الشافعي رضي الله عنه: "لو فكر الناس كلهم في هذه السورة؛ لكفتهم". وبيان ذلك أن المراتب أربعة، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:

أحداها: معرفة الحق.

الثانية: عمله به.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، (٣٥٥/٥)، (٥١٢٤)، وانظر: الألباني في الصحيحة، (٢٦٤٨)، قال: إسناده صحيح.

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة، ط ١، ص ٤٨٢، وابن كثير في التفسير، (١ / ٢٠٥) بنحوه.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٩٣٤/١).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٥٢/٢٨).

الثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه....

وهذا نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه، مكماً لغيره، وكماله بإصلاح قوته العلمية والعملية، فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره بتعليمه إياه، وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل.

فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بخدافيه، والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ما سواه، شافياً من كل داء، هادياً إلى كل خير^(١).

وبين مصدر ذلك كله بقوله: "وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره، واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه، وصرف العناية إليه، والعكوف بالهمة عليه، فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد، فالحقيقة والطريقة، والأذواق والمواجيد الصحيحة، كلها لا تُقتبس إلا من مشكاته، ولا تستثمر إلا من شجراته"^(٢).

وخلاصة هذا الأصل: أن أركان المنهاج في سورة العصر، أربعة: علم نافع، وعمل صالح، وتواصل بالحق، وتواصل بالصبر.

(١) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط ١، (٥٧/١).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٣٠/١).

سورة الكافرون

١٢٠. قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

قال ابن كثير: "هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه" (١).

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقراً (قل يا أيها الكافرون)، ثم نم على خاتمها؛ فإنها براءة من الشرك" (٢).

وقال السعدي: "ولهذا ميّز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿أَنْتُمْ بَرِيْتُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]" (٣).

وقال عطية سالم: "وليس في هذا تقريرهم على دينهم الذي هم عليه، ولكن من قبيل التهديد والوعيد، كقوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].... تنبيه: في هذه السورة منهج إصلاح، وهو عدم قبول، ولا صلاحية أنصاف الحلول" (٤).

وقال ابن تيمية: "وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم، ولا تقتضي رضاه بذلك؛ كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْتُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]. ومن ظن من الملاحظة أن هذا رضا منه بدين الكفار؛ فهو من أكذب الناس

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٥٠٧/٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، (٤٥٦/٥)، وأبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، (٢٦٩/١٣)،

(٣٤٦٣)، (٣٤٨/٩)، (٥٠٤٥)، والترمذي في السنن، كتاب الدعوات، باب ما جاء فيما يقرأ من القرآن عند النوم،

وذكر الترمذي فيه اضطراباً لا يقدح، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢٩٢).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٩٣٦/١).

(٤) سالم، تكملة أضواء البيان، ط ١، (١٣٥/٩-١٣٦).

وأكفرهم، كمن ظن أن قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣] بمعنى قَدَّرَ، وأن الله سبحانه ما قضى بشيء إلا وقع، وجعل عبَاد الأصنام ما عبدوا إلا الله؛ فإن هذا من أعظم الناس كُفْرًا بالكتب^(١).

وقال أيضا: "فإن قوله: (لكم دينكم ولي دين) ليس فيه ما يقتضي أن يكون دين الكفار حقاً ولا مرضياً له؛ وإنما يدل على تَبَرُّه من دينهم؛ ولهذا قال ﷺ في هذه السورة: "إنها براءة من الشرك"^(٢)، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، فقوله: (لكم دينكم ولي دين)، كقوله: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥]^(٣).

وقال أيضا: "وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين، ولا أهل الكتاب، كما يظنه بعض الملحدين، ولا أنه نهي عن جهادهم، كما ظنه بعض الغالطين، وجعلوها منسوخة، بل فيها براءته من دينهم وبراءتهم من دينه، وأنه لا تضره أعمالهم ولا يُجزون بعمله ولا ينفعهم. وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ، ولم يرض الرسول بدين المشركين، ولا أهل الكتاب طرفة عين قط"^(٤).

قال ابن القيم: "وكذلك حكم هذه البراءة بين أتباع الرسول ﷺ: أهل سنته، وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به، الداعين إلى غير سنته، إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته: لكم دينكم، ولنا ديننا؛ لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم، بل يقولون لهم هذا؛ براءة منها، وهم مع هذا منتصبون للرد عليهم، ولجهادهم بحسب الإمكان"^(٥).

وقال ابن القيم: "ما الفائدة في قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وهل أفاد هذا معنى زائداً على ما تقدم؟

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١١/٢٦٨-٢٦٩).

(٢) سبق تخريجه، ص ٢٩٣.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٨/٥٢٧).

(٤) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ط ٢، (٣/٥٨-٥٩).

(٥) ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ١، (١/١٤١).

فيقال: في ذلك من الحكمة- والله أعلم- أن النفي الأول أفاد البراءة، وأنه لا يتصور منه، ولا ينبغي له أن يعبد معبوديهم، وهم أيضاً لا يكونون عابدين لمعبوده. وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفي من جهتهم من الشرك والكفر الذي هو حظهم وقسمهم ونصيبهم، فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أرضاً، فقال له: لا تدخل في حدي، ولا أدخل في حدك، لك أرضك ولي أرضي. فتضمنت الآية أن هذه البراءة اقتضت أننا اقتسمنا خطتنا بيننا، فأصابنا التوحيد والإيمان؛ فهو نصيبنا وقسمنا الذي نختص به لا نشاركنا فيه، وأصابكم الشرك بالله والكفر به؛ فهو نصيبكم وقسمكم الذي تختصون به لا نشارككم به، فتبارك من أحيا قلوب من شاء من عباده بفهم كلامه^(١).

وخلاصة هذا الأصل: أن الاتباع الصحيح للمنهاج لا يكون إلا بالبراءة من المخالفين.

من خلال هذا الباب تتبين المعالم والأصول الآتية للمنهاج القرآني:

٨١. أن المنهاج هو اتباع المرسلين، لا المتفلسفين.
٨٢. أن الحق لا يختلف.
٨٣. أن الهداية لا تكون إلا بالمستبين.
٨٤. أن صاحب الهدى والعقل هو الذي يستمع الوحي، ويتبعه.
٨٥. أن من كان على الحق والصواب؛ فلا يبالي بخلاف المخالف.
٨٦. الدعوة إلى السبيل، ومفاصلة المعاندين.
٨٧. أن الاستقامة هي كلية الدين، ومنهاج السبيل.
٨٨. أن الحكم في جميع الأمور إلى الله تعالى؛ بكتابه وسنة نبيه ﷺ.

(١) ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ١، (١٣٩/١).

٨٩. إقامة الدين، وعدم التفرق فيه، وعدم البغي حال الاختلاف، والاستقامة على ذلك، مع الدعوة إليه، وعدم اتباع أهواء المخالفين، والإيمان بكل ما أنزل الله، وسلوك سبيل العدل في كل شيء.

٩٠. أن الدين ما شرعه الله وأذن به.

٩١. أن الوحي هو الحياة والنور، وبه الهدى إلى الصراط المستقيم.

٩٢. ذم التقليد والتعلل به في ترك ما جاء به الرسول من الهدى.

٩٣. الاستمسك بالوحي؛ فإنه الصراط المستقيم.

٩٤. اتباع المنهاج، وترك ما خالفه؛ فإنها الأهواء.

٩٥. أن أهل الاستقامة والمنهاج لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بخلاف أهل الاعوجاج.

٩٦. أن المنهاج علم نافع وعمل صالح، وأن ذلك هو القرآن.

٩٧. أنه ليس بعد البينة من الله إلا عمل سوء مزين، واتباع الهوى؛ فليس بعد الهدى إلا الهوى.

٩٨. أن الهدى ودين الحق فيما جاء به الرسول.

٩٩. أن أصل المنهاج الأعظم: أن نكون تبعاً للكتاب والسنة.

١٠٠. أن المنحرف عن المنهاج؛ ضال، أو غاو، أو كلاهما.

١٠١. أن المنحرف عن المنهاج والهدى ليس معه إلا الظن والهوى.

١٠٢. الإعراض عما تولى عن الذكر والمنهاج؛ فإنه لا شيء معه، ولا هدى عنده.

١٠٣. أن غاية المنهاج إقامة القسط.

١٠٤. التأسي بأهل المنهاج الصحيح؛ لنكون منهم.

١٠٥. أن المنهاج هو العلم النافع، والعمل الصالح، وأنه يعلو، ولا يعلو.

١٠٦. أن القرآن والسنة متلازمان، لا يفترقان.

١٠٧. أن الهدى في اتباع المنهاج.

١٠٨. أن الرشد والحق في القرآن.

١٠٩. أن معيار الصلاح هو ملازمة المنهاج، وما سواه (طرائق قددا).

١١٠. أن الاستقامة على المنهاج فيها سعادة الدنيا قبل الأخرى.

١١١. أن المنهاج هو التخلي عن التدسية، والتحلي بالتركية، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

١١٢. أن من اهتدى؛ خشي؛ فتحلى، وتركى؛ فتحلى.

١١٣. أين الذهاب عن منهاج الاستقامة الذي جاء به الأمينان: أمين السماء، وأمين

الأرض؟!!!

١١٤. أن المنهاج فصل ما بين أهله وغيرهم؛ لأنه الحق.

١١٥. التركية على المنهاج هي الفلاح.

١١٦. أن من لازم المنهاج؛ أفلح، ورفع نفسه وشرفها، ومن حاد؛ خسر، وسفل،

وانطمس.

١١٧. أن صاحب المنهاج مهتد في نفسه، ساع في هدى غيره.

١١٨. أنه قد تبين الرشد من الغي، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.

والله على كل شيء وكيل.

١١٩. أن أركان المنهاج في سورة العصر، أربعة: علم نافع، وعمل صالح، وتواصل بالحق،

وتواصل بالصبر.

١٢٠. أن الاتباع الصحيح للمنهاج لا يكون إلا بالبراءة من المخالفين.

الباب الخامس

تطبيق الدراسة على الواقع الإسلامي المعاصر

الفصل الأول: ماذا عن الواقع الإسلامي المعاصر

الفصل الثاني: كيف يستفاد من المنهاج القرآني في إصلاح هذا الواقع

بعد هذا التتبع للآيات القرآنية المشتملة على المنهاج النبوي الصحابي، وبيانها وتفسيرها تفسيراً منهاجياً أثمر أصولاً ومعالم للمنهاج القرآني الذي كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم في جميع جوانبه، والذي لم يحيدوا عنه أبداً، وطبقوه في حياتهم كلها ظاهراً وباطناً؛ بعد كل هذا يتم في هذا الباب تطبيق ثمرة هذه الدراسة على الواقع الإسلامي المعاصر؛ لعلاج وإصلاح خلله، وهذا هو المقصود من الدراسات القرآنية خصوصاً، ومن التفسير عموماً، ولا تحصل الحياة الطيبة إلا بذلك: معرفة مراد الرب سبحانه بما أنزله على رسوله ﷺ، ثم العمل به في جميع جوانب الحياة.

وهذا ما يسمى بتنزيل الآيات القرآنية على الواقع، وفيه دراسات عديدة^(١).

وسيعتبر الباحث الواقع الإسلامي المعاصر يبتدئ من عام (١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م) حيث زالت الخلافة العثمانية على يد الاتحاديين بزعمارة أتاتورك (١٨٨١ - ١٩٣٨م) بسبب مخالفة منهج الإسلام؛ فإن الله تعالى قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنِ اتَّكَفَأَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

والسبب في التأريخ للواقع المعاصر بهذا الحدث؛ أنه بعد زوال تلك الخلافة صارت أحوال العالم الإسلامي - غالباً - وإلى الآن؛ واحدة: منهجياً وعقدياً وسياسياً واجتماعياً وفقهياً، وغيرها.

ويتم تقسيم هذا الباب إلى فصلين:

(١) منها "تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين"، لعبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، إصدار جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. وهناك مفسرون اشتهروا بهذا، كابن باديس، ومحمد رشيد رضا، والشيخ السعدي، والشيخ المراغي وغيرهم، مما يبين أن هذا من أهم مهمات علم التفسير.

الفصل الأول: ماذا عن الواقع الإسلامي المعاصر

الغرض من توصيف هذا الواقع في هذا البحث أمران:

الأول: بيان انحراف هذا الواقع عن منهج القرآن الذي تبين من خلال هذه الرسالة.

الثاني: محاولة علاج وإصلاح هذا الواقع، فإن العلاج والإصلاح ينبني على التشخيص.

على أنه ينبغي التنبيه على أمر مهم، ألا وهو أن هذا التوصيف لا يعني الحكم عليه، كما قد يفهم بعض الناس ويحملون الواصف ما لا يلزمه، وإنما التوصيف للعلاج. لا يعني أبداً توصيف الواقع الإسلامي بعمامة؛ أن المسلمين صاروا شر الناس، وأنهم صاروا ظلاماً لانور فيه، كلا، والله. وإنما المقصود تشخيص الداء لضرورة الدواء، ولم يكن من هدي الأنبياء التوصيف للتشنيع، وإنما للعلاج، وبيان سوء عاقبة مخالفة رب العالمين. وكذلك يعتمد الباحث في هذا التوصيف على أقوال العلماء الذين وصفوا هذا الواقع بصورة عامة، بعيداً عن التفصيل الذي قد لا يتحملة بعض الناس - وإذا كان هذا في زمان هؤلاء العلماء؛ فهو في زماننا أكثر وأشد، فإن النبي ﷺ قال: "لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده أشر منه، حتى تلقوا ربكم"^(١).

قال ابن بطال: "هذا الخبر من أعلام النبوة؛ لإخباره ﷺ بفساد الأحوال"^(٢).

وليس الشر المذكور يتعلق بما فيه الناس من زهرة الحياة الدنيا، فإن علم الدنيا يزيد، والتمتع بها قد بلغ مبلغاً عظيماً، وإنما ذلك ما يتعلق بنقص العلم والدين، كما أخبر النبي ﷺ، أن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويفشو الجهل، وأن رفع العلم يموت العلماء^(٣).

(١) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه. برقم (٧٠٦٨).

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ط ١، ١٦/٣١٤.

(٣) تقدم تخرجه، ص ٧٦.

وقد بيّن ذلك أيضاً ابن مسعود رضي الله عنه، كما قال ابن حجر: "وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد، وهو أولى بالاتباع. فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب: "قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله، حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه، ولا مالا يفيد، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علماً من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرهم بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون".

ومن طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود إلى قوله: شر منه. قال: فأصابتنا سنة خصب، فقال: ليس ذلك أعني، إنما أعني ذهاب العلماء". ومن طريق الشعبي عن مسروق عنه قال: "لا يأتي عليكم زمان إلا وهو أشد مما كان قبله، أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاء، ويجيء قوم يفتون برأيهم". وفي لفظ عنه من هذا الوجه: "وما ذاك بكثرة الأمطار وقيلتها، ولكن بذهاب العلماء، ثم يحدث قوم يفتون في الأمور برأيهم فيثلمون الإسلام ويهدمونه"^(١).

كما أثار عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إنكم في زمان: كثير فقهاؤه، قليل خطبائهم، قليل سُؤاله، كثير معطوه، العمل فيه قائد للهوى. وسيأتي من بعدكم زمان: قليل فقهاؤه، كثير خطبائهم، كثير سُؤاله، قليل معطوه، الهوى فيه قائد للعمل، اعلموا أن حسن الهدي - في آخر الزمان - خير من بعض العمل"^(٢).

فهذا بيان من ابن مسعود رضي الله عنه أن الشر يزيد، وقد وقع ما أخبر به النبي الخاتم ﷺ، ومع ذلك نجد من هذه الأمة من لا يريد أن يعترف بالداء؛ فلذا لا يجدون سبيلاً إلى الدواء.

(١) ابن حجر، فتح الباري، ط ١، (٣١٤/١٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب الهدي والسمت الحسن، (٤٢٢/١)، وحسنه الألباني، برقم (٧٨٩)، وسلكه في الصحيحة مرفوعاً، برقم (٣١٨٩)، وذكر - رحمه الله - أنه أخرجه مع ما في إسناده؛ لما له من الشواهد، ولمصاديقه ومطابقة ما فيه للواقع في هذا الزمان.

وعن عوف بن مالك الأشجعي: أن رسول الله ﷺ نظر إلى السماء فقال: "هذا أوان رفع العلم، فقال رجل من الأنصار، يقال له: لبيد بن زياد: يا رسول الله؛ يرفع العلم، وقد أثبت، ووعته القلوب؟! فقال رسول الله ﷺ: "إن كنت لأحسبك أفقه أهل المدينة". ثم ذكر ضلالة اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله. قال: فلقيت شداد بن أوس، وحدثته بحديث عوف بن مالك، فقال: صدق عوف. ثم قال: ألا أخبرك بأول ذلك يرفع؟ قلت: بلى. قال: الخشوع حتى لا ترى خاشعاً"^(١).

قال النبي ﷺ: "أول ما يرفع من الناس الخشوع"^(٢).

وقال النبي ﷺ: "أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ورُبَّ مُصَلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى"^(٣).

وعن عطاء قال: "كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين عائشة، فيسألها وتحدثه، فجاءها ذات يوم يسألها فقالت: يا بني هل عملت بعد بما سمعت مني؟ فقال: لا والله يا أمه، فقالت: يا بني فبم تستكثر من حجج الله علينا وعليك"^(٤).

وقال الأوزاعي: "إذا أراد الله بقوم شراً؛ فتح عليهم الجدل، ومنعهم العمل"^(٥).

(١) أخرجه أحمد في المسند، (٢٦/٦)، وابن حبان في الصحيح، كتاب السير، باب طاعة الأئمة، ذكر وصف الضلالة التي

كان يتخوفها ﷺ على أمته (٤٣٣/١٠)، والحاكم في المستدرک، (١٧٨/١)، وصححه الألباني، في التعليقات

الحسان، (٢٠/٧)، (٤٥٥٣)، وصحيح الجامع، (٦٩٩٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، (٢٩٥/٧)، (٧١٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢٥٧٦).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (٣٢٥/٤)، (٥٢٧٤)، والطبراني في الصغير، (٢٣٨/١)، (٣٨٧)، قال الهيثمي في

المجمع، (٣٢١/٧): فيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين وضعفه أبو زرعة، وبقيّة رجاله ثقات. وذكر السيوطي في =

الجامع الكبير، (٣٠٠/٣)، (٨٧٦٥)، أنه أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ولم أجده فيه مسنداً، وحسنه

الألباني في صحيح الجامع، (٢٥٧٥).

(٤) الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم بالعمل، ط ٤، برقم (٩٢).

(٥) المصدر نفسه، برقم (١٢٢)، ونحوه عن معروف الكرخي، برقم (١٢٣).

فهذا التوصيف لهذا الواقع قديم، فقد روى ابن بطة أن عبد الواحد بن زيد، والحسن البصري، دخلا المسجد يوم الجمعة فجلسا، فدمعت عين الحسن، فقال عبد الواحد: يا أبا سعيد ما يبكيك؟ فقال: أرى قولا، ولا أرى فعلا...^(١).

وعن الزهري قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: "لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيعت"^(٢).

ويمكن تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين:

(١) أخرجه ابن بطة، الإبانة، (٢/٦٦٥)، (٨٦٤). وعبد الواحد بن زيد هو البصري الزاهد شيخ الصوفية وواعظهم، توفي بعد (١٥٠هـ)، متروك في الحديث. انظر: ميزان الاعتدال (٢/٦٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/٥٨٧).
(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المواقيت. باب تضييع الصلاة عن وقتها، (٢/٤٠٩)، (٥٣٠).

المبحث الأول: نقولات عامة تبين حال الواقع الإسلامي المعاصر.

إن الناظر في مقولات ومصنفات العلماء في القديم والحديث؛ يجد أنهم قد تناولوا الواقع الإسلامي بالنقد والوصف من جميع جوانبه، ولو كان هذا لا يجوز؛ لما أجمعوا على ذلك، كيف وهو من منهج الأنبياء في الإنكار على أقوامهم، وهو من منهج النبي الخاتم ﷺ، في حياته، وبعد مماته بما أخبر به من أشراط الساعة، وسوء الأحوال، وازديادها سوءاً حتى تقوم الساعة، ولا زال هذا منهج المصلحين في قديم الدهر وحديثه.

وهم إنما يفعلون هذا؛ لأنه بداية الإصلاح والعلاج، وإن لم يحصل؛ فقد قامت حجة الله على العباد، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْهِمُونَ ۖ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال السعدي: " وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل الله أن يهديه، فيعمل بمقتضى ذلك الأمر، والنهي^(١)".

فينقل الباحث ههنا- على وجه الاختصار- ما يبين حال الواقع الإسلامي؛ لأجل الإصلاح بإذن الله تعالى.

ففي الواقع المنهجي:

قال ابن القيم: " فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشد إثماً- وهو أصل الشرك والكفر- وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم.

ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد^(٢)".

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٣٠٦/١).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٣، (٣٧٨/١).

وقال بكر أبو زيد- رحمه الله:- " فالرد من أهل السنة والجماعة على المبتدعة، أهل الأهواء المنتسبين إلى الملة هو رأس في المراد، لكنّ المراد هنا ما هو أوسع من ذلك مما يحوي بيان" مشروعية الرد على كل مخالف بمخالفته المذمومة" التي يملئها الهوى الغالب، وتمتطيه إلى أنواع المهالك والمعاطب، بما تحمله من: شرك، أو كفر، أو نفاق، أو بدعة مضلة، وقد تحمل فسقا، أو رأياً مصادماً لنصوص الوحيين ويجمع هذا كله فتنتان: فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات، وهما المعبر عنهما باسم " الانحراف الفكري"، و " الانحراف السلوكي"، ويقال: "الغزو ... " ... وهكذا مسالك الشذوذ الأخرى،...

وهكذا من كل وثبة على أي من مناهج الملة: في الاعتقاد والأحكام، والآداب والسياسة، والإعلام والاقتصاد والتعليم... فإن وطأة الأهواء شديدة، وسبلها متكاثرة؛ لكثرة المضلين المفتونين الرابضين بيننا، المنطوين على رشح أصاب ضمائرهم بآراء ساقطة يخزي بعضها بعضاً: من علمنة وحدائث، وإباحية، ودعوة إلى عصبية عرقية: شعوبية، وقومية نصرانية: " القومية العربية"، وعصبية رياضية.

وتلك الدعوة الخبيثة: حرية الأديان، مجمع الأديان، زمالة الأديان العالمية، والنظرة الوحدوية للأديان: " الإسلام، المسيحية، اليهودية"، الوحدة الإبراهيمية، التقارب، والتي سرت في ظلالها: الدعوة الفاشلة- والله الحمد- للتقريب بين السنة والرافضة، وإلى آخر تلك الدعوات التي تبحث من القلوب قاعدة الإسلام: " الولاء والبراء"، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

ومن ألام تلك الأهواء: خطة كافرة المنبت: تسليط المطاعن على السنة وحملتها، والاستهزاء بهم والسخرية منهم، والتسليط عليهم، وهذا من أوسع أودية الباطل التي يخوضها المبطلون جهراً نهاراً..... وهلم جراً^(١).

(١) انظر: بكر أبو زيد، الردود، ط١، ص ٩-١٢.

وقال الشاطبي: "...لأن الحرية جردوا السيف على عباد الله، وهو غاية الفساد في الأرض، وذلك كثير من أهل البدع شائع، وسائرهم يفسدون بوجوه من إيقاع العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام"^(١).

وعن أبي قلابة - رحمه الله -: "ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف". وكان أيوب - رحمه الله - يسمى أصحاب البدع خوارج، ويقول: "إن الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السيف"^(٢).

ما أقل من يتخلص من البلاء الذي قد عم الناس، ولن يميز هذا إلا عاقل عالم قد أدبه العلم، والله الموفق لكل رشاد، والمعين عليه"^(٣).
وفي الجانب الأخلاقي:

قال الآجري أيضا: "قد تقدمت الأخبار عن النبي ﷺ، وعن صحابته رضي الله عنهم، وعن أئمة المسلمين رحمهم الله بصفة علماء في الظاهر، لم ينفعهم الله بالعلم، ممن طلبه للفخر والرياء والجدل والمرء، وتأكل به الأغنياء، وجالس به الملوك، وأبناء الملوك؛ لينال به الدنيا، فهو ينسب نفسه إلى أنه من العلماء، وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء، فتنة لكل مفتون، لسانه لسان العلماء، وعمله عمل السفهاء"^(٤).

وقد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

(١) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (١/٨٦).

(٢) الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (١/١١٣).

(١) الآجري، الشريعة، ط ٢، (١/٣٢٢).

(٢) الآجري، أخلاق العلماء، د. ط، ص ٨٣.

قال ابن كثير: "...وفي الحديث الصحيح: "لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة". قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟". وفي رواية: فارس والروم؟ قال: "ومن الناس إلا هؤلاء؟" (١).

والحاصل التحذير من التشبه بهم في أحوالهم وأقوالهم؛... (٢).

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَافَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيَكُنَّ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

قال محمد رشيد رضا: "...روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "ما في القرآن أشد توبيخاً من هذه الآية" - أي: فهي حجة على العلماء؛ إذا قصرُوا في الهداية والإرشاد، وتركوا النهي عن البغي والفساد. وإذا كان حبر الأمة ابن عباس يقول هذا؛ فما قول علماء السوء الذين أضاعوا الدين، وأفسدوا الأمة بترك هذه الفريضة؟" (٣).

وقال السعدي - عند قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ (٧) - [الروم: ٧]: "ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب. وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا، وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزاً عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء، وهم مع ذلك أبعد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب.... وهذه الأمور لو قارناها بالإيمان وبُنييت عليه؛ لأثمرت الرُّقيَّ العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بُني كثير منها على الإلحاد؛ لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير" (٤).

(١) سبق تحريجهما، المقدمة، ص ٢.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٣٨/٤).

(٣) رضا، تفسير المنار، ط ١، (٣٧٣/٦). وأثر ابن عباس أخرجه الطبري (٤٤٩/١٠).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٦٣٦/١). وقوله: (ثم نظروا) - أي: أهل البصائر.

وفي الجانب الفقهي:

وصف ابن عبد البر طلب العلم في زمانه، فقال: "اعلم - رحمك الله - أن طلب العلم في زماننا هذا، وفي بلدنا هذا، قد حاد أهله عن طريق سلفهم، وسلکوا في ذلك ما لم يعرفه أئمتهم، وابتدعوا في ذلك ما بان به جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم ... فلم يُعَنُوا بحفظ السنة، ولا الوقوف على معانيها، ولا بأصل من القرآن، ولا اعتنوا بكتاب الله عز وجل ... وزهدوا فيهما وأضربوا عنهما، فلم يعرفوا الإجماع من الاختلاف، ولا فرّقوا بين التنازل والائتلاف، بل عوّلوا على حفظ ما دُونَ لهم من الرأي والاستحسان الذي كان عند العلماء آخر العلم والبيان..."^(١).

وقال ابن الجوزي: "ومن ذلك (أي: من تلبس إبليس على الفقهاء) أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع، ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه، وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق، وهذا من أقبح القبيح..."^(٢).

والمنقول عن الأئمة والمصلحين في ذلك كثير جداً، وقد ترسخ ذلك في القدم، ولا زال في الحديث، فضاعت السنن وعظمت البدع، واختفى القول الصواب، وعلت أحكام السراب.

قال الإمام محمد حياة السندي (-١١٦٣هـ): "لو تتبع الإنسان من النقول؛ لوجد أكثر مما ذكر. ودلائل العمل على الخبر أكثر من أن تُذكر، وأشهر من أن تُشهر. ولكن لبس إبليس على كثير من البشر، فحسن لهم الأخذ بالرأي، لا الأثر ...

ومن أعجب العجائب أنهم إذا بلغهم عن بعض الصحابة رضي الله عنهم ما يخالف الصحيح من الخبر، ولم يجدوا له محملاً؛ جَوّزوا عدم بلوغ الحديث إليه، ولم يثقل ذلك عليهم، وهذا هو الصواب. وإذا بلغهم حديث يخالف قول من يقلدون، اجتهدوا في تأويله القريب والبعيد،

(١) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ط ٦، (١١٣٥/٢) وتأمل قوله: (آخر العلم والبيان) - أي: أن هذا لا يُركب إلا عند العجز عن المعرفة الدليلية.

(٢) ابن الجوزي، تلبس إبليس، ط ٢، ص ١٢٠.

وسعوا في محامله النائية والدانية ... وإذا قيل لهم عند عدم وجود المحامل المعتبرة: لعل من تقلدونه لم يبلغه الخبر؛ أقاموا على القائل القيامة، وشنعوا عليه أشد الشناعة، وربما جعلوه من أهل البشاعة، وثقل ذلك عليهم ... ولو أذهب لأذكر لك ما فيهم من العجائب؛ لطال الكلام، وفي هذا المقدار كفاية لمن نور الله بصيرته، وأرشده إلى الصواب^(١).

وقال ابن العربي (٤٦٨-٥٤٣ هـ) في "العواصم من القواصم"؛ واصفاً تدني العلم ببلاد الأندلس في عصره: "... واستمرت القرون على موت العلم وظهور الجهل، وذلك بقدر الله، وجعل الخلف منهم يتبع السلف حتى آلت الحال إلى أن لا يُنظر في قول مالك وكبراء أصحابه، ويقال: قد قال في هذه المسألة أهل قرطبة، وأهل طلمنكة، وأهل طليطلة ..."^(٢).

وقال الألباني - عند قول النبي ﷺ: "من اقترب (وفي رواية: أشراط) الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار، ويُفتح القول ويُحزن العمل، ويُقرأ بالقوم المُنثاة، ليس فيهم أحد ينكرها. قيل: وما المُنثاة؟ قال: ما استُكتب سوى كتاب الله عز وجل"^(٣) - : " (فائدة): هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ، فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء، وبخاصة منها ما يتعلق بالْمُنثاة: وهي كل ما كتب سوى كتاب الله - كما فسره الراوي - وما يتعلق به من الأحاديث النبوية والآثار السلفية..."^(٤).

وقال ابن القيم: "... وقال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. والزبر: الكتب - أي: كل فرقة صنفوا كتباً، أخذوا بها وعملوا بها، ودعوا إليها دون

(١) السندي، تحفة الأنام، ط ٢، ص ٦٣-٦٧. وانظر لكل ما تقدم: بديع الدين الراشدي السندي، الطوام المرعشة، ط ١، ص ١١٥-١٢٢.

(٢) ابن العربي، العواصم من القواصم، د. ط، ص ٣٦٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، (٤/٥٩٧)، (٨٦٦١، ٨٦٦٠)، وصححه الألباني في الصحيحة، (٢٨٢١).

(٤) الألباني، الصحيحة، تحت رقم (٢٨٢١).

كتب الآخرين، كما هو الواقع سواء ...^(١). وقال: "... والزبر: الكتب المصنفة التي رغبوا بها عن كتاب الله وما بعث به رسوله"^(٢).

وقال: "... وإنما كثر الاختلاف وتفاقم أمره بسبب التقليد وأهله الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعا، كل فرقة تنصر متبوعها وتدعو إليه وتذم من خالفها، ولا يرون العمل بقولهم، حتى كأنهم ملة أخرى سواهم، ويدأبون ويكدحون في الرد عليهم، ويقولون: "كتبهم" و"كتبنا"، و"أئمتهم" و"أئمتنا"، و"مذهبهم" و"مذهبنا"! هذا والنبي واحد، القرآن واحد، والرب واحد.

فالواجب على الجميع أن ينقادوا إلى كلمة سواء بينهم كلهم، وأن لا يطيعوا إلا رسول الله ﷺ، ولا يجعلوا معه من يكون أقواله كنصوصه"^(٣).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥م): "المتعصبون للمذاهب أبوا أن يكون الخلاف رحمة، وتشدد كل منهم في تحميم تقليد مذهبه، وحرّم على المنتمين إليه أن يقلدوا غيره، ولو لحاجة فيها مصلحتهم، وكان من طعن بعضهم في بعض ما هو معروف في كتب التاريخ وغيرها، حتى صار بعض المسلمين إذا وُجد في بلد يتعصب أهله لمذهب غير مذهبه، ينظرون إليه نظرهم إلى البعير الأجرب بينهم".

وسئل بعض الطلاب في مسجد لاهور عما اشتهر عندهم في الأفغان من أن مصلياً من الأحناف رأي رجلاً يصلي بجواره، يشير بإصبعه السبابة عند النطق بكلمة التوحيد في التشهد، فضربه عليها فكسرهما، فقال: نعم، حصل ذلك.

ولما سئل عن السبب، قال: لأنه فعل فعلاً محرماً، ولما سئل عن الدليل قال: ما هو مدون في كتاب الشيخ الكيداني: "العاشرة من المحرمات في الصلاة: الإشارة بالسبابة، كما يفعل أهل

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (٢٥٩/١).

(٥) المصدر نفسه، (٢٢٩/٢).

(٣) المصدر نفسه، (٣٣٣/٢).

الحديث". وقال محمد بن موسى البلاساغوني الحنفي (ت ٥٠٦هـ): "لو كان لي أمر؛ لأخذت الجزية من الشافعية"^(١).

وفي الجانب الدعوي:

قال صالح الفوزان: "فإنَّ الدعوة إلى الله هي سبيل الرسول ﷺ وأتباعه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِ وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، بل الدَّعوة إلى الله هي مهمَّة الرِّسل وأتباعهم جميعاً؛ لإخراج النَّاس من الظلمات إلى النُّور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن النَّار إلى الجنَّة.

وهي مرتكزة على دعائم وتقوم على أسس لا بدَّ منها، متى اختلَّ واحدٌ منها لم تكن دعوة صحيحة، ولم تثمر الثمرة المطلوبة، مهما بُذل فيها من جهود وأُضيِع فيها من وقت، كما هو المشاهد والواقع في كثير من الدعوات المعاصرة التي لم تؤسَّس على تلك الدعائم، ولم تقم على تلك الأسس"^(٢).

وقال أيضاً: "وإنَّ أئمةَ دعوة لا تقوم على هذه الأسس، ولا يكون منهجها قائماً على منهج الرسل؛ فإنَّها ستبوء بالخيبة وتضمحل، وتكون تبعاً بلا فائدة. وخير دليل على ذلك تلك الجماعات المعاصرة التي اختطت لنفسها منهجاً للدعوة يختلف عن منهج الرسل، فقد أغفلت هذه الجماعات - إلا ما قلَّ منها - جانب العقيدة، وصارت تدعو إلى إصلاح أمور جانبية....

هذا وجماعة أخرى تنتمي إلى الدعوة - لكنَّها تسير على منهج آخر يختلف أيضاً عن منهج الرسل، فلا تُعير العقيدة أهميَّة، وإنَّما تهتم بجانب التَّعبّد وممارسة بعض الأذكار على نهج الصوفيَّة، ويركزون على الخروج والسياسة. والذي يهمهم هو استقطاب النَّاس معهم دون نظر إلى عقائدهم.

(١) انظر لكل ما تقدم: الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي، ط ٣، ص ١٦٩-١٧٨. وغيرها كثير.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢.

وهذه كلها طرق مبتدعة تبدأ من حيث انتهت دعوة الرسل، وهي بمثابة من يعالج جسداً مقطوع الرأس؛ لأنَّ العقيدة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، والمطلوب من هذه الجماعات أن تصحح مفاهيمها بمراجعة الكتاب والسنة؛ لمعرفة منهج الرسل في الدعوة إلى الله؛ فإنَّ الله سبحانه أخبر أنَّ الحاكمية والسلطة - التي هي محور دعوة هذه الجماعة التي أشرنا إليها - لا تتحقق إلاَّ بعد تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]...

وإنني أرى أن ما وقع لتلك الجماعات من مخالفة لمنهج الرسل في طريقة الدعوة إلى الله إنما نشأ من جهلهم بهذا المنهج. والجاهل لا يصلح أن يكون داعية؛ لأن من أهم شروط الدعوة العلم، كما قال تعالى عن نبيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]. فأهم مؤهلات الداعية العلم...^(١).

وخلاصة القول: أن الواقع الإسلامي المعاصر واقع منتقد من كل من يحاول إصلاحه؛ وذلك بسبب الانحراف عن المنهاج القرآني الذي هو المنهاج النبوي الصحابي؛ لأسباب تم ذكرها في الباب الأول، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وما لم يكن يومئذ دينا؛ فلا يكون اليوم دينا.

(١) المدخلي، ربيع، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ط ١، ص ٢.

المبحث الثاني: الجماعات الإسلامية، وأصولها المنهجية من خلال تفاسيرهم.

يوجد على الساحة جماعات إسلامية عديدة، تزعم أنها تدعو إلى الإسلام، وأنها تخدم الإسلام، وكل جماعة منها لها أصولها التي ترجع إليها، ولا تحيد عنها، كما هو مقيد في كتبهم ومصادرهم. وكلها يرجع في أصوله إلى شخص ما، هو مؤسسها والمؤصل لها، بخلاف أهل الحق، فإن مشايخهم وهدايتهم لا يربطونهم بأشخاصهم، وإنما يتسلسلون حتى يصلوا إلى الرسول ﷺ. فما حقيقة هذه الجماعات؟

هذا سؤال مهم، ولكنه متشعب، والذي يهمنا في هذا البحث هو ما له علاقة واضحة به، وذلك ببيان الأصول المنهجية من خلال تفاسير منظري ورموز هذه الجماعات والاتجاهات؛ لمعرفة مناهجهم من خلال الآيات القرآنية المشتملة على المنهاج، والواردة في هذا البحث.

والباعث على كتابة هذا المبحث أن هذه الجماعات لها دور كبير كثير في وجود هذا الواقع على ما هو عليه.

وبالنظر إلى ما أصّله الشاطبي في درته "الاعتصام" يبدو أن هذه الجماعات هي أشبه بالفرق المذمومة منها بالجماعات المتعانة في مجال الدعوة؛ لأن هذا الثاني إنما يصدق على من كانت أصولهم واحدة، والحال أن هذه الجماعات ليست كذلك، فهي متخالفة في أصل كلي، لا في عمل فروع^(١).

والغريب في شأن هذه الجماعات أنها تستدل على ما هي عليه بالقرآن، وتفسره، إما تفسيراً كاملاً، أو بعض آياته التي ترى فيها دليلاً على ما هم عليه^(٢).

ويتم بيان هذا المبحث بالأمثلة الآتية:

١. تفسيرهم للصراط المستقيم.

(١) انظر: الشاطبي، الاعتصام، ط ١، (١٧٧/٣).

(٢) انظر: المصدر نفسه، (١٢٤/٢).

قال بعضهم: "والصراط المستقيم هو نظام هذه الصلة بين المخلوقين والخالق"^(١).

وهذا كلام مجمل، خلاف ما تقدم بيانه في هذا البحث للصراط المستقيم من عبارات السلف الواضحة البينة.

لكنه أحسن بيانه - في موضع آخر - بقوله: "وهو من الدين ما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه بغير زيادة عليه ولا انتقاص منه ولا انحراف عنه"^(٢). ثم ذكر من الآيات والأحاديث ما يدل على ذلك.

وقال آخر: "فالهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في الدنيا والآخرة عن يقين. وهي في حقيقتها هداية فطرة الإنسان إلى ناموس الله الذي ينسق بين حركة الإنسان وحركة الوجود كله في الاتجاه إلى الله رب العالمين"^(٣).

فقوله: "وهي في حقيقتها" - أي: الهداية، فهل مذكره هو الهداية؟ ما هذه إلا مصطلحات فلسفية، ولماذا يعبر بـ"الناموس" القليل الاستعمال؟ ليقول: بالوحي، مثلاً. ثم ما المراد بهذا التنسيق؟ وما نوع هذا التوجه؟ هل هو توجه الربوبية؟ فالعالم كله يتوجهه اضطراراً، أو توجه الألوهية لله وحده؟ فهو لم ينص عليه، مع أنه حقيقة الصراط المستقيم.

فهذا الذي ذكره، ما موقعه بالنسبة لما جمعه الباحث من كلمات المفسرين والسلف الصالحين من بيان معنى الصراط المستقيم؟!

(١) البناء، نظرات في كتاب الله، د. ط، ص ١٢٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٦.

(٣) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ٣٢، (١/٢٦).

وقال آخر:

to show which of the myriad ways and by-ways is the clear, straight, open road of sound belief and right behaviour⁽¹⁾.

وترجمته: أي من الطرق والفروع التي لا تعد ولا تحصى هو الطريق الواضحة والمستقيمة والمفتوحة للإيمان السليم والسلوك الصحيح".

وخلاصة قوله: أن الصراط المستقيم هو الطريقة الصحيحة الواضحة للحياة، والتي خلاصتها في الإيمان السليم والسلوك الصحيح.

لكن ما هو مصدر هذا الإيمان والسلوك؟ لم يبينه، بأنه طريق أنبياء الله وأصفياه.

وقال آخر: "ومفهوم الصراط المستقيم بَيّن واضح، وهو الطريق الذي لا عوج فيه ولا انحراف إلى اليمين أو اليسار، ولكن ما المراد به؟- ثم نقل عن السلف غالب ما نقلته، وبيّن بكلام ابن تيمية- أن هذا اختلاف تنوع- ثم قال- في كلام منهجي رصين:- "وهو أساس الوسطية في التصور الإسلامي وفي المنهج الإسلامي، فهو لا ينحاز إلى منهج أهل اليمين، ولا إلى منهج أهل اليسار، بل هو الصراط، وما حوله سبل متعرجة، وعلى رأس كل سبل منها شيطان يدعو إليه- ثم ذكر انقسام الناس بحسب الصراط، كما في الآيات⁽²⁾.

وقد أحسن في ذلك؛ لاعتماده على ما أثر عن السلف في ذلك.

وآخر فسر به خلاصته أنه دين الأنبياء الذي بلغوه للناس على اختلاف الأعصار والأمصار، والذي أساسه التوحيد لله الواحد القهار الذي يفتقر إليه أهل الأرض والسماء⁽³⁾.

(١) برنامج آيات، مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود، تفسير المودودي "تفهيم القرآن"، الفاتحة: ٦.

(٢) القرضاوي، دروس في التفسير، تفسير جزء عم، موقع القرضاوي، ص ٢١، ٢٦.

(٣) الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط ٤، ص ٨.

وهذا تفسير منهاجي شديد، فإن الأنبياء كلهم على دين التوحيد، تمسكوا به، ودعوا الناس - أول ما دعوهم - إليه، ولذا قال الله تعالى لنبيه - بعد ما ذكر جملة من الأنبياء -: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٢. تفسيرهم لآية الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

فسر أحدهم الآية، ولم يذكر فيها قولاً من أقوال السلف المنهجية التي ذكرها الباحث، كما تقدم في موضعه، ولما جاء إلى ما يستفاد من الآية؛ قال: "إحاطة مرتبة الزعامة العادلة الصحيحة العاملة لخير الدنيا والآخرة بماله من الاحترام والإجلال، تحول بينهم وبين زراية الزارين وتهجم الغافلين، وهى للرسول ﷺ بالأصالة، ولغيره من أئمة الأمة بالوراثة مع تفاوت المراتب"^(١).

فذكر ما لا يوافق عليه؛ لأن فيه تعصياً لمن ليس بمعصوم، والاحترام شيء، والتعصيم شيء آخر، ثم إن الآية مسوقة في عدم التقدم بين يدي الله ورسوله؛ للعصمة، وأقوال غيرها ليست كذلك.

٣. آيات الصفات وأحاديثها.

فمنهم من يعتبر آيات الصفات الإلهية وأحاديثها: من الاستواء، واليد، والعين، والأعين، ونحوها كلها من المتشابهة^(٢).

وهذا الإطلاق غير صحيح، فإنها محكمة من جهة معناها، متشابهة من جهة كيفيتها وحقيقتها، كما بينه ابن تيمية، وغيره من أئمة السنة^(٣).

٤. آيات الاعتصام في سورة آل عمران.

(١) البناء، نظرات في كتاب الله، د. ط، ص ٤٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥١٤.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٣/١٤٣).

منهم من تكلم عنها كلاماً عاماً، كقوله: "لُفت نظر المسلمين إلى ضرر المخالفة والفرقة"^(١)، ولم يبين ما فيها من منهجية تقضي على التفرق والتحزب الذي منه سبل هذه الجماعات، وقارن ذلك بما نقله الباحث ههنا من كلمات السلف النيرّات حول هذه الآيات، وعلى رأسهم ابن عباس رضي الله عنه.

وليعلم أن أصل الجماعة- الذي هو الاجتماع على طاعة ولي الأمر بالمعروف، وعدم منازعته- هو أهم الأصول التي خالفوا فيها، والذي ترتب عليه اكتواء أمة الإسلام بنار الفتن على مدى العصور والأزمان، منذ خروج السبئية على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه. ويدل على

٥. من هم ولاية الأمر عندهم؟

ذكر أحدهم عند آية النساء: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢٥) [النساء: ٦٥]، قال: "في صدر هذه الآية الكريمة أمر من [الله] للمؤمنين أن يقوموا بالطاعة لله وللرسول ولأولى الأمر منهم، الذين يشاركونهم إيمانهم ويحرسون دينهم وعقيدتهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وإلا انتفت عنهم صفة الولاية إذا خالفوا هذه القواعد؛ لأنهم حينئذ لا يكونون من المؤمنين.

ثم بيّن تبارك وتعالى أن الخلاف إذا وقع بين الراعي والرعية، أو بين ولي الأمر والمأمور؛ ردّ ذلك الخلاف إلى الله ورسوله، إلى القانون العام، إلى الدستور الخالد الذي تركه فينا رسول الله ﷺ، إلى كتاب الله وسنة محمد ﷺ، ثم كان الحكم في ذلك الخلاف لذلك الدستور، فإذا قضى لأحد الفريقين؛ لزمه القضاء.

هذه هي القاعدة المنطبقة التي يجب أن يسلم بها كل مؤمن اعتقد صدق الرسول وأحقية القرآن، سواء أكان حاكماً أو محكوماً"^(٢).

(١) البناء، نظرات في كتاب الله، د. ط، ٥١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥١٩.

فما ذكره من مواصفات أولي الأمر هو ما ينبغي أن يكون، لكن لا يعني عدم كونه أن تنتفي عنهم الولاية، وهذا يخالف ما نقله الباحث حول هذه الآية في موضعه، وخاصة قول ابن تيمية: "وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاية الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله"^(١).

ثم وجد الباحث أنه صرح تصريحاً واضحاً بأنهم ليسوا ولاية أمر فيما عنون له بقوله: معركة المصحف، وشرحها بقوله: أنها معركة وضع الحدود والقواعد بين من يؤمن بالمصحف إيماناً حقيقياً، وبين مجرد من ينتسب إليه: بين الإخوان المسلمين الذين يهتفون: "القرآن دستورنا"، وبين غيرهم.

ثم صرح بذلك غاية الصراحة عند آية المائدة: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩]. فقال: "الإسلام دين ودولة ما في ذلك شك: ومعنى هذا التعبير بالقول الواضح: أن الإسلام شريعة ربانية جاءت بتعاليم إنسانية وأحكام اجتماعية، وكلت حمايتها ونشرها والإشراف على تنفيذها بين المؤمنين بها إلى الدولة - أى: إلى الحاكم الذى يرأس جماعة المسلمين ويحكم أمتهم...

وأن من شرائط الحاكم المسلم: أن يكون فى نفسه متمسكاً بفرائض الإسلام، بعيداً عن محارم الله، غير مرتكب للكبائر، وهذا وحده لا يكفى فى اعتباره حاكماً مسلماً حتى تكون شرائع دولته ملزمة إياه بحماية أحكام الإسلام بين المسلمين، ملزمة إياه كذلك بتبليغها لغير المسلمين، وتحديد موقف الدولة منهم بناء على موقفهم هم من دعوة الإسلام.

هذا الكلام لا نقاش فيه ولا جدل، وهو ما تفرضه هذه الآيات المحكمة من كتاب الله. ولقد كانت آيات النور صريحة كل الصراحة، واضحة كل الوضوح فى الرد على الذين يتهمون من الحكم بما أنزل الله وإخراجهم من زمرة المؤمنين فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَىٰ قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ

(١) ابن تيمية، منهاج السنة، طبعة جامعة الإمام، (٥/١٣٠-١٣١).

وَرَسُولُهُ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ [النور: ٤٧-٥١]، كما جاءت آيات المائدة تصف المهملين لأحكام الله بالكفر والظلم والفسق فتقول: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [المائدة: ٤٤]، و (الظَّالِمُونَ)، و (الْفَاسِقُونَ)، ثم تقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]...^(١).

وأما ما ذكره من وجوب الرد في موارد النزاع إلى الكتاب والسنة؛ فلا نزاع فيه.

ولا يترك المنهاج القرآني الصحابي الذي يأمر بالصبر والحكمة؛ لقول فلان وغيره، أَيْتَرَكَ قول الخبر البحر ابن عباس رضي الله عنهما في مقولته التي لم يخالفه فيه أحد من الصحابة- فهو إجماع الصحابة:- "ليس الكفر الذي تذهبون إليه، وإنه ليس كفراً ينقل عن الملة، هو كفر دون كفر"^(٢).

ثم لو قال قائل: لا يفهم من كلامه صراحة التكفير للحكومات؟ فالجواب: لو سُئِلَ بذلك، لكن ما هكذا دلّ المنهاج القرآني في الدعوة، كما تقدم في آية النحل، في الباب الأول^(٣).

لقد أعجبني- كباحث- منهج أحدهم في كتابه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، فإنه إن كان بحثي حول منهجية الآيات القرآنية؛ فإن كتابه هذا حول منهجية السور القرآنية، فيبين منهجية السورة، ووحدتها الكلية، ومقاصدها، ويختار من الآيات ما يبين مقصد السورة، كما نص هو عليه في مقدمة الكتاب، وهذا النوع من العلم عاش معه الباحث كثيراً، وذلك من خلال دروسه في التفسير، حيث يعني جداً بموضوع السورة، وتناسب آياتها التي تخدم هذا الموضوع.

(١) البناء، نظرات في كتاب الله، د. ط، ص ٥٤٣-٥٤٨.

(٢) أثر صحيح متفق على صحته بين العلماء الحفاظ والأئمة النقاد سلفاً وخلفاً، أخرجه أحمد (١/ ٢٤٦)، والطبراني في

المعجم الكبير (١/٩٥/٣). وقد أفردته بالدراسة رواية ودراية سليم الهلالي: "قرة العيون". وصححه الألباني تحت

حديث الصحيحة (٢٥٥٢).

(٣) ص ٦٩، من هذه الرسالة.

ومع هذا فإنه أهمل الكلام على بعض الآيات التي هي كمفتق الطرق بين أهل السنة والجماعة وغيرهم، كآليات المتعلقة بطاعة ولاة الأمر، والأمور السياسية عموماً، التي هي في غاية الأهمية في زماننا؛ لما لها من أهمية بالغة في الوحدة والاجتماع بما يحقق انتشار الإسلام والعمل به.

مثال ذلك: لما أتى إلى آية النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]؛ طوى الكلام عليها^(١)، مع أهميتها البالغة في تقرير منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم.

٦. تكفير بعضهم للمجتمعات الإسلامية، (وهذا مذهب الخوارج).

يفسر أحدهم "لا إله إلا الله" بالحاكمية، وأنها القضية الكبرى؛ وعلى أساس ذلك، يكفر المجتمعات الإسلامية، ففي كلامه على آية الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٤﴾ [الأنعام: ١٤].

قال: "ولكني أريد أن أتحدث عن القضية التي تضمنها هذا المقطع، وجرت بها هذه الموجة... إن هذه القضية التي عرضها السياق القرآني في هذه الآيات . . قضية الولاء والتوحيد والمفاصلة . . هي قضية هذه العقيدة؛ وهي الحقيقية الكبرى فيها. وإن العصبة المؤمنة اليوم لخليقة بأن تقف أمام هذا الدرس الرباني فيها وقفة طويلة....

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية؛ وعادت البشرية إلى مثل الموقف الذي كانت فيه يوم تنزل هذا القرآن على رسول الله ﷺ ويوم جاءها الإسلام مبنياً على قاعدته الكبرى: «شهادة أن لا إله إلا الله». . شهادة أن لا إله إلا الله بمعناها الذي عبر عنه ربي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس، وهو يسأله: «ما الذي جاء بكم؟» فيقول: «

(١) الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط ٤، ص ٥٥.

الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»^{(١)»(٢)}.

فانظر كيف وصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية والردة، وإن نادى المآذن بـ "لا إله إلا الله"، وهذا كله مبني على تفسيره الألوهية بالحاكمية التي يراها هو، وإلا لو كان يعني بالحاكمية كل ما حكم الله به، وأول ذلك عبادته وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]؛ لأصاب الحق، لكنه لا يعني ذلك؛ بدليل واقعه الذي هو عليه، وكذلك المواضع الأخرى من كتبه^(٣).

٧. كيف البراءة من الكافرين عند بعضهم.

حيث ذكر ما ذكره حول سورة الكافرون، وأنها من سور التوحيد، لكنه ذكر في آخر كلامه ما لا يُقبل؛ لعدم صحته، فقال: "هذه السورة في أولها شديدة ترفض عبادة غير الإله الواحد، وفي نهايتها تقر هذه الحقيقة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]"^(٤).

وهذا باطل، وآخر السورة تقرير وحكم لأولها؛ فمخالفته ﷺ لهم في العبادة تقتضي البراءة منهم، فأولها دين وآخرها براءة، وقد تقدم تقرير هذا من كلام الإمامين ابن تيمية، وابن القيم، في الموضع المذكور. ولعل هذا يفسر لنا انحراف بعضهم في هذا الباب المتعلق بالبراءة من الكفار.

(١) قصة ربي هذه لا تثبت، رواها سيف بن عمر التميمي عن شيوخه، وهو متروك، انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ط ١، (٣٥٣/٣)، وانظر القصة: ابن كثير، البداية والنهاية، ط ١، (٦٢١/٩)، والطبري: تاريخ الأمم والملوك، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.

(٢) قطب، في ظلال القرآن، ط ٣٢، (١٠٥٧/٧).

(٣) انظر: المدخلي، أضواء إسلامية، ط ٢، ص ٧٤، وما بعدها.

(٤) القرضاوي، دروس في التفسير، تفسير جزء عم، موقع القرضاوي، ص ٥٤١.

٨. بطلان تفسير أحدهم لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال: "انكشفت عليّ هذه الطريقة للتبليغ، وألقي في روعي في المنام تفسير آية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. إنك أخرجت للناس مثل الأنبياء، وفي تعبير هذا المعنى بـ (أخرجت) إشارة إلى أن العمل لا يكون في مكان واحد بل يحتاج فيه إلى رحلات إلى البلاد، وعملك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأشير بقوله (تؤمنون): أن نفس إيمانك يرقى ويزدهر، وإلا فحصول نفس الإيمان معلوم من ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾،" (١) (٢).

يعتقد الباحث أن مثل هذا لا يحتاج كبير تعقب؛ لظهور بطلانه من وجوه: منها: أنه ذكر أن هذا كشف ومنام، وهذا عند الصوفية طريق للعلم يقدم على ما جاءت به الرسل. ومنها: قوله: (مثل الأنبياء)، كلام باطل؛ لأن هذه الأمة أخرجها الأنبياء، والأنبياء أخرجهم الله تعالى واصطفاهم. ومنها: استدلاله بالآية على "الخروج التبليغي" الذي ابتدعه.

(١) انظر: ملفوظات إلياس، ص ٥٧، نقلاً عن "جماعة التبليغ: عقيدتها، وأفكارها، ومشايخها"، ص ١٤، بواسطة: sabri.m.khalil@hotmail.com. "جماعة التبليغ: نشأتها وأصولها، والمواقف المتعددة منها"، وقد عدلت بعض ألفاظها، لعلها كتبت بالخطأ. وتأمل كيف سماها "ملفوظات"، فترك المحفوظات إلى الملفوظات والمنامات.

(٢) محمد إلياس الكاندهلوي هو مؤسس جماعة التبليغ والدعوة، هندي، ماتريدي العقيدة، صوفي الطريقة، أخذ البيعة على الطريقة من مشايخها؛ حتى أجازوه بأن يمنحها!، ويعتمد على المنامات كدليل لمسالكة!، وانظر: الندوي، الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، ودعوته إلى الله، الباب الأول، وبذيله أيضاً، بيرزاده، محمد إلياس الكاندهلوي، حياته ومنهجه في الدعوة والتبليغ، الباب الأول. وانظر أيضاً: فركوس، محمد علي، "جماعة التبليغ ودعوته"، <https://minhajnobowa.net/articles/view/243>، استعرض بتاريخ أكتوبر ٢٠٠٨م. وأصول جماعة التبليغ التي تنبني عليها عقيدتهم، هي بمثابة المنهج الحياتي للجماعة، والخط الذي عليه تسير، وهي للناظر جميلة المبني طيبة المعنى، ولكن المستبصر بحقيقة تفسيرهم لكلمة التوحيد والأصول التي بنوا عليها معتقدتهم يلمس فرقاً واسعاً وبؤناً شاسعاً مع تفسير أهل السنة والجماعة لها.

يكتفي الباحث بمثل هذه المواضع؛ لأنها لعلها استوعبت غالب الاتجاهات لهذه الجماعات: الاتجاه التكفيري، والجماعة الإسلامية، وجماعة الإخوان، وجماعة التبليغ.

ويخلص الباحث إلى ما يلي:

أولاً: أن هذه الرموز للإسلام السياسي متفاوتة: فمنها ما هو غير منضبط في تفسيره، بل تأخذه الأدبيات والعواطف، وتخرجه عن مهمات وأصول علم التفسير؛ وترتب على هذا أن كُفر المجتمعات الإسلامية، اعتماداً على ما تبناه من تفسير كلمة التوحيد بالحاكمة التي يراها.

ويلي ذلك في العواطف وعدم الانضباط بالقواعد ما تقدم نقله عن أحدهم - من معركة المصحف والمصطلحات العسكرية ونحوها. ومنها: من تفسيره منضبط بقواعده.

ثانياً: أن المنضبط منهم في التفسير، لا يكون كذلك في مسالكة الأخرى - من خلال مصنفاتها - بل يغير ما يقرره في التفسير، وهذا من العجائب، فإن القرآن ينبغي أن يضبط صاحبه بما اشتمل عليه من منهج للتصور والسلوك، وإثبات مثل هذا من كتب هذه الرموز للإسلام السياسي، يحتاج دراسات مستقلة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ثالثاً: أن هذه الاتجاهات أنتجت واقعاً عقدياً، وعملياً، وسياسياً، وتربوياً، ودعواً، مبنياً على هذه المناهج؛ إذ العلاقة بين المنهج والعقيدة علاقة تلازم.

والأزمة إنما تكون في العقائد المبنية على اتجاهات ومناهج، بخلاف العقائد التي سببها جهل العوام؛ فإن علاجها يسير.

الفصل الثاني

كيف يستفاد من المنهاج القرآني في إصلاح هذا الواقع

أسفرت هذه الدراسة - بإذن الله تعالى - في الأبواب: الثاني والثالث والرابع عن مئة وعشرين أصلاً منهاجياً (ثلاثة أربعينات)، أُجملها ههنا بأرقامهما للنظر فيها؛ بياناً ومقارنة؛ بُغية الانتفاع بها في إصلاح الواقع الإسلامي المعاصر، مع الأخذ في الاعتبار أنها كلها صالحة لإصلاح واحد واحد من جوانب هذا الواقع، وإنما المراد ههنا الانتقاء والتمثيل - أي: انتقاء أظهر هذه الأصول في الإصلاح المأمول.

أولاً: مجمل الأصول المستنبطة على ترتيب القرآن، كما وردت في هذا البحث:

١. الصراط المستقيم هو ما أرسل الله به الرسول الخاتم محمد ﷺ لسعادة البشر: من اعتقاد صحيح، وشريعة قويمه، وأن الناس انقسموا فيه إلى منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالين. وكل ما خالف الصراط المستقيم؛ فهو ضلال.
٢. القرآن الكريم هو كتاب الهداية والحق؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال!.
٣. الهداية لا تكون هداية حتى تكون مثل ما كان عليه السلف.
٤. أعظم ما يميز المنهاج الوسطية، التي هي لزوم الصراط المستقيم.
٥. الثقة بالمنهاج والعمل به، وعدم الانشغال بانحراف المنحرفين، إلا بمقدار بيان انحرافاتهم؛ لتُحذر.
٦. الحذر من السبل المخالفة للمنهاج، وهي خطوات الشيطان وطرقه. وهي تعود إلى صنفين: الشهوات والشبهات.
٧. من أتى بجماع البر، باستقامته على المنهاج؛ فهو الصادق المتقي.
٨. طريق الرشاد هو الاستجابة لمنهاج الحق، باعتقاده والعمل به.
٩. البر هو تقوى الله، لكن تؤتى التقوى من أبوابها، بأن تكون موافقة للسنة.

١٠. ترك القيام بدين الله هلاك وإساءة.
١١. العمل بالإسلام كله، ولا يكونوا كاليهود، كما قال تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، ولا يتم العمل بالإسلام كله إلا بترك طرق الشيطان كلها، التي هي الأهواء.
١٢. الهداية إلى الصراط المستقيم، والمنهاج القويم لا تحصل إلا بتوفيق الله، وباتباع المرسلين وما جاءوا به من كتب الله.
١٣. أصول المنهاج الإيمان والمهجرة والجهاد.
١٤. من أصول منهاج الحق ترك اتباع المتشابه.
١٥. برهان محبة الله هو اتباع رسوله ﷺ.
١٦. الصراط المستقيم هو تحقيق العبودية لرب العالمين.
١٧. هدى الله هو الهدي وليس بعد الهدي إلا الهوى.
١٨. الاعتصام بالله رباً وإلهاً، هو الهداية إلى الصراط المستقيم.
١٩. تقوى الله، والاعتصام بحبله، وعدم التفرق، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا نشابه الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات.
٢٠. منهاج هذه الأمة هو منهاج الخيرية؛ بإصلاح النفس، وإصلاح الغير، ولو سلك الناس هذا المنهاج؛ لكان خيراً لهم.
٢١. اتباع رضوان الله يكون باتباع رسوله ﷺ.
٢٢. الحذر من ترك العمل بالمنهاج؛ بترك الكتاب الذي اشتمل عليه.
٢٣. الله تعالى يبين المنهاج، ويحب اتباعه، وأولياء الشياطين يريدون الميل العظيم عنه.
- ٢٤-٢٥. الإيمان يوجب الرد عند التنازع إلى الله والرسول، وتحكيمه ﷺ في كل ما شجر بيننا، والتسليم التام لحكم الله ورسوله.

٢٦. من اتبع غير سبيل المؤمنين؛ فقد شاقَّ الرسول، وإن زعم أنه يتبعه، وهؤلاء هم أهل الأهواء. وهؤلاء لا يهتدون؛ لأن الله يخليهم وأنفسهم.

٢٧. من اعتصم بما أنزل الله من البرهان والنور؛ هداه إلى صراط مستقيم.

٢٨. التمسك بالمنهاج الحق، وذلك بتحكيم الله ورسوله في كل شيء، وترك ماسواه من الأهواء؛ لأنه لا أحسن من حكم الله.

٢٩. القدوة تكون بهدى المهتدين لا بزخرف الضالين.

٣٠. التقوى هي: اتباع الصراط المستقيم، وترك اتباع السبل؛ لأنها تفرق عن سبيل الله.

٣١. البراءة من كل من فرق دينه، ففارقه.

٣٢. الاتباع، وإلا الابتداع والأهواء.

٣٣. لا هداية إلا باتباع النبي الخاتم ﷺ.

٣٤. الإصلاح لا يكون إلا بالصلاح، الذي لا يكون إلا بالتمسك بالكتاب علماً

وعملاً.

٣٥. الاستجابة لله وللرسول ﷺ هي الحياة.

٣٦. رسالة الرسول ﷺ هي الهدى: الذي هو كمال العلم، ودين الحق: الذي هو كمال

العمل.

٣٧. ليس بعد الحق إلا الضلال.

٣٨. الأحق بالاتباع هو الذي يهدي للحق.

٣٩. وجوب اتباع الوحي الإلهي الذي تضمنه القرآن والسنة الصحيحة.

٤٠. الحق واضح يدل عليه ما لا ينحصر من الشواهد المتنوعة، وهذا وحده كافٍ في

اتباعه.

٤١. لا يستوي صاحب الحق، وصاحب الباطل، كما لا يستوي البصير والسميع،

والأعمى والأصم.

٤٢. الله سبحانه وتعالى على صراط مستقيم، وعلى الحق في كل شأنه: قضاءً وقدرًا، حكماً وشرعاً.

٤٣. الاستقامة هي لزوم المنهج القويم.

٤٤. سبيل الرسول ﷺ هي الدعوة إلى الله على بصيرة، ولا يكون ذلك إلا بتجريد الاتباع.

٤٥. الحق باق، والباطل ذاهب.

٤٦. أولو الألباب هم الذين يعلمون الحق، ومن سواهم عُمي.

٤٧-٤٨. طريق الحق واحدة، وهي الوحيدة الموصلة إلى الله، وجنته.

٤٩. الرسول بيّن القرآن، وأكمل الله به الدين؛ فبطل الابتداع فيه.

٥٠. منهج الله وكتابه ودينه هو العدل، والصراط المستقيم.

٥١. الهداية للطريقة القويمة، والمنهاج الحق؛ إنما ذلك في كتاب الله.

٥٢. أن إنزال القرآن حق من عند الله، وأنه نزل بالحق مشتملاً عليه.

٥٣. أن من حاد عن المنهاج خاسرٌ عمله، ضالٌّ سعيه، وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

٥٤. أن العمل لا يقبل إلا إذا كان على المنهاج، وذلك بالشرطين المذكورين:

الإخلاص لله، والمتابعة للرسول. وهذا الأصل والذي قبله متلازمان.

٥٥. أن الهداية إلى الصراط المستقيم تكون باتباع الأنبياء.

٥٦. أن من اتبع الهدى - بالسير على المنهاج - لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في

الآخرة.

٥٧. أن الدين واحد، والصراط واحد، والرب واحد، لا شريك له.

٥٨. أن أصول الجدال هي العلم أو الهدى أو كتاب منير، وأن المخالفين للصراط

المستقيم لا شيء عندهم منها.

٥٩. أن الحق يظهر ويتميز بظهور الباطل، وأن ظهور الباطل لا يزيد أهل الحق إلا

معرفة به وتمسكا.

٦٠. البراءة من كل من خالف المنهاج الواضح، وعدم الانشغال بمخالفته.

٦١. جماعة وائتلاف، لا فُرقة واختلاف، لكن الجماعة والائتلاف إنما يكون على ما جاءت به الأنبياء.

٦٢. أن الحق ليس بالهوى، وإنما بالذِّكر المنزل، وأن اتباع الأهواء فساد عريض.

٦٣. الدعوة إلى المنهاج الحق، والصراط الصدق، وعدم الانشغال بالناكبين.

٦٤. أن كل من عدل عن الحق؛ فهو كاذب.

٦٥. الحذر من مخالفة الرسول؛ فإنها الفتنة.

٦٦. أن من لم يتبع الهدى؛ اتبع الهوى.

٦٧. أن صاحب المنهج الصحيح لا يبالي بمخالفة من خالف.

٦٨. اتباع الكتاب حق الاتباع.

٦٩. أن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، لا في صدور غيرهم - ولو

كان حافظاً لحروفه - فهم المتبعون، لا غيرهم من الذين لا يجاوز تراقيهم.

٧٠. أن التفرق ينافي حقيقة التوحيد، وهو سبيل المشركين، لا المسلمين.

٧١. أن الاتباع يكون لسبيل من أناب إلى الله.

٧٢. اتباع الوحي، لا ما سواه.

٧٣. التأسى بالرسول ﷺ هو سبيل المخلصين لله.

٧٤. لا خيار لأحد بعد أمر الله ورسوله.

٧٥-٧٧. ضلال من أطاع الكبراء والسادة في خلاف طاعة الله ورسوله.

٧٨. لا يستوي أبداً الحق وأهله، والباطل وأهله.

٧٩. تباين أهل الإسلام في وراثتهم الكتاب المشتمل على الحق.

٨٠. أن النذارة إنما تنفع باتباع المنهاج ظاهراً، مع خشية الله باطناً.

٨١. أن المنهاج هو اتباع المرسلين، لا المتفلسفين.

٨٢. أن الحق لا يختلف.

٨٣. أن الهداية لا تكون إلا بالمستبين.

٨٤. أن صاحب الهدى والعقل هو الذي يستمع الوحي، ويتبعه.

٨٥. أن من كان على الحق والصواب؛ فلا يبالي بخلاف المخالف.
٨٦. الدعوة إلى السبيل، ومفاصلة المعاندين.
٨٧. أن الاستقامة هي كلية الدين، ومنهاج السبيل.
٨٨. أن الحكم في جميع الأمور إلى الله تعالى؛ بكتابه وسنة نبيه ﷺ.
٨٩. إقامة الدين، وعدم التفرق فيه، وعدم البغي حال الاختلاف، والاستقامة على ذلك، مع الدعوة إليه، وعدم اتباع أهواء المخالفين، والإيمان بكل ما أنزل الله، وسلوك سبيل العدل في كل شيء.
٩٠. أن الدين هو ما شرعه الله وأذن به.
٩١. أن الوحي هو الحياة والنور، وبه الهدى إلى الصراط المستقيم.
٩٢. ذم التقليد والتعلل به في ترك ما جاء به الرسول من الهدى.
٩٣. الاستمسك بالوحي؛ فإنه الصراط المستقيم.
٩٤. اتباع المنهاج، وترك ما خالفه؛ فإنها الأهواء.
٩٥. أن أهل الاستقامة والمنهاج لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بخلاف أهل الاعوجاج.
٩٦. أن المنهاج علم نافع وعمل صالح، وأن ذلك هو القرآن.
٩٧. أنه ليس بعد البينة من الله إلا عملٌ سوءٌ مُزَيَّن، واتباع الهوى؛ فليس بعد الهدى إلا الهوى.
٩٨. أن الهدى ودين الحق فيما جاء به الرسول.
٩٩. أن أصل المنهاج الأعظم: أن نكون تبعاً للكتاب والسنة.
١٠٠. أن المنحرف عن المنهاج؛ ضال، أو غاو، أو كلاهما.
١٠١. أن المنحرف عن المنهاج والهدى ليس معه إلا الظن والهوى.
١٠٢. الإعراض عمن تولى عن الذكر والمنهاج؛ فإنه لا شيء معه، ولا هدى عنده.

١٠٣. أن غاية المنهاج إقامة القسط.

١٠٤. التأسي بأهل المنهاج الصحيح؛ لنكون منهم.

١٠٥. أن المنهاج هو العلم النافع، والعمل الصالح، وأنه يعلو، ولا يعلو.

١٠٦. أن القرآن والسنة متلازمان، لا يفترقان.

١٠٧. أن الهدى في اتباع المنهاج.

١٠٨. أن الرشد والحق في القرآن.

١٠٩. أن معيار الصلاح هو ملازمة المنهاج، وما سواه (طرائق قددا).

١١٠. أن الاستقامة على المنهاج فيها سعادة الدنيا قبل الأخرى.

١١١. أن المنهاج هو التخلي عن التدسية، والتحلي بالتركية، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

١١٢. أن من اهتدى؛ خشي؛ فتحلى، وتركى؛ فتحلى.

١١٣. أين الذهاب عن منهاج الاستقامة الذي جاء به الأمينان: أمين السماء، وأمين

الأرض؟!!!

١١٤. أن المنهاج فصل ما بين أهله وغيرهم؛ لأنه الحق.

١١٥. التزكية على المنهاج هي الفلاح.

١١٦. أن من لازم المنهاج؛ أفلح، ورفع نفسه وشرفها، ومن حاد؛ خسر، وسفل،

وانطمس.

١١٧. أن صاحب المنهاج مهتد في نفسه، ساعٍ في هدى غيره.

١١٨. أنه قد تبين الرشد من الغي، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.

والله على كل شيء وكيل.

١١٩. أن أركان المنهاج في سورة العصر، أربعة: علم نافع، وعمل صالح، وتواصٍ بالحق،

وتواصٍ بالصبر.

١٢٠. أن الاتباع الصحيح للمنهاج لا يكون إلا بالبراءة من المخالفين.

ثانيا: يمكن تجميع هذه الأصول بأرقامها المذكورة في المجموعات الأصولية الآتية:

١. الصراط المستقيم:

- الصراط المستقيم هو ما أرسل الله به الرسول الخاتم محمد ﷺ؛ لسعادة البشر: من اعتقاد صحيح، وشريعة قوية، وأن الناس انقسموا فيه إلى منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالين. وكل ما خالف الصراط المستقيم؛ فهو ضلال(١).

- وأعظم ما يميز المنهاج الوسطية، التي هي لزوم الصراط المستقيم(٤).

- الهداية إلى الصراط المستقيم، والمنهاج القويم لا تحصل إلا بتوفيق الله، وباتباع المرسلين وما جاءوا به من كتب الله(١٢).

- الصراط المستقيم هو تحقيق العبودية لرب العالمين(١٦).

- الاعتصام بالله ربا وإلهاً، هو الهداية إلى الصراط المستقيم(١٨).

- من اعتصم بما أنزل الله من البرهان والنور؛ هداه إلى صراط مستقيم(٢٧).

- منهاج الله وكتابه ودينه هو العدل، والصراط المستقيم(٥٠).

- أن الهداية إلى الصراط المستقيم تكون باتباع الأنبياء(٥٥).

٢. الهداية:

- القرآن الكريم هو كتاب الهداية والحق؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال(٢)!

- الهداية لا تكون هداية حتى تكون مثل ما كان عليه السلف(٣).

- هدى الله هو الهدي وليس بعد الهدي إلا الهوى (١٧).

- أن من اتبع الهدي - بالسير على المنهاج - لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة (٥٦).

- أن من لم يتبع الهدي؛ اتبع الهوى (٦٦).

- أن الهداية لا تكون إلا بالمستبين (٨٣).

- أن الهدي في اتباع المنهاج (١٠٧).

- أن صاحب المنهاج مهتد في نفسه، ساعٍ في هدى غيره (١١٧).

٣. عدم الانشغال بالمنحرفين عن المنهاج:

- الثقة بالمنهاج والعمل به، وعدم الانشغال بانحراف المنحرفين، إلا بمقدار بيان انحرافاتهم؛ لتُحذر (٥).

- الحذر من السبل المخالفة للمنهاج، وهي خطوات الشيطان وطرقه. وهي تعود إلى صنفين: الشهوات والشبهات (٦).

- الله تعالى يبين المنهاج، ويحب اتباعه، وأولياء الشياطين يريدون الميل العظيم عنه (٢٣).

- أن من حاد عن المنهاج خاسرٌ عمله، ضالٌّ سعيه، وهو يحسب أنه يحسن صنعا (٥٣).

- أن أصول الجدل هي العلم أو الهدي أو كتاب منير، وأن المخالفين للصراط المستقيم لا شيء عندهم منها (٥٨).

- الدعوة إلى المنهاج الحق، والصراط الصدق، وعدم الانشغال بالناكبين (٦٣).

- أن صاحب المنهج الصحيح لا ييالي بمخالفة من خالف (٦٧).

- أن من كان على الحق والصواب؛ فلا ييالي بخلاف المخالف (٨٥).

- الدعوة إلى السبيل، ومفاصلة المعاندين (٨٦).

- اتباع المنهاج، وترك ما خالفه؛ فإنها الأهواء (٩٤).

٤. التقوى المنهاجية:

- من أتى بجماع البر، باستقامته على المنهاج؛ فهو الصادق المتقي (٧).

- البر هو تقوى الله، لكن تؤتى التقوى من أبوابها، بأن تكون موافقة للسنة (٩).

- التقوى هي: اتباع الصراط المستقيم، وترك اتباع السبل؛ لأنها تفرق عن سبيل الله (٣٠).

٥. الاستقامة:

- أن الاستقامة هي كلية الدين، ومنهاج السبيل (٨٧).

- أن أهل الاستقامة والمنهاج لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بخلاف أهل الاعوجاج (٩٥).

- أن الاستقامة على المنهاج فيها سعادة الدنيا قبل الأخرى (١١٠).

٦. الحق:

- ليس بعد الحق إلا الضلال (٣٧).

- الأحق بالاتباع هو الذي يهدي للحق (٣٨).

- الحق واضح يدل عليه ما لا ينحصر من الشواهد المتنوعة، وهذا وحده كافٍ في اتباعه (٤٠).
- لا يستوي صاحب الحق، وصاحب الباطل، كما لا يستوي البصير والسميع، والأعمى والأصم (٤١).
- الله سبحانه وتعالى على صراط مستقيم، وعلى الحق في كل شأنه: قضاءً وقدرًا، حكماً وشرعاً (٤٢).
- الحق باق، والباطل ذاهب (٤٥).
- أولو الألباب هم الذين يعلمون الحق، ومن سواهم عُمي (٤٦).
- طريق الحق واحدة، وهي الوحيدة الموصلة إلى الله، وجنته (٤٧-٤٨).
- أن الحق يظهر ويتميز بظهور الباطل، وأن ظهور الباطل لا يزيد أهل الحق إلا معرفة به وتمسكاً (٥٩).
- أن الحق ليس بالهوى، وإنما بالذكر المنزل، وأن اتباع الأهواء فساد عريض (٦٢).
- أن كل من عدل عن الحق؛ فهو كاذب (٦٤).
- لا يستوي أبداً الحق وأهله، والباطل وأهله (٧٨).
- أن الحق لا يختلف (٨٢).

٧. اتباع الرسول ﷺ:

- برهان محبة الله هو اتباع رسوله ﷺ (١٥).
- اتباع رضوان الله يكون باتباع رسوله ﷺ (٢١).

- الإيمان يوجب الرد عند التنازع إلى الله والرسول، وتحكيمه ﷺ في كل ما شجر بيننا، والتسليم التام لحكم الله ورسوله (٢٤-٢٥)

- من اتبع غير سبيل المؤمنين؛ فقد شاق الرسول، وإن زعم أنه يتبعه، وهؤلاء هم أهل الأهواء، وهؤلاء لا يهتدون؛ لأن الله يخليهم وأنفسهم (٢٦).

- الاتباع، وإلا الابتداع والأهواء (٣٢).

- لا هداية إلا باتباع النبي الخاتم ﷺ (٣٣).

- سبيل الرسول ﷺ هي الدعوة إلى الله على بصيرة، ولا يكون ذلك إلا بتجريد الاتباع (٤٤).

- الرسول بيّن القرآن، وأكمل الله به الدين؛ فبطل الابتداع فيه (٤٩).

- الحذر من مخالفة الرسول؛ فإنها الفتنة (٦٥).

- التأسي بالرسول ﷺ هو سبيل المخلصين لله (٧٣).

- أن الهدى ودين الحق فيما جاء به الرسول (٩٨).

٨. القدوة:

- القدوة تكون بمُهدى المهتدين، لا بزخرف الضالين (٢٩).

- أن الاتباع يكون لسبيل من أناب إلى الله (٧١).

- ضلال من أطاع الكبراء والسادة في خلاف طاعة الله ورسوله (٧٥-٧٧).

- أن المنهاج هو اتباع المرسلين، لا المتفلسفين (٨١).

- ذم التقليد والتعلل به في ترك ما جاء به الرسول من الهدى (٩٢).

- التأسى بأهل المنهاج الصحيح؛ لنكون منهم (١٠٤).

٩. جماعة، لا فرقة:

- أن الدين واحد، والصراط واحد، والرب واحد، لا شريك له (٥٧).

- جماعة وائتلاف، لا فرقة واختلاف، لكن الجماعة والائتلاف إنما يكون على ما جاءت به الأنبياء (٦١).

- أن التفرق ينافي حقيقة التوحيد، وهو سبيل المشركين، لا المسلمين (٧٠).

١٠. القسط:

- أن غاية المنهاج إقامة القسط (١٠٣).

١١. الإصلاح بالصالح:

- الإصلاح لا يكون إلا بالصالح، الذي لا يكون إلا بالتمسك بالكتاب علما وعملا (٣٤).

- أن معيار الصلاح هو ملازمة المنهاج، وما سواه (طرائق قدا) (١٠٩).

١٢. الوحي:

- الحذر من ترك العمل بالمنهاج؛ بترك الكتاب الذي اشتمل عليه (٢٢).

- الاستجابة لله والرسول ﷺ هي الحياة (٣٥).

- رسالة الرسول ﷺ هي الهدى: الذي هو كمال العلم، ودين الحق: الذي هو كمال العمل (٣٦).

- وجوب اتباع الوحي الإلهي الذي تضمنه القرآن والسنة الصحيحة (٣٩).
- الهداية للطريقة القويمية، والمنهاج الحق؛ إنما ذلك في كتاب الله (٥١).
- أن إنزال القرآن حق من عند الله، وأنه نزل بالحق مشتملا عليه (٥٢).
- اتباع الكتاب حق الاتباع (٦٨).
- أن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، لا في صدور غيرهم - ولو كان حافظا لحروفه - فهم المتبعون، لا غيرهم من الذين لا يجاوز تراقيهم (٦٩).
- اتباع الوحي، لا ما سواه (٧٢).
- تباين أهل الإسلام في وراثتهم الكتاب المشتمل على الحق (٧٩).
- أن صاحب الهدى والعقل هو الذي يستمع الوحي، ويتبعه (٨٤).
- أن الوحي هو الحياة والنور، وبه الهدى إلى الصراط المستقيم (٩١).
- الاستمسك بالوحي؛ فإنه الصراط المستقيم (٩٣).
- أن المنهاج علم نافع وعمل صالح، وأن ذلك هو القرآن (٩٦).
- أن أصل المنهاج الأعظم: أن نكون تبعا للكتاب والسنة (٩٩).
- أن القرآن والسنة متلازمان، لا يفترقان (١٠٦).
- أن الرشد والحق في القرآن (١٠٨).
- أين الذهاب عن منهاج الاستقامة الذي جاء به الأمينان: أمين السماء، وأمين الأرض!!! (١١٣).

١٣ . لا خيرة من الأمر بعد قضاء الله ورسوله:

- لا خيار لأحد بعد أمر الله ورسوله (٧٤).

١٤ . النذارة إنما تنفع من اتبع المنهاج ظاهراً وباطناً:

- أن النذارة إنما تنفع باتباع المنهاج ظاهراً، مع خشية الله باطناً (٨٠).

١٥ . الحكم لله:

- التمسك بالمنهاج الحق، وذلك بتحكيم الله ورسوله في كل شيء، وترك ماسواه من الأهواء؛ لأنه لا أحسن من حكم الله (٢٨).

- أن الحكم في جميع الأمور إلى الله تعالى؛ بكتابه وسنة نبيه ﷺ (٨٨).

- أن الدين هو ما شرعه الله وأذن به (٩٠).

١٦ . البراءة من مخالف المنهاج:

- البراءة من كل من فرق دينه، ففارقه (٣١).

- البراءة من كل من خالف المنهاج الواضح، وعدم الانشغال بمخالفته (٦٠).

- أن الاتباع الصحيح للمنهاج لا يكون إلا بالبراءة من المخالفين (١٢٠).

١٧ . البينة:

- من أصول منهاج الحق ترك اتباع المتشابه (١٤).

- أنه ليس بعد البينة من الله إلا عمل سوء مزين، واتباع الهوى؛ فليس بعد الهدى إلا

الهوى (٩٧).

- أنه قد تبين الرشد من الغي، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها. والله على كل شيء وكيل (١١٨).

١٨. العمل على المنهاج:

- طريق الرشاد: هو الاستجابة لمنهاج الحق، باعتقاده والعمل به (٨).

- أصول المنهاج: الإيمان والهجرة والجهاد (١٣).

- منهاج هذه الأمة هو منهاج الخير؛ بإصلاح النفس، وإصلاح الغير، ولو سلك الناس هذا المنهاج لكان خيرا لهم (٢٠).

- أن العمل لا يقبل إلا إذا كان على المنهاج، وذلك بالشرطين المذكورين: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول. وهذا الأصل والذي قبله متلازمان (٥٤).

- أن أركان المنهاج في سورة العصر، أربعة: علم نافع، وعمل صالح، وتواصل بالحق، وتواصل بالصبر (١١٩).

١٩. التزكية:

- أن المنهاج هو التحلي عن التدسية، والتحلي بالتزكية. كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝٢﴾ [الشمس: ٩ - ١٠] (١١١).

- أن من اهتدى؛ خشي؛ فتحلى، وتركى؛ فتحلى (١١٢).

- التزكية على المنهاج هي الفلاح (١١٥).

٢٠. أصول منهاجية جامعة:

- ترك القيام بدين الله هلاك وإساءة (١٠).

- العمل بالإسلام كله، ولا يكونوا كاليهود، كما قال تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، ولا يتم العمل بالإسلام كله إلا بترك طرق الشيطان كلها، التي هي الأهواء (١١).

- تقوى الله، والاعتصام بحبله، وعدم التفرق، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا نشابه الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات (١٩).

- إقامة الدين، وعدم التفرق فيه، وعدم البغي حال الاختلاف، والاستقامة على ذلك، مع الدعوة إليه، وعدم اتباع أهواء المخالفين، والإيمان بكل ما أنزل الله، وسلوك سبيل العدل في كل شيء (٨٩).

ثالثاً: كيفية إصلاح هذه الجوانب.

عند الحديث عن إصلاح هذه الجوانب؛ سيكون تناول ذلك من الناحية المنهجية؛ ليس المراد تفصيل ذلك الإصلاح - وإنما بيان كيفية الإصلاح بالإشارة إلى الأصول المستنبطة في هذه الرسالة؛ ما يكون ظاهراً منها في إصلاح جانب جانب من جوانب الإصلاح.

وأشفع ذلك ببعض النقول عن العلماء المحققين في هذه الجوانب الإصلاحية الإصلاحية، أو عمن ينقل عنهم.

على أنه قد مضى الكثير من كلامهم عند الكلام على الآيات التي جمعت في هذه الرسالة.

المبحث الأول: إصلاح الواقع المنهجي.

المطلب الأول: الإصلاح المنهجي لهذا الواقع

وذلك بإصلاح الطريقة التي يؤخذ بها الدين من جميع جوانبه: عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وآداباً وأخلاقاً.

كيف تؤخذ العقيدة الصحيحة؟! هل تؤخذ كما أخذها السلف الأولون في القرون الخيرية الثلاثة، أو تؤخذ على طريقة الخلف المتأخرين الذين عولوا على عقولهم، وآراء مُقَدِّمِهِمْ من الفلاسفة والمتكلمين.

كيف تؤخذ العبادات؟!؟

هل يُتصور أن مسلماً يؤمن بالرسول ﷺ، ويشهد أنه رسول الله، أرسله الله ليدل الناس على الطريق الصحيح لعبادة الله تعالى؛ ثم هو بعد ذلك يذهب يخترع عبادات من تلقاء نفسه، أو يتبع في عبادة الله تعالى من هو غير معصوم من الخطأ؟!؟

كيف تؤخذ المعاملات؟!؟

هل تبنى على العدل والقسط، أو على الظلم والغرر والربا، بحيث يكون الغرض هو جمع المال من أي وجه كان؟!؟

كيف تؤخذ الآداب والأخلاق؟!؟

هل من أخلاق من جعله الله تعالى على خلق عظيم، أو تؤخذ من زخارف اليهود والنصارى والمجوس، والمبتدعة والمترفة من هذه الأمة؟!؟

وهذا واضح جلي من خلال المجموعة (١) المعنون لها بـ (الصراط المستقيم)، وكذا المجموعة (٧) المعنون له بـ (الاتباع)، وكذا المجموعة (٨) المعنون لها بـ (القدوة)، وكذا المجموعة (١٢)

المعنون لها بـ (الوحي)، وأيضا المجموعة رقم (١٨) المعنون له بـ (العمل على المنهاج)، وكذا المجموعة رقم (٢٠) المعنون لها بـ (أصول منهاجية عامة).

والحقيقة أن المجاميع المنهاجية العشرين كلها صالحة لعلاج هذا الواقع المنهاجي الأليم؛ وذلك لأنها أصول منهاجية؛ لإصلاح المنهج والطريقة.

وقد سبق في الباب الأول قول ابن تيمية: "واسم" السنة "و" الشرعة " قد يكون في العقائد والأقوال؛ وقد يكون في المقاصد والأفعال.

فالأولى: في طريقة العلم والكلام. والثانية: في طريقة الحال والسماع، وقد تكون في طريقة العبادات الظاهرة والسياسات السلطانية.

فالمتكلمة جعلوا بإزاء الشرعيات العقلية أو الكلاميات. والمتصوفة جعلوا بإزائها الذوقيات والحقائق. والمتفلسفة جعلوا بإزاء الشريعة الفلسفة. والملوك جعلوا بإزاء الشريعة السياسة. وأما الفقهاء والعامة فيخرجون عما هو عندهم [من] الشريعة إلى بعض هذه الأمور، أو يجعلون بإزائها العادة أو المذهب أو الرأي. والتحقيق: أن الشريعة التي بعث الله بها ﷺ جامعة لمصالح الدنيا والآخرة. وهذه الأشياء ما خالف الشريعة منها؛ فهو باطل. وما وافقها منها؛ فهو حق^(١).

فبين - رحمه الله - أن الشريعة شاملة للطريقة - وهي المنهاج - وللعمل.

إن طريقة القرآن الكريم التي أجلاها وأظهرها علماء السنة هي الطريقة الثابتة الصحيحة على أمد الدهر، ولا تهز ثقتنا بهذا الأصل ما نراه حولنا من تطورات علمية وتكنولوجية بهرت العقول والقلوب؛ ذلك لأن المعلومات العلمية مهما ازدادت وتشعبت وتفرعت، فإنها لا تناقض ولا تعارض سنن الله تعالى في الكون والآفاق^(٢).

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٠٨/١٩).

(٢) حلمي، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، ط ١، ص ٧.

المطلب الثاني: تحقيق المنهجية الحقّة الصحيحة

إن إصلاح الواقع المنهجي يتحقق بتحقيق المنهجية الحقّة الصحيحة التي تعني: العودة بأصول الفهم والتلقي والاستنباط إلى الكتاب والسنة، وقواعد النهج المعبر لدى خير القرون، كما تعني تكوين أسلوب للنظر في كليات الأمور ومهامها، وإنشاء منهجية للتعامل مع الأحداث، والحكم على المواقف والأشياء والأشخاص، وضبط المناحي العلمية والعملية كافة بطريقة منهجية تنبثق من مشكاة الصحابة والتابعين، وسلف الأمة الصالحين، وأهل الحديث المتبعين.

وهذا يشمل العناية بمنهجية أصل أصول أهل السنة وهو العقيدة، ويشمل أيضاً العناية بأصول العبادة ومنهج التنسك، والأمر والنهي، والسلوك والأخلاق ورياضة النفوس، مع التحقق بمحبتهم وموالاتهم - رضي الله عنهم - والتحلي بجميل شمائلهم^(١).

وهذه المنهجية الحقّة الصحيحة واضحة أشد الوضوح في الأصول التي زين بها أئمة الإسلام مصنفاتهم في عقيدة المسلمين؛ حيث يذكرون هذه الأصول المنهجية في أول هذه المصنفات؛ لتستبين بها منهجيتهم وطريقتهم؛ ولأن عقيدة المسلمين لا تصح إلا بها^(٢):

١. لزوم الجماعة، وعدم التفرق، والحذر من الفرقة، والاتباع، وترك الابتداع.

٢. الحذر من مشابهة الأمم السالفة في تفرقها.

٣. ترك مذاهب الخوارج.

(١) انظر: يسري، طريق الهداية، ط ٢، ص ٨٥.

(٢) وأخص منهم الإمام الآجري (ت ٣٦٠هـ) في كتابه الشريعة، والإمام ابن بطة (ت ٣٨٧هـ) في كتابه الإبانة، والإمام اللالكائي (ت ٤١٨هـ) في كتابه أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. وكلهم يذكر بعد كل باب من هذه الأبواب المنهجية ما يدل عليه من الآيات المنهجية التي عنيت بجمعها في هذه الرسالة، ويذكرون من الأحاديث النبوية والآثار السلفية ما هو كالبیان لهذه الآيات، وللباحث خبرة واسعة - والحمد لله - بهذه الكتب الثلاثة حيث شرحها في مساجد دبي، على مدى عشرات السنين، وهي موجودة على موقعه في الشبكة العنكبوتية، <http://www.elshal.com>.

٤. السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين، والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم؛ ما أقاموا الصلاة.

٥. التفقه في أبواب الفتن، حتى لا يقع فيها.

٦. التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وسنة أصحابه رضي الله عنهم، وترك البدع، وترك النظر والجدال فيما يخالف فيه الكتاب والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم.

٧. الحذر والتحذير من طوائف يعارضون سنن النبي ﷺ بكتاب الله تعالى، وشدة الإنكار على هذه الطبقة.

٨. ترك الجدل والخصومات في الدين، وترك المراء في القرآن.

٩. الحذر والتحذير من اتباع المتشابه.

١٠. طاعة الرسول ﷺ. ولعل أبلغ الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾

[النور: ٥٤]. وذلك؛ لأن الهداية أعظم المطالب، والله تعالى قد ذكر طريقها في هذه الآية، وهو طاعة الرسول الخاتم محمد ﷺ.

١١. حفظ السنة، وإحيائها، والدعاء إليها.

١٢. اتباع سبيل الحق الذي هو السنة والجماعة.

١٣. ترك مناظرة أهل البدع، وجدالهم، والمكالمة معهم، والاستماع إلى أقوالهم المحدثه وآرائهم الخبيثة.

قال ابن تيمية: "فالواجب اتباع الكتاب المنزل، والنبي المرسل، وسبيل من أناب إلى الله. فاتبعنا الكتاب والسنة، كالمهاجرين والأنصار؛ دون ما خالف ذلك من دين الآباء وغير الآباء"^(١).

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (٢٥٨/٦).

المطلب الثالث: أساس التغيير هو منهج التصفية والتربية

قال الألباني: "ولذلك نحن ندندن أبداً ونركز دائماً حول النقطتين الأساسيتين اللتين هما قاعدة التغيير الحق، وهما: التصفية والتربية، فلا بد من الأمرين معاً؛ التصفية والتربية، فإن كان هناك نوع من التصفية في بلد فهو في العقيدة، وهذا - بحد ذاته - يعتبر عملاً كبيراً وعظيماً: أن يحدث في جزء من المجتمع الإسلامي الكبير - أعني: شعباً من الشعوب -، أما العبادة فتحتاج إلى أن تتخلص من المذهبية الضيقة، والعمل على الرجوع إلى السنة الصحيحة^(١).

وقد قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. قال قتادة: امتلأت ضلالة وظلماً^(٢).

وهذا تفسير محكم؛ لأن الضلالة تعني فساد القوة النظرية؛ لفقدان نور الوحي الإلهي. والظلم: يعني فساد القوة العملية والجانب السلوكي؛ لفقدان استرشادهما بالإشعاع المعرفي اليقيني الذي يضيء القوة النظرية. فصلاحي القوتين - إذن - متوقف على الوحي الذي هو هدى الله لعباده.

من ثم: كان العالم قبل البعثة المحمدية متعطشاً مستشرفاً للوحي الذي يتوقف عليه رشفه وصلاحه، أو بالأحرى: روحه ونوره، كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

ولقد اتفقت كلمة ذوى العقول الصحيحة على أن العقل والعلم البشرى لا يغنيان إطلاقاً عن هداية الرسل بما أوحاه الله إليهم، مهما ارتقت مدارك الحكماء والمفكرين في معارفهم العقلية، فإن حكمتهم وآراءهم وعلومهم إنما هي آراء بشرية ناقصة، وظنون لا تبلغ من عالم الغيب إلا أنه

(١) سالم، موسوعة الألباني، ط ١، (٢٢/٢-٢٣).

(٢) ابن جرير، جامع البيان، ط ١، (١٠٨/٢٠).

موجود مجهول!! وهى عرضة للخطأ والتخبط والخلاف فيها على أية حال. وأحكامها نسبية،
فإلام التحاكم- إذن- عند الاختلاف الذى هو من سنن الأحكام الاجتهادية؟

هنا تتجسد ضرورة الوحي والبيان النبوى لحسم النزاع والخلاف، كما نطق التنزيل فى قوله
تعالى: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤).

وإذا كان صلاح البشر بالدين مبني على الإيمان بالغيب، والوقوف فيه عند خبر الأنبياء-
عليهم الصلاة والسلام- ولا يمكن إصلاحهم بالعلوم المادية الكسبية وحدها؛ فإنه يقع فى دائرة
اليقين أنه لا سبيل إلى إنقاذ البشرية فى هذا العصر إلا بإثبات الوحي المحمدي الموحد لإنسانيتهم،
المركزي لأنفسهم، واتباع هديه الذى هو مناط السعادتين الدنيوية والأخروية، وهو المخرج الوحيد
لكل ما تعانيه الإنسانية من شقاء وظلم وعناء وجموح واستبداد، وقد أوضح التنزيل منهج الهداية
والنجاه بقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ (١٦) [المائدة: ١٥ - ١٦]"^(١).

(١) انظر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص ١٥-١٦.

المبحث الثاني: إصلاح الواقع العقدي.

المطلب الأول: الإصلاح المنهجي لهذا الواقع

إصلاح هذا الواقع هو الأساس لكل جوانب الإصلاح:

إذ هي مرتبة عليه: صلاحاً وفساداً، وهي من آثاره ونتائجه وثمراته.

لا جرم؛ كان هذا النوع من الإصلاح البداية في دعوة الأنبياء، مع إصلاح الجوانب الأخرى، كما هو ظاهر جلي من القصص القرآني.

وقد نبه الألباني على أمر قد يعزب عن أذهان كثير من المصلحين، فمع قوله: "إن هذا الواقع الأليم ليس شراً مما كان واقع العرب في جاهليتهم، وحينما بعث إليهم رسولنا صلوات الله وسلامه عليه؛ فلا شك أن واقع أولئك العرب الجاهليين كان أسوأ بكثير مما عليه المسلمون اليوم، وبناءً على ذلك نقول: العلاج هو ذاك العلاج، والدواء هو ذاك الدواء، فبمثل ما عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأولى. فعلى الدعاة الإسلاميين اليوم جميعهم أن يعالجوا واقعهم الأليم".

إلا أنه قال: "لا شك أن هناك فرقاً كبيراً جداً بين أولئك العرب المشركين من حيث أنهم كانوا يفهمون ما يقال لهم بلغتهم، وبين العرب المسلمين اليوم والذين ليسوا بحاجة إلى أن يُدْعَوْا إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، فإنهم قائلون بها مهما اختلفت مذاهبهم وطرائقهم وعقائدهم، فكلهم يقول: لا إله إلا الله، ولذلك فالدعاة اليوم ليسوا بحاجة إلى أن يدعوا المسلمين إلى أن ينطقوا بهذه الكلمة، لكن هم في الواقع بحاجة أكثر من العرب في الجاهلية إلى أن يفهموا معنى هذه الكلمة الطيبة.

هذا الفرق فرق جوهري جداً بين العرب الأولين الذين إذا دعاهم رسول الله ﷺ أن يقولوا لا إله إلا الله؛ يستكبرون، كما هو صريح القرآن الكريم، لماذا يستكبرون؟ لأنهم يفهمون أن معنى هذه الكلمة أن لا يتخذوا مع الله أنداداً، وأن لا يعبدوا مع الله غيره، وهم كانوا يعبدون غيره،

...، ولكنهم كانوا يعلمون أن من لوازم هذه الكلمة الطيبة من حيث اللغة العربية أن يتبرأوا من كل هذه الأمور لمنافاتها لكلمة: لا إله إلا الله.

أما المسلمون اليوم الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، لكنهم لا يفقهون معناها، بل لعلمهم يفقهون معناها فهماً معكوساً مقلوباً تماماً... ولذلك فأنا أقول كلمة ربما تكون نادرة الصدور مني وهي: أن واقع المسلمين اليوم شر مما كان عليه العرب من حيث سوء الفهم لهذه الكلمة الطيبة؛ لأن العرب كانوا يفهمون لكنهم لا يؤمنون، أما المسلمون اليوم فيقولون ما لا يعتقدون، يقولون: لا إله إلا الله، وهم يكفرون بمعناها، ولذلك فأنا أعتقد أن أول واجب على الدعاة المسلمين حقاً هو أن يدندنوا حول هذه الكلمة وحول بيان معناها بالتلخيص، ثم تفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة من الإخلاص لله عز وجل في العبادات بكل أنواعها^(١).

إن في القرآن آيات منهاجية في الجانب العقدي، قد ذكر شيء منها في الباب الأول، لكن المراد هنا كيف نستفيد من الآيات المنهاجية العامة في إصلاح الجانب العقدي.

لما كان الجانب العقدي هو الأساس لإصلاح جميع الجوانب؛ فإن جميع المجموعات المنهاجية التي تم استخلاصها هي كلها صالحة لإصلاح هذا الجانب.

ولأجل هذا نجد كل من يحاول إصلاح هذا الجانب - من العلماء المتبعين لهدي السلف - يستدل بها ويذكرها.

فالصراط المستقيم هو صراط العقيدة.

والوحي - أول ما يدعو؛ يدعو إلى العقيدة.

والهداية هي الهداية إلى العقيدة الصحيحة.

والتقوى، والاستقامة، والحق، والقسط؛ كل ذلك أساسه العقيدة.

(١) سالم، موسوعة الألباني، ط ١، (٢/٣٠-٣٣)، باختصار.

الاتباع والقدوة، والندارة؛ إنما ذلك للعقيدة وفيها وبها.

أصل البينة والتزكية هو العقيدة.

أساس الحكم العقيدة.

ثم الانحراف لا يكون انحرافاً معتبراً ومؤثراً إلا إذا كان انحرافاً عقدياً.

وبالجملة؛ فكل ما ذكر من أصول في هذه الرسالة؛ سواء مفصلة، أم في مجموعاتها المذكورة؛ فللعقيدة منها الحظ الأكبر؛ ابتداءً وختاماً؛ فهي الأساس لها، وهي ثمرتها.

لقد ظهر الإمام محمد بن عبد الوهاب في عصر يوصف بأنه: "عصر الجهالة والخرافة" في كثير من بلاد العالم الإسلامي، فهو عصر وهت فيه صلة المسلمين بأصولهم العلمية والاعتقادية، وكان من آثار ذلك جهالات وضلالات وظلمات تفوق الحصر والحسبان.

فأيقن الشيخ - رحمه الله - بأن لا مخرج لهذه الأمة من هذه الظلمة المطبقة إلا بنور الكتاب والسنة.

وأيقن أن القاعدة الأولى في الإصلاح، هي إصلاح العقيدة وتجديد شعب الإيمان.

وصدع الشيخ - رحمه الله - بما أيقن به، وبدأ بما هو مفتاح الإصلاح وعمدته وهاديه وحاديه، بدأ بالعقيدة^(١).

(١) التركي، مجمل اعتقاد أئمة السلف، ط ٢، ص ١٠١-١٠٢.

المطلب الثاني: أساس الإصلاح العقدي سلامة المنهج ومصدر التلقي

فأصول العقيدة تؤخذ من النصوص التي نطق بها الكتاب العزيز، وصح بها النقل عن نبيه وخيرته من خلقه محمد سيد البشر ﷺ.

يقول عبد الرزاق البدر - في شرحه عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي^(١) عند قوله: " وأنه عز وجل موصوف بصفاته القديمة التي نطق بها كتابه العزيز الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وصح بها النقل عن نبيه وخيرته من خلقه محمد سيد البشر ﷺ" - يقول: " وفي هذا إرشاد إلى أن المعتقد الذي ضُمن هذا الكتاب هذا مصدره، وهذا منبعه: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. وإذا سلم للإنسان مصدره سلم له - تبعاً لذلك - إيمانه ومعتقده، فمن كان مصدره في الاعتقاد: الكتاب والسنة؛ سلم له اعتقاده. ومن اتخذ لنفسه مصدرًا سواه؛ ضل وانحرف.

يقول ابن القيم - رحمه الله - : " كثيراً ما كان شيخ الإسلام - رحمه الله - يقول: " من فارق الدليل؛ ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول ﷺ" ^(٢).

ولابن أبي العز الحنفي كلمة منهاجية، يقول فيها: " كيف يُرام الوصول إلى علم الأصول بغير ما جاء به الرسول ﷺ" ^(٣). -أي: أن هذا محال، فلا يمكن للعبد أن يصل إلى الأصول التي هي العقيدة الصحيحة السليمة إلا من طريق الرسول ﷺ؛ بأن يأخذ عقيدته من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

(١) عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (٥٤١-٦٠٠هـ)، الحافظ الزاهد أبو محمد: ويلقب تقي الدين، حافظ الوقت ومحدثه، ولد بجماعيل - من أرض نابلس من الأرض المقدسة - وكان كثير العبادة، ورعا متمسكا بالسنة على قانون السلف/ ترجمته حافلة في: السلامي، ذيل طبقات الحنابلة، ط ١، (٢/٣).

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط ١، ص ٩٠.

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ط ٩، ص ٧٦.

ولهذا اعتنى السلف - رحمهم الله - بافتتاح مؤلفاتهم في المعتقد بالإرشاد إلى هذا المصدر؛ تنبيهاً للمسلم، وطالب العلم إلى أهمية إقامة المعتقد على هذا المصدر؛ ليسلم له معتقده.

فليس المعتقد للرجال، ولا لآرائهم وأقوالهم، ولا لأذواقهم ومواجيدهم وأهوائهم، وإنما المعتقد يؤخذ عن الله عز وجل.

فالسلف هذه طريقتهم: ينون المعتقد، ويؤسسون الديانة على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

هذه البداية لتصحيح مصدر الاستدلال، فإذا صُحِّح المصدر أُعْطِيَ الطالب أمثلة من أمور الاعتقاد التي جاءت في الكتاب والسنة، وبهذا يسير المؤمن مطمئناً، سوياً على صراط مستقيم.

بينما أصحاب الأهواء يتأرجحون في مصادر الاستدلال، تارة العقل، وتارة الوجد، وتارة المنطق، وتارة الرأي، وتارة الهوى، فأنى لهم أن يستقيم لهم اعتقاد، أو يصح لهم إيمان، أو يسلم لهم طريق؟!

ولهذا كان من أهم ما ينبغي أن يهتم به المسلم، وطالب العلم في الإيمان والاعتقاد أن يصحح المصدر الذي يقيم عليه دينه واعتقاده.

ولأجل هذا قال المصنف: " التي نطق بها كتابه العزيز... ""^(١).

(١) البدر، تذكرة المؤتسي، ط ١، ص ٤٣-٤٦.

المبحث الثالث: إصلاح الواقع العملي.

الإصلاح المنهجي لهذا الواقع يكون بتحقيق شروط قبول العمل.

وذلك من خلال المجموعات الآتية: (٤) المعنون لها بـ (التقوى)، (٥) المعنون لها بـ (الاستقامة)، (٧) المعنون لها بـ (اتباع الرسول)، (٨) المعنون لها بـ (القدوة)، (١٤) المعنون لها بـ (النذارة إنما تنفع من اتبع المنهاج ظاهراً وباطناً)، (١٥) المعنون لها بـ (الحكم لله)، (١٨) المعنون لها بـ (العمل على المنهاج)، (١٩) والمعنون لها بـ (التزكية).

فالتقوى والتزكية تكونان على ما حكم الله به؛ فنستقيم عليه باتباع الرسول ﷺ، والاقتداء بأهل القدوة.

قال عبد المحسن البدر: "وقد يقول من يهون من شأن البدع: إنَّ الذي يأتي بالبدعة متقرباً بها إلى الله قصده حسن، فيكون فعله محموداً بهذا الاعتبار.

والجواب: أنه لا بدَّ مع حسن القصد أن يكون العمل موافقاً للسنة، وهو أحد الشرطين اللذين تقدّم ذكرهما لقبول العمل الصالح، وهما الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ، وقد مرَّ الحديث الدال على ردِّ البدع المحدثّة على صاحبها، وهو قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ"، وفي لفظ لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ"^(١).

ويدلُّ لذلك أيضاً ما في سنن الدارمي بإسناد صحيح أنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جاء إلى أناس متحلّقين في المسجد، وبأيديهم حصى، وفيهم رجلٌ يقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة يعلّون بالحصى، ويقول: هلّلوا مائة، سبّحوا مائة كذلك، فوقف عليهم فقال: "ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعدُّ به التكبيرَ والتهليلَ والتسبيحَ. قال: فعدّوا سيئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يضيعَ من حسناتكم شيءٌ، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع

(١) سبق تحريجه، ص ١١١.

هلكتكم! هؤلاء صحابةُ نبيِّكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبَلْ، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنَّكم لَعَلَى مِلَّةٍ هي أهدى من مِلَّةِ محمد، أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلاَّ الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه ...^(١) ^(٢).

وقال الشنقيطي: "اعلم أولاً: أن القرآن العظيم دل على أن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور:

الأول: موافقته لما جاء به النبي ﷺ؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

الثاني: أن يكون خالصاً لله تعالى؛ لأن الله - جل وعلا - يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾^(١٤) ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ [الزمر: ١٤-١٥].

الثالث: أن يكون مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧]، ففقد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن؛ لَمَا قُبِلَ منه ذلك العمل الصالح.

وقد أوضح - جل وعلا - هذا المفهوم في آيات كثيرة^(٣).

وقال صالح الفوزان: "إرادة الإنسان بعمله الدنيا نوع من أنواع الشرك في النية والقصد، قد حذر الله منه في كتابه، وحذر منه رسوله في سنته، وهو أن يريد الإنسان بالعمل الذي يُتَغَى به وجه الله مطمعاً من مطامع الدنيا، وهذا شرك ينافي كمال التوحيد ويحبط العمل.

(١) أخرجه الدارمي في السنن، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (٧٩/١)، (٢٠٤)، وانظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، (٢٠٠٥).

(٢) البدر، عبد المحسن، الحث على اتباع السنة، ط ١، ص ٤٨-٥٠.

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ط ١، (٤٤٠/٢).

قال الله تبارك تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [هود: ١٥ - ١٦].

ومعنى الآيتين الكريمتين: أن الله - سبحانه - يخبر أن من قصد بعمله الحصول على مطامع الدنيا فقط؛ فإن الله يوفر له ثواب عمله في الدنيا بالصحة والسرور وبالمال والأهل والولد، وهذا مقيد بالمشيئة؛ كما قال في قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وهؤلاء ليس لهم في الآخرة إلا النار؛ لأنهم لم يعملوا ما يخلصهم منها، وكان عملهم في الآخرة باطلاً لا ثواب له؛ لأنهم لم يريدوها.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: "ذكر عن السلف في معنى الآية أنواعاً مما يفعلها الناس اليوم ولا يعرفون معناه:

فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وصلة وإحسان إلى الناس وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية أنها أنزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيتته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفراً يُخرج عن الإسلام...

والآيتان تتناولان هذه الأنواع الأربعة؛ لأن لفظها عام...

فالأمر خطير، يوجب على المسلم الحذر من أن يطلب بعمل الآخرة طمع الدنيا"^(١).

إنه لا بد أن يعي المسلمون القضية الكبرى: وهي قضية أن العمل من الإيمان، وأن الإيمان قول وعمل؛ فإن هذا الوعي عساه يكون سبباً في إصلاح العمل، ويُخرج المسلمين من هذا الإرجاء المزري الذي هو - من وجه - أقبح من الخروج.

وذلك؛ لأن فتنة المرجئة هدم للدين، وفتنة الخروج هدم لأهله، والأول أخطر.

قال إبراهيم النخعي - رحمه الله -: "لأننا لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة"^(٢).

وقال أيضاً: "تركّت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري"^(٣).

فخلاصة هذه الشروط: إيمان (وهو العقيدة الصحيحة)، وإخلاص، واتباع.

(١) الفوزان، الإرشاد، ط ٤، ص ١٢٢-١٢٥. وما ذكره عن ابن تيمية هو في مجموع الفتاوى، ط ١، (١٨٠/١٠).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة، (٣١٣/١)، واللالكائي في أصول الاعتقاد، (١٠٦١/٥). وكذا جاء ذلك عن الزهري، والأوزاعي، وشريك القاضي، وسفيان الثوري، كما في مجموع الفتاوى، ط ١، (٣٩٥/٧).

(٣) المصدر نفسه. - أي: رقيقاً كرقعة هذا النوع من الثياب، التي كانت تجلب من سابور: بلدة بفارس، انظر: الحموي، معجم البلدان، د. ط، (١٦٧/٣).

المبحث الرابع: إصلاح الواقع الاجتماعي والسلوكي والأخلاقي.

وذلك من خلال المجموعات الآتية: (٤) المعنون لها بـ(التقوى)، (٥) المعنون لها بـ(الاستقامة)، (٨) المعنون لها بـ(القدوة)، (١٠) المعنون لها بـ(القسط)، (١٩) المعنون لها بـ(التزكية).

وإصلاح هذا الجانب - كما ذكر في الجانب العملي - يعتمد على إصلاح الجانب العقدي، وأيضاً يعتمد على إصلاح الجانب العملي؛ فإن صلاح باطن الإنسان بالعقيدة الصحيحة، وصلاح ظاهره بالعمل الصالح كفيلاً بصلاح أخلاقه وسلوكه.

وقد ربط ابن تيمية بين العقيدة والأخلاق، بل جعل الأخلاق من العقيدة، بقوله: "ويعتقدون معنى قوله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص؛ يشد بعضه بعضاً"^(١)، وشبك بين أصابعه، وقوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"^(٢).

ويأمرهم بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمُرّ القضاء.

ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"^(٣)...

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، (٥٦٢/٦)، (٢٤٤٦)، ومسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٣٨٣/٨)، (٢٥٨٥).

(٢) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (٤٩٨/١٣)، (٦٠١١)، ومسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٣٨٤/٨)، (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، (٤٧٢/٢)، وأبو داود في السنن، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (٢٨٦/١٢)، (٤٦٦٨)، والترمذي في السنن، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، (٥/٥)، (١١٩٥)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٤).

وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره؛ فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا ﷺ^(١).

وقال السعدي: "ومن أصول أهل السنة أنهم يدينون بالنصيحة لله ولكتابه ورسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة.

ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والمماليك والمعاقلين ومن له حق، وبالإحسان إلى الخلق أجمعين.

يدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، وينهون عن مساوئ الأخلاق وأرذلها...

ومن أصولهم النهي عن أذية الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم والأمر بالعدل والإنصاف في جميع المعاملات والندب إلى الإحسان والفضل فيها"^(٢).

وقال عبد الله الجربوع: "وأهمية الأخلاق في المجتمع المسلم تعود إلى عظم أثرها في تقوية الرابطة بين أفراد المجتمع المسلم؛ لذلك ورد الإيضاح والتفصيل لها في كثير من آيات الكتاب، وحديث النبي ﷺ.

قال عبد الكريم زيدان: "كثرة الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأخلاق؛ أمراً بالخير منها، ومدحاً للمتصفين به، ومع المدح الثواب، ونهيًا عن الرديء منها، وذم المتصفين به، ومع الذم العقاب؛ ولا شك أن كثرة الآيات في موضوع الأخلاق أمر مهم جداً لا يستغني عنه المسلم، وأن مراعاة الأخلاق تلزم المسلم في جميع الأحوال، فهي تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن بها في سورة المكية والمدنية على حد سواء"^(٣).

(١) ابن تيمية، الواسطية، ط ٢، ص ١٢٣.

(٢) البدر، عبد الرزاق، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ط ١١، ص ٣٩-٤٠.

(٣) زيدان، أصول الدعوة، ط ٣، ص ٧٨.

وهذا التشابه بين أمور العقيدة والأخلاق من حيث التركيز عليها من جهة الأمر بالتزامها، والإيضاح والتفصيل لجميع جوانبها، يدل على التلازم بينهما، فالأخلاق لازمة لقوة العقيدة وانتشارها، كما أن العقيدة الصحيحة باعثة على الخلق الكريم...

وبهذا يتبين الأثر الوثيق بين المعتقد والأخلاق في المجتمع المسلم، وأن الرابطة العقدية والأخوة الإيمانية تزيد كلما التزم أفراد المجتمع بالخلق الفاضل، وكذلك تأثير المجتمع وجاذبيته تزيد إذا سادت الأخلاق، والعكس صحيح، فإن هذين الأثرين يضعفان ويكادان ينحسران إذا ساءت الأخلاق.

ونظام الأخلاق في الإسلام يشمل أموراً حثّ الشارع على فعلها والتحلي بها؛ لما لها من الأثر في صلاح المجتمع والأفراد، ... كما يشمل أموراً من الخلق القبيح نهى الإسلام عنها وحذر منها؛ لما لها من أثر في بُعد المسلمين عن ربهم، وتنافرهم وضعف الرابطة فيما بينهم، وانبعاث بذور الفرقة والشر بينهم^(١).

إن معيار الأخلاق هو دين الإسلام، لا سواه من وحي الشياطين:

أي عدل، وأي أخلاق فاضلة يُطمع فيها من الكفار الذين كفروا برهم: فهم بين ملحد دهري، أو مشرك مؤمن بعقيدة التثليث وتأليه عيسى عليه السلام.

أي عدل وخلق يُطلب من الكفار الصليبيين الذين قتلوا الملايين من المسلمين، وشردوهم، وسجنوهم، وحاصروا بلدانهم حتى ماتوا!!

إنّ مَنْ كفر بالله عز وجل قد وقع في الظلم الأعظم؛ وعليه فلا يُتوقع ممن هذه حاله، إلا الظلم والأخلاق الرذيلة والاستبداد والطغيان، والواقع شاهد بذلك.

(١) الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ط ١، (٢/٥٦١-٥٦٤).

إنه لا شيء يضبط السلوك الإنساني، ويزكي النفوس ويأطرها على محاسن الأخلاق وترك سيئها غير توحيد الله عز وجل، والخوف منه سبحانه، ورجاء ثوابه ومراقبته في السر والعلن، والشعور باطلاعه عز وجل على خفايا القلوب ومنحنيات الدروب، وهذا كله لا يأتي إلا بالتربية على التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته ومقتضياتها، والتعبد له سبحانه بها؛ مما يكون له الأثر في ظهور أثارها على أخلاق الناس وسلوكياتهم.

وإذا لم يوجد هذا الشعور وهذه التربية على العقيدة؛ فإنه لا تنفع أي محاولة مهما كانت في تهذيب سلوك الناس، مهما وُضع من النظم والقوانين والعقوبات^(١).

(١) انظر: الشهود، مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، ط ١، ص ٤٨٣-٤٨٤.

المبحث الخامس: إصلاح الواقع الفقهي.

يتم الإصلاح المنهجي لهذا الواقع من خلال المجموعات الآتية: (٧) المعنون لها بـ (اتباع الرسول ﷺ)، (١٢) المعنون لها بـ (الحكم)، (١٥) المعنون لها بـ (الحكم لله).

المطلب الأول: بعض أقوال أتباع أئمة المذاهب المتبوعة في هذا الإصلاح

وأتباع أئمة المذاهب المتبوعة المجتهدون قد حاولوا هذا الإصلاح عند الكلام على كثير من المسائل الفقهية، وأخص بالذكر منهم الإمام المالكي أبا عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، والإمام الشافعي أبا زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، والإمام الشافعي أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، والإمام الحنبلي أبا محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، وغيرهم من الأئمة.

وإنما قدمت أقوالهم على أقوال الأئمة المتبوعين؛ زجراً لهؤلاء المقلدة الذين يتعللون باتباع الأئمة؛ لتركوا السنة البيّنة؛ فيقال لهم: هؤلاء الأئمة أتباع الأئمة المتبوعين كانوا أعلم بهم منكم، ومع ذلك لم يقلدوهم في خلاف السنة البيّنة.

١. نقل الخطاب عن بعض المشايخ في مسألة كتابة الإجازة ونحوها بالذهب أنه قال: "التعظيم هو اتباع السنة"^(١).

٢. وقال ابن رشد الجد - عن مالك - رحمه الله - في مسألة كرهها -: "فكفى بقوله في ذلك حجة، واتباع رأيه في ذلك صواب ورشاد؛ لأن الرشيد في اتباع السنة والأمر الماضي"^(٢).

(١) الخطاب، مواهب الجليل، ط ٣، (١/١٢٦). والخطاب هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي (ت ٩٥٤هـ)، إمام المالكية، وكتابه هذا شرح لمختصر خليل بن إسحاق المالكي.
(٢) ابن رشد (الجد)، البيان والتحصيل، ط ٢، (١٧/٧٢٥).

٣. وقال ابن الحاج - رحمه الله - : " وقد قال بعض العلماء رحمة الله عليهم : يا هذا عليك باتباع السنة، وأكد من اتباع السنة اتباع السلف؛ فإنهم أعرف بالسنة منا. هكذا ينبغي أن يكون الإنسان مع خير القرون المشهود لهم بذلك" ^(١).

١. وقال أيضا: " وقد قال الشيخ الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله - في كتاب الأربعين له: اعلم أن مفتاح السعادة في اتباع السنة والافتداء برسول الله ﷺ في جميع مصادره وموارده، وحركاته وسكناته؛ حتى في هيئة أكله وقيامه ونومه وكلامه. لست أقول ذلك في آدابه فقط؛ لأنه لا وجه لإهمال السنن الواردة فيها، بل ذلك في جميع أمور العادات؛ فبه يحصل الاتباع المطلق، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا خِدًى وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَتَيْنَاهُ ﴾ [الحشر: ٧] ^(٢).

٥. وقال أيضا: " اعلم - وفقنا الله وإياك - أن أكد ما على المرید اتباع السنة، واتباع السلف الماضين - رضي الله عنهم - أجمعين؛ فيشد على ذلك يده، وليحذر أن يميل، أو يغتر بما قد أحدثه بعض الناس من أفعال لم تكن لمن مضى، وقد تقدم أن الخير كله في الاتباع وعكسه في الابتداء" ^(٣).

٦. وقال أيضا: "... لأن السنة المطهرة إذا تركت لا يخلّفها إلا ضدها، فالرياسة على الحقيقة اتباع السنة، فيتحرز عن ضدها جهده؛ لتعود بركة اتباعها على الجميع" ^(٤).

٧. وعرض النووي لمسألة رفع اليدين إذا قام من الركعتين، ثم قال: " وقال البيهقي في كتابه " معرفة السنن والآثار " : وقد قال الشافعي في حديث أبي حميد: وبهذا أقول. وفيه رفع اليدين إذا قام من الركعتين.

(١) ابن الحاج، المدخل، د.ط، (١٠١/١).

(٢) المصدر نفسه، (١٤٣/١).

(٣) المصدر نفسه، (١٨٤/٣).

(٤) المصدر نفسه، (٢٨٤/٣).

قال: ومذهب الشافعي متابعة السنة إذا ثبتت، وقد قال في حديث أبي حميد: وبهذا أقول.

وقال صاحب التهذيب (الإمام البغوي ت ٥١٦ هـ): لم يذكر الشافعي رفع اليدين إذا قام الركعتين، ومذهبه اتباع السنة، وقد ثبت ذلك. وقد روى جماعة من الصحابة رفع اليدين في هذه المواضع الأربعة منهم علي، وابن عمر، وأبو هريرة، وأبو حميد بحضرة أصحابه رضي الله عنهم وصدقوه كلهم على ذلك. هذا كلام البغوي^(١)^(٢).

٨. وقال السبكي - رحمه الله -: "... ولكن الطريقة المثلى، والمحجة العظمى اتباع الشريعة، وتصحيح النية. فمن حصل له ذلك؛ كان قد جمع بين الصلاح والإخلاص؛ وهو المطلوب في الشريعة. قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالعمل الصالح: أن يكون على وفق السنة. وعدم الإشراك بالعبادة إشارة إلى الإخلاص. فإن عجز عن تصحيح النية؛ أتى بالعمل الصالح الموافق للسنة، وسأل الله تعالى. فببركة اتباع السنة يحصل له تصحيح النية، وإلا يكون كمن ترك الصلاة خوفاً من الرياء"^(٣).

٩. وقال الزركشي - رحمه الله -: "ولقد بالغ إمامنا - رحمه الله - في اتباع السنة كما هو دأبه، فجعل المسح أفضل من الغسل في رواية"^(٤).

وهكذا بالتتبع، يمكن جمع ما لا يخصى من كلامهم في الأخذ بالسنة وترك ما خالفها؛ كائناً ما كان، وهذا هو منهاج الأئمة كلهم.

(١) البغوي، التهذيب في فقه الإمام الشافعي، ط ١، (٨٤/٢).

(٢) النووي، المجموع، د. ط، (٤١٠/٣).

(٣) السبكي، فتاوى السبكي، د. ط، (٥٢٠/٢-٥٢١). والسبكي هو السبكي الكبير أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦ هـ).

(٤) الزركشي، شرح الزركشي، ط ١، (٣٧٩/١)، وكذا (٦٧/٤).

المطلب الثاني: أقوال الأئمة أصحاب المذاهب المشهورة في هذا الإصلاح

وأما أقوال الأئمة المتبوعين؛ فكثيرة جداً، حتى إنه يُجمع منها رسالة مستقلة، فمن ذلك ما قال الألباني: "أقوال الأئمة في اتباع السنة وترك أقوالهم المخالفة لها:

ومن المفيد أن نسوق هنا ما وقفنا عليه منها أو بعضها؛ لعل فيها عظة وذكرى لمن يقلدهم - بل يقلد من دونهم بدرجات تقليداً أعمى - ويتمسك بمذاهبهم وأقوالهم كما لو كانت نزلت من السماء والله عز وجل يقول: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

أقوال الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله (٨٠-١٥٠هـ):

وقد روي عنه أصحابه أقوالاً شتى، وعبارات متنوعة، كلها تؤدي إلى شيء واحد، وهو وجوب الأخذ بالحديث، وترك تقليد آراء الأئمة المخالفة لها:

١ - "إذا صح الحديث فهو مذهبي"^(١).

٢ - "لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه". وفي رواية: "حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي". زاد في رواية: "فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً". وفي أخرى: "ويحك يا يعقوب - هو أبو يوسف - لا تكتب كل ما تسمع مني، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد"^(٢).

٣ - "إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ؛ فاتركوا قولِي"^(٣).

(١) ابن عابدين، رد المحتار، طبعة خاصة، (١/١٦٧). وكلامه هناك في غاية المنهجية الفقهية التي ضل عنها المقلدة،

فانظر مثلاً ما قاله عند قول الحصكفي عن أبي حنيفة: (إن توجه لكم دليل؛ فقولوا به)، (١/١٦٦).

(٢) ابن عابدين، حاشية منحة الخالق على البحر الرائق، (٦/٢٩٣).

(٣) الفلاني، إيقاظ الهمم، ط ١، ص ٥٠.

أقوال الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال:

١ - "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"^(١).

٢ - "ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ"^(٢).

٣ - قال ابن وهب: "سمعت مالكا سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء فقال: ليس ذلك على الناس. قال: فتركته حتى خفت الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة. فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال: "رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخصره ما بين أصابع رجله. فقال: إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة. ثم سمعته بعد ذلك يُسأل؛ فيأمر بتخليل الأصابع"^(٣).

أقوال الإمام الشافعي رحمه الله:

فالنقول عنه في ذلك أكثر وأطيب، وأتباعه أكثر عملا بها وأسعد فمناها:

١ - "ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلافا ما قلت؛ فالقول ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولي"^(٤).

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ط ٦، (٣٢/٢).

(٢) المصدر نفسه، (٩١/٢).

(٣) ابن أبي حاتم، مقدمة الجرح والتعديل، ط ٢، ص ٣١ - ٣٢. والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود الموسع، برقم (١٣٥).

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط ١، (٣٨٩/٥١).

٢- "أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد" (١).

٣- "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ؛ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت".

وفي رواية "فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى قول أحد" (٢).

٤- "إذا صح الحديث فهو مذهبي" (٣).

٥- "أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث الصحيح؛ فأعلموني به، أي شيء يكون: كوفياً أو بصرياً أو شامياً؛ حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً"، قاله لأحمد بن حنبل (٤).

٦- "كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي" (٥).

(١) الفلاني، إيقاظ الهمم، ط١، ص ٦٨.

(٢) النووي، المجموع، د.ط، (١/٦٣).

(٣) المصدر نفسه، د.ط، (١/١٣٦). وقد كرر وقرر النووي هذه القاعدة في مواضع عدة في المجموع، منها: قوله: "وهذا كله مع القاعدة العامة التي أوصى بها الشافعي رحمه الله أنه إذا صح الحديث خلاف قوله؛ يترك قوله ويعمل بالحديث، وأن مذهبه ما صح فيه الحديث"، (٣/٣٤)، ومنها: (٣/٢١٩)، ومنها: قولهم - في مسألة ذكرها -: هو الصواب، = قالوا: هو مذهب الشافعي؛ لأنه أوصى إذا صح الحديث أنه يعمل به وهو مذهبه، وأنه يترك نصه المخالف له، قالوا: ولعل الشافعي لم يبلغه الخبر أو ذهل عنه"، (٤/٣٦٥)، ومنها: (٥/٥٤)، ومنها: (٦/٣٩٣)، ومنها: (٨/٢٣٨).

(٤) الخطيب البغدادي، مسألة الاحتجاج بالشافعي، د.ط، (١/٤٨).

(٥) أبو نعيم، الحلية، د.ط، (٩/١٠٧).

٧ - " إذا رأيتموني أقول قولاً، وقد صح عن النبي ﷺ خلافه؛ فاعلموا أن عقلي قد ذهب " (١).

٨ - " كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح؛ فحديث النبي أولى فلا تقلدوني " (٢).

٩ - " كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعه مني " (٣).

أقوال الإمام أحمد:

فهو أكثر الأئمة جمعاً للسنة، وتمسكاً بها؛ حتى كان يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأي؛ ولذلك قال:

١ - " لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا ". وفي رواية: " لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء. ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه؛ فخذ به، ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير " (٤).

٢ - وقال مرة: " الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد التابعين مخير " (٥).

٣ - " رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار " (٦).

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط ١، (٣٨٧/٥١)، بسند صحيح.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط ١، (٣٨٦/٥١)، بسند صحيح.

(٣) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ط ٢، ص ٩٣ - ٩٤.

(٤) ابن القيم، إعلام الموقعين، ط ١، (٣٠٢/٢).

(٥) أبو داود، مسائل الإمام أحمد، ط ١، (٣٦٨/١)، (١٧٨٩)، (٣٦٩/١)، (١٧٩٣).

(٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ط ٦، (١٤٩/٢).

٤ - " من رد حديث رسول الله ﷺ؛ فهو على شفا هلكة" ^(١).

تلك هي أقوال الأئمة رضي الله تعالى عنهم في الأمر بالتمسك بالحديث، والنهي عن تقليدهم دون بصيرة، وهي من الوضوح والبيان بحيث لا تقبل جدلاً ولا تأويلاً.

وعليه فإن من تمسك بكل ما ثبت في السنة - ولو خالف بعض أقوال الأئمة - لا يكون مبانياً لمذهبهم، ولا خارجاً عن طريقتهم، بل هو متبع لهم جميعاً، و متمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

وليس كذلك من ترك السنة الثابتة لمجرد مخالفتها لقولهم، بل هو بذلك عاص لهم، ومخالف لأقوالهم المتقدمة. والله تعالى يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء: ٦٥]. وقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى -: " فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ وعرفه أن يبينه للأمة، وينصح لهم، ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة؛ فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم، ويقتدى به من رأي أي معظّم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ.

ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم على كل مخالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد، لا بغضاً له، بل هو محبوب عندهم معظّم في نفوسهم، لكن رسول الله أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق ^(٢).

(١) ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ط ٢، ص ١٨٢.

(٢) قال الألباني: " قلت: حتى ولو على آبائهم وعلمائهم؛ كما روى الطحاوي في شرح معاني الآثار، (٣٧٢/١)، وأبو يعلى في مسنده، (١٣١٧/٣ - مصورة الكتب) بإسناد جيد رجاله ثقات عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: "إني جالس مع ابن عمر رضي الله عنه في المسجد إذ جاء رجل من أهل الشام، فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج؟ فقال

فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره؛ فأمر الرسول أولى أن يقدم ويتبع، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره، وإن كان مغفوراً له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه" (١).

ولذلك لما جمع المحقق ابن دقيق العيد - رحمه الله - المسائل التي خالف مذهب كل واحد من الأئمة الأربعة الحديث فيها - انفراداً واجتماعاً - في مجلد ضخيم قال في أوله: "إن نسبة هذه المسائل إلى الأئمة المجتهدين حرام، وإنه يجب على الفقهاء المقلدين لهم معرفتها؛ لئلا يعزوها إليهم فيكذبوا عليهم" (٢).

ابن عمر: حسن جميل. فقال: فإن أباك كان ينهى عن ذلك؟ فقال: ويلك! فإن كان أبي قد نهى عن ذلك، وقد فعله رسول الله ﷺ، وأمر به؛ فيقول أبي تأخذ، أم بأمر رسول الله ﷺ؟! قال: بأمر رسول الله ﷺ. فقال: فقم عني". وروى أحمد (رقم ٥٧٠٠) نحوه، والترمذي (٨٢/٢ - بشرح التحفة) وصححه. وروى ابن عساكر (١/٥١/٧) عن ابن أبي ذئب قال: قضى سعد بن إبراهيم (يعني: ابن عبد الرحمن بن عوف) على رجل برأي ربيعة بن أبي عبد الرحمن، = فأخبرته عن رسول الله ﷺ بخلاف ما قضى به، فقال سعد لربيعة: هذا ابن أبي ذئب - وهو عندي ثقة - يحدث عن النبي ﷺ بخلاف ما قضيت به. فقال له ربيعة: قد اجتهدت، ومضى حكمك. فقال سعد: واعجباً! أنفذ قضاء سعد و[لا] أنفذ قضاء رسول الله ﷺ؟! بل أرد قضاء سعد ابن أم سعد، وأنفذ قضاء رسول الله ﷺ. فدعا سعد بكتاب القضية فشقه، وقضى للمقضي عليه". / صفة الصلاة (الكتاب الأصل)، ط ١، (٣٥-٣٤/١).

(١) ابن رجب، الحكم الجديدة بالإذاعة، ط ١، ص ٣٤.

(٢) الفلاني، إيقاظ الهمم، ط ١، ص ٩٩.

المطلب الثالث: ترك الأتباع بعض أقوال أئمتهم؛ اتباعاً للسنة

ولذلك كله كان أتباع الأئمة ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين لا يأخذون بأقوال أئمتهم كلها بل قد تركوا كثيراً منها؛ لما ظهر لهم مخالفتها للسنة حتى إن الإمامين: محمد بن الحسن وأبا يوسف - رحمهما الله - قد خالفا شيخهما أبا حنيفة في نحو ثلث المذهب. وكتب الفروع كفيلاً ببيان ذلك. ونحو هذا يقال في الإمام المزني وغيره من أتباع الشافعي وغيره.

ولو ذهبنا لضرب على ذلك الأمثلة؛ لطلال بنا الكلام، ولخرجنا به عما قصدنا إليه في هذا البحث من الإيجاز. فلنقتصر على مثالين اثنين:

١ - قال الإمام محمد - رحمه الله - في "موطئه" (ص ١٥٨): "قال محمد: أما أبو حنيفة - رحمه الله - فكان لا يرى في الاستسقاء صلاة، وأما في قولنا: فإن الإمام يصلي بالناس ركعتين، ثم يدعو ويحول رداءه" إلخ.

٢ - وهذا عصام بن يوسف البلخي - من أصحاب الإمام محمد، ومن الملازمين للإمام أبي يوسف - رحمه الله - كان يفتي بخلاف قول الإمام أبي حنيفة كثيراً؛ لأنه لم يعلم الدليل، وكان يظهر له دليل غيره فيفتي به؛ ولذلك كان يرفع يديه عند الركوع والرفع منه، كما هو في السنة المتواترة عنه عليه السلام. فلم يمنعه من العمل بها أن أئمة الثلاثة قالوا بخلافها، وذلك ما يجب أن يكون عليه كل مسلم بشهادة الأئمة الأربعة وغيرهم كما تقدم^(١).

والفرق بين مضمون هذا المبحث والمبحث الأول أن هذا في التطبيق، وذاك في التحقيق، فحقق هؤلاء الأتباع اتباع السنة إذا خالفته أقوال الأئمة، ثم عملوا بذلك، رحمهم الله تعالى، فلهم النصيب الأعظم من امتثال قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

(١) الألباني، صفة صلاة النبي عليه السلام، ط ١، ص ٤٥-٥٧.

المبحث السادس: إصلاح الواقع السياسي.

وذلك من خلال المجموعات الآتية: (٩) المعنون لها بـ (جماعة لا فرقة)، (١١) المعنون لها بـ (الإصلاح بالصالح)، (١٥) المعنون لها بـ (الحكم لله)، (١٦) المعنون لها بـ (البراءة من مخالف المنهاج).

والإصلاح في هذا الجانب مطلوب من كل من الراعي والرعية على حد سواء، كما هو بيّن من هذه الأصول المختارة هنا.

وتأمل كيف اختصر موسى عليه السلام رسالته وطريقته - التي هي رسالة الأنبياء وطريقتهم - في وصيته لأخيه هارون عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

قال السعدي: "..... (وَأَصْلِحْ) - أي: اتبع طريق الصلاح (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) وهم الذين يعملون بالمعاصي" ^(١).

وقال ابن عاشور: " وقد جمع له في وصيته ملاك السياسة بقوله: (وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)؛ فإن سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح، وهو جعل الشيء صالحاً، فجميع تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة، وذلك بأن تكون الأعمال عائدة بالخير والصالح لفاعلها ولغيره،...." ^(٢).

إن للقرآن طريقة واضحة في أحوال السياسة الداخلية والخارجية تقوم على أصول وأسس عظيمة، منها: الشورى، وإعداد القوة، وعدم التعلق بشخص القائد، والعدل وأداء الأمانات بأشمل معانيها، وطاعة ولاية الأمر في المعروف، وإقامة الحدود.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ٤، (٣٠٢/١).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ط ١، (٨٧/٩-٨٩).

قال السعدي: "طريقة القرآن في هذا أعلى طريقة، وأقرب إلى حصول جميع المصالح الكلية، وإلى دفع المفاسد،...." (١).

ويرى الباحث أن الفارق المميز لأهل السنة والجماعة عن غيرهم في هذا الزمان هو قضية الجماعة وولي الأمر؛ فإن غالب المخالفين لا يرون هذا الأصل ولا يعتقدونه، ولا يبينونه في دعوتهم، وهم في ذلك ضروب وأشكال: فمنهم من يظهر ذلك، ويخرج على المسلمين، ويستبيح دماءهم، ومنهم من يعتقد ذلك ولكن لا يظهره، ومنهم من يخطط له في السر، فترتب على هذا إهدار جهود أهل الحق في دعوة الناس؛ حتى ظن الناس: مسلمهم وكافرهم، أن الإسلام مقرون بالإرهاب والدماء، والسعي في منازعة الأمور أهلها، فاللهم هداك ورحماك.

وعليه فالسني في زماننا هو الذي يعتقد ولاية من تولى من المسلمين على الناس؛ ولو بالقوة؛ يعتقد ذلك بقلبه، لا رياءً، ولا تقية، ويعمل بمقتضى ذلك من الطاعة في المعروف، ولا ينزع يدا من طاعة؛ إلا أن يرى كفرًا بواحاً عنده فيه من الله برهان، وهذه الرؤية ليست لأي إنسان، وإنما هي من اختصاص الراسخين في العلم.

(١) السعدي، القواعد الحسان، ط ١، ص ١٦٣.

المبحث السابع: إصلاح الواقع التربوي.

وذلك من خلال المجموعات الآتية: (٥) المعنون لها بـ(الاستقامة)، (٦) المعنون لها بـ(الحق)، (٧) المعنون لها بـ(اتباع الرسول)، (٨) المعنون لها بـ(القدوة)، (١٢) المعنون لها بـ(الوحي)، (١٤) المعنون لها بـ(الندارة إنما تنفع من اتبع المنهاج ظاهراً وباطناً)، (١٦) المعنون لها بـ(البراءة من مخالف المنهاج)، (١٧) المعنون لها بـ(البينة)، (١٩) المعنون لها بـ(التركية).

فتكون التربية في جميع جوانبها: في أصولها، ومنهجها، ووسائلها، وطرقها؛ قائمة على هذه الأصول.

قال ابن تيمية: "فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها"^(١).

وقال ابن القيم - في شرحه جملة "العلماء ورثة الأنبياء" -: "وفيه أيضاً تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يرى الوالد ولده؛ فيربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كبارهم، وتحميلهم منه ما يطيقون كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه؛ فإن أرواح البشر بالنسبة إلى الأنبياء والرسول كالأطفال بالنسبة إلى آبائهم، بل دون هذه النسبة بكثير؛ ولهذا كل روح لم تربها الرسل؛ لم تفلح، ولم تصلح لصالحه"^(٢).

إن التربية النبوية القائمة على هدي القرآن وأصوله معين لا ينضب، ونهر جار، وكوكب سار، ومنهاج ونبراس لسعادة الناس، ولكن أكثر الناس - ومنهم المسلمون للأسف - لا يعلمون.

ومن الأمثلة على ذلك ما قال الألباني: "من تربية نبينا وأخلاق سلفنا:

عن ربيعة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: كنت أخدم رسوله الله ﷺ، فأعطاني أرضاً، وأعطى أبا بكر أرضاً، وجاءت الدنيا فاختلطنا في عذق نخلة، فقال أبو بكر: هي في حد أرضي! وقلت أنا: هي في حدي! وكان بيني وبين أبي بكر كلام، فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها، وندم،

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ط ٢، (١٩٤/٣).

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط ١، (٦٦/١).

فقال لي: يا ربيعة! رُدَّ علي مثلها حتى يكون قصاصاً. قلت: لا أفعل. فقال أبو بكر: لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ. قلت: ما أنا بفاعل. قال: ورفض الأرض. فانطلق أبو بكر - رضي الله عنه - إلى النبي ﷺ، فانطلقت أتلوه، فجاء أناس من أسلم، فقالوا: رحم الله أبا بكر! في أي شيء يستعدي عليك رسول الله، وهو الذي قال لك ما قال؟! فقلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصديق، وهو (ثاني اثنين)، وهو ذو شيبة المسلمين، فإياكم يلتفت فيراكم تنصروني عليه؛ فيغضب، فيأتي رسول الله ﷺ، فيغضب لغضبه، فيغضب الله لغضبهما، فيهلك ربيعة. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ارجعوا. فانطلق أبو بكر - رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ، وتبعته وحدي، وجعلت أتلوه، حتى أتى النبي ﷺ فحدثه الحديث كما كان. فرفع إلي رأسه، فقال: "يا ربيعة! ما لك وللصديق؟"، قلت: يا رسول الله كان كذا، وكان كذا؛ فقال لي كلمة كرهتها؛ فقال لي: قل كما قلت لك حتى يكون قصاصاً. فقال رسول الله ﷺ: "أجل، فلا تَرُدَّ عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر! غفر الله لك يا أبا بكر!". قال: فولى أبو بكر - رحمه الله - وهو يبكي" (١).

وقال أيضاً: "التصفية والتربية:

وأردت بالأول منهما أموراً:

الأول: تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها؛ كالشرك، وجحد الصفات الإلهية وتأويلها، ورد الأحاديث الصحيحة لتعلقها بالعقيدة ونحوها.

الثاني: تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة، وتحرير العقول من آصار التقليد وظلمات التعصب.

الثالث: تصفية كتب التفسير والفقه والرقائق، وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات والمنكرات.

(١) أخرجه أحمد في المسند، (٥٨/٤ - ٥٩)، والطبراني في المعجم الكبير، (٥٨/٥)، (٤٥٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٥٨).

وأما الواجب الآخر: فأريد به تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكرنا؛ تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره دون أي تأثير بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا ريب فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهوداً جبارة مخلصة بين المسلمين كافة: جماعات وأفراد؛ من الذين يهمهم حقاً إقامة المجتمع الإسلامي المنشود؛ كلٌّ في مجاله واختصاصه" ^(١).

(١) الألباني، فقه الواقع، ص ٤٠-٤٢.

المبحث الثامن: إصلاح الواقع الدعوي.

المطلب الأول: الإصلاح المنهجي لهذا الواقع

وهذا الجانب له الحظ الأكبر من المجموعات الأصولية المذكورة: (١) المعنون لها بـ (الصراط المستقيم)، (٢) المعنون لها بـ (الهداية)، (٣) المعنون لها بـ (عدم الانشغال بالمنحرفين عن المنهاج)، (٦) المعنون لها بـ (اتباع الرسول)، (٨) المعنون لها بـ (القدوة)، (١١) المعنون لها بـ (الإصلاح بالصالح)، (١٢) المعنون لها بـ (الوحي)، (١٤) المعنون لها بـ (النذارة إنما تنفع من اتبع المنهاج ظاهرا وباطنا)، (١٦) المعنون لها بـ (البراءة من مخالف المنهاج)، (١٧) المعنون لها بـ (البيئة).

وإنما كان لهذا الجانب هذا الحظ من هذه الأصول؛ لأن الدعوة إلى الله تعالى هي دعوة إلى المنهاج كله، بجميع جوانبه.

قال ابن تيمية: "وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب؛ من باطن وظاهر؛ فمن الدعوة إلى الله الأمر به. وكل ما أبغضه الله ورسوله من باطن وظاهر؛ فمن الدعوة إلى الله النهي عنه.

لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله، ويترك ما أبغضه الله؛ سواء كان من الأقوال أو الأعمال الباطنة أو الظاهرة"^(١).

وقال ابن القيم: "فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد"^(٢).

وقال أيضا: "وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها؛ فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به، وإليه"^(٣).

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ١، (١٦٤/١٥).

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ط ١، (١٥٣/١).

(٣) المصدر نفسه، (١٥٤/١).

المطلب الثاني: وظائف الدعاة إلى الله تعالى

وظائف الدعاة ومهماتهم هي وظائف الرسل ومهماتهم؛ فعلى الدعاة أن يترسموها، ويسيروا عليها، إن أرادوا إصلاحاً.

ولقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية مهمة الرسل ووظائفهم، فمن ذلك:

١. البلاغ المبين:

وذلك بتلاوة النصوص التي أوحاها الله من غير نقصان ولا زيادة، فإذا كان الموحى به ليس نصاً يتلى، فيكون البلاغ ببيان الأوامر والنواهي، والمعاني والعلوم التي أوحاها الله من غير تبديل ولا تغيير.

ومن البلاغ أن يبين الرسول الوحي الذي أنزله الله لعباده، لأنه أقدر من غيره على التعرف على معانيه ومرامييه، وأعرف من غيره بمراد الله من وحيه.

٢. الدّعوة إلى الله:

لا تقف مهمة الرسل عند حدّ بيان الحقّ وإبلاغه، بل عليهم دعوة الناس إلى الأخذ بدعوتهم، والاستجابة لها، وتحقيقها في أنفسهم اعتقاداً وقولاً وعملاً.

وقد بذل الرسل في سبيل دعوة الناس إلى الله جهوداً عظيمة، وحسبك في هذا أن تقرأ سورة نوح؛ لترى الجهد الذي بذله على مدار تسعمائة وخمسين عاماً، فقد دعاهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، واستعمل أساليب الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وحاول أن يفتح عقولهم، وأن يوجهها إلى ما في الكون من آيات، ولكنهم أعرضوا: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

٣. التبشير والإنذار:

ودعوة الرسل إلى الله تقتزن دائماً بالتبشير والإنذار.

ولأنَّ ارتباط الدعوة إلى الله بالتبشير والإنذار وثيق جداً؛ فقد قصر القرآن مهمة الرسل عليهما في بعض آياته: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦].

وتبشير الرسل وإنذارهم دنيوي وأخروي.

ومن يطالع دعوات الرسل يجد أنَّ دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار؛ لأنهما مفتاح النفس الإنسانية، فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها، فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة؛ فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير.

إن بعض الذين لم يفقهوا دعوة الإسلام يعيرون على دعاة الإسلام أخذهم بالإنذار والتبشير، ويقولون: فلان واعظ، ويعيرون عليهم عدم فلسفتهم للأمور التي يدعون إليها، ويطالبون الدعاة بالكف عن طريقة الوعظ، وتخويف الناس وترغيبهم، وهؤلاء بحاجة إلى أن يراجعوا أنفسهم، وينظروا في موقفهم هذا، في ضوء نصوص القرآن وأحاديث الرسول التي تبين أسلوب الدعوة، وتوضح مهمة الرسل الكرام.

٤. إصلاح النفوس وتركيتها:

الله تعالى يخرج الناس بهذا الوحي الإلهي من الظلمات إلى النور: ظلمات الكفر والشرك والجهل إلى نور الإسلام والحق، وقد أرسل الله رسله بهديه؛ ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.

وإخراج الرسل الناس من الظلمات إلى النور لا يتحقق إلا بتعليمهم أوامر الله ونواهيه، وتركية نفوسهم بتعريفهم برحمهم وأسمائه وصفاته، وتعريفهم بملائكته وكتبه ورسله، وتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، ودلالته على السبيل التي توصلهم إلى محبته، وتعريفهم بعبادته: ﴿هُوَ الَّذِي

بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢].

٥. تقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة:

قد كان كلُّ رسول يدعو قومه إلى الصراط المستقيم، ويبينه لهم ويهديهم إليه، وهذا أمر متفق عليه بين الرسل جميعاً، ثم كلُّ رسول يقوم الانحراف الحادث في عصره ومصره.

فالانحراف عن الصراط المستقيم لا يحصره ضابط، وهو يتمثل في أشكال مختلفة.

وكلُّ رسول كان يُعنى بتقويم الانحراف الموجود في عصره.

٦. إقامة الحجّة:

كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فإرسال الرسل، ودعوة الدعاة هداية للمهتدين، وحجة على المعاندين الشاردين.

٧. سياسة الأمة:

فالذين يستجيبون للرسل يُكوّنون جماعة وأمة، وهؤلاء يحتاجون إلى من يسوسهم ويقودهم ويدبر أمورهم، والرسل يقومون بهذه المهمة في حال حياتهم، فهم يحكمون بين الناس بحكم الله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال النبي ﷺ: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي" (١).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (٣٣٤/٨)، (٣٤٥٥)، ومسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، (٤٧٢/٦)، (١٨٤٢).

وقال الله عن التوراة: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آسَلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [المائدة: ٤٤] .

فالرسل، وأتباعهم من بعدهم يحكمون بين الناس، ويقودون الأمة في السلم والحرب، ويُلَوِّنُ شُؤُونَ الْقَضَاءِ، ويقومون على رعاية مصالح الناس، وهم في كلِّ ذلك عاملون بطاعة الله، وطاعتهم في ذلك كله طاعة لله: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] .

ولن يصل العبد إلى نيل رضوان الله ومحبته إلا بهذه الطاعة.

ولذا فإنَّ شعار المسلم الذي يعلنه دائماً هو السمع والطاعة: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١] ^(١) .

(١) انظر: الأشقر، الرسل والرسالات، ط ٤، ص ٤٣-٥٧.

المطلب الثالث: توحيد صفوف الدعاة

وذلك أن الدعاة مجاهدون في سبيل الله؛ جهاد الكلمة واللسان ف مقابل جهاد السيف والسنان، بل ذلك النوع من الجهاد هو المقصود الأول لدعوة الإسلام.

قال محمد أمان الجامي - رحمه الله -: "على كل داعية؛ إذا كان ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم أن يسعى في أسباب توحيد صفوف الدعاة إلى الله بعيداً عن الأنانية، وحب الزعامة، وعشق المناصب، كما يسعى في منع أسباب التحيزات التي تؤدي إلى الخلافات والنزاعات الداخلية فتعرقل سير الدعوة، بل تؤدي إلى بلبلة العوام وأشباه العوام الذين يجهلون موقع الحق.

ولا يمكن بحال من الأحوال تحقيق الوحدة المنشودة والتي لا بد منها لنجاح الدعوة إلا بأمرين اثنين:

الأول: وحدة المصدر في معرفة (العقيدة الإسلامية) واعتماد ذلك المصدر وحده في بحث أي معنى من معاني العقيدة الإسلامية وعدم إغفاله، وبذلك تسلم عقيدة المسلم من الزيف والإلحاد والضلال وهذا المصدر هو الوحي، لا شيء ينافسه، وأما العقل فلا يكون، أساساً ولا يعطل، هكذا باختصار.

نقول هذا القول استناداً إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي"^(١)، وقوله عليه الصلاة والسلام: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، وإياكم ومحدثات الأمور" الحديث^(٢).

(١) أخرجه مالك في الموطأ بلاغا، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، (٢٨٠/٤)، (١٧٧٣)، والحاكم في المستدرک، کتاب العلم، (١٧٢/١)، (٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢٩٣٧)، وانظر: الصحيحة، (١٧٦١). وقال الهاللي: صحيح لغيره، ثم ذكر شواهده، ونقل عن ابن عبد البر قوله: "وهذا محفوظ مشهور عن النبي ﷺ - عند أهل العلم - شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد" / التمهيد، (٣٣١/٢٤).

(٢) سبق تحريجه من حديث العرياض رضي الله عنه، ص ١١٥.

فالخروج على هذا المصدر في معرفة العقيدة وأحكام الشريعة والتماس الحق والهدى والفلاح في غيره ضلال بيّن؛ لأن من سنة الله التي خلت في عباده أن من التمس الهدى في غير كتابه؛ فإن الله يضلّه ولا يهديه سبيلاً، وقد ورد في هذا المعنى أثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يتحدث عن القرآن إذ يقول: "من التمس الهدى في غيره أضله الله" (١).

الثاني: توحيد منهج العمل في سبيل الدعوة إلى الإسلام، ولا يوجد منهج أمثل وأصلح، بل لا يوجد منهج صالح غير منهج سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن اقتفى أثرهم وعمل عملهم؛ لأن واضح هذا المنهج هو رسول الهدى عليه الصلاة والسلام.

والرغبة عن منهجه تتنافى والإيمان به قطعاً، والذين نقلوه هم أولئك السادة الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وأهلهم للخلافة عنه عليه الصلاة والسلام، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وإخوانهم رضوان الله عليهم.

فهل يوجد مسلم يعتقد عدم صلاحية هذا المنهج؟! (٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، (٦١٢/٢)، والطبراني في الكبير، (٨٤/٢٠)، والبيهقي في البصائر، (٧١/٣)، والدارمي في السنن، (٥٢٦/٢)، وفي إسناده مجاهيل، وضعفه الألباني في الضعيفة، (٦٣٩٣).

(٢) الجامي، الحكم على الشيء فرع عن تصوره، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، م ١٤، ع ٥٥٤، ص ٢٨٤-٢٨٧. قلت: نعم - والله - يوجد من هؤلاء الكثير، وهم قائلون بذلك: إما بلسان المقال، وإما بلسان الحال، ويدل على هذا أن أتباع هذا المنهج قليلون جداً، وغرباء بين المسلمين، فضلاً عن غيرهم من الناس.

المطلب الرابع: أصول الدعوة إلى الله تعالى

استنبط صالح الفوزان من آية يوسف وهي قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] فوائد هي أصول في الدعوة إلى الله، فقال: " ففي هذه الآية الكريمة مسائل عظيمة:

المسألة الأولى: أن طريقة النبي ﷺ وطريقة أتباعه على الحقيقة: الدعوة إلى الله.

المسألة الثانية: أن من لم يدع إلى الله وهو يستطيع الدعوة إلى الله؛ فإنه لم يحقق اتباعه للرسول ﷺ، بل اتباعه فيه نقصٌ عظيم.

المسألة الثالثة: وهي المسألة التي نبه عليها الشيخ في مسائله: التنبيه على الإخلاص في الدعوة لقوله: (إلى الله) فإن بعض الناس إنما يدعو إلى نفسه، فالذي يقصد المدح والثناء وكثرة الأتباع وكثرة الجماعة وكذا وكذا والفخفخة، هذا لا يدعو إلى الله.

المسألة الرابعة:- وهي المسألة العظيمة:- أن الداعية إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة، مؤهلاً بالعلم النافع الذي يستطيع به أن يدعو إلى الله، وأن يجادل المغرضين والمعارضين، ويدحض حججهم بلسانه وبقلمه.....

فالدعوة ليست بالمسألة الهينة؛ ولذلك عندما حصل هذا الإهمال في الدعوة حصل ما ترون الآن من التفكك والتخاذل؛ لأن الدعوة دخل فيها ما هب ودب، من الجهال والمغرضين وأصحاب المطامع.

ولا تنجح دعوة لم تتوفر فيها الشروط الإلهية التي اشترطها الله تعالى، ولا يبقى إلا الأصلح دائماً وأبداً، ولو كثرت الجماعات الدعوية، ما دامت أنها ليست على الشروط التي اشترطها الله، والمنهج الذي رسمه الله ورسوله، فإنها لا تنجح مهما بلغت من الكثرة والقوة، وستتلاشى وتصاب بالنكسة والفشل.

أما إذا كانت مؤسسة على العلم وعلى الإخلاص والنصيحة، فهذه هي التي تنجح بإذن الله ولو كانت من فرد واحد.

المسألة الخامسة: أن الشرك نقص عظيم يجب تنزيه الله عنه؛ لأن الله عز وجل كامل، له الكمال المطلق. فمن أشرك به؛ فقد تنقصه. ومن نفى صفات الله عز وجل أو أولها؛ فقد تنقص الله عز وجل، فالمؤولة والمشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، أو يؤولون صفات الله، أو يلحدون في أسمائه، هؤلاء تنقصوا الله عز وجل، وهذا نقص ينزه الله جل وعلا عنه. ومن وصفه بما لا يليق به أو سماه بغير ما سمى به نفسه؛ فقد تنقصه. ومن حكم بغير ما أنزل؛ فقد تنقصه. ومن عصى أمره أو ارتكب نهيته؛ فقد تنقصه سبحانه.

المسألة السادسة: - وهي مهمة جدا-: البراءة من المشركين... فمن لم يتبرأ من المشركين؛ فإنه لم يحقق الدعوة إلى الله عز وجل، حتى وإن انتسب إليها، وهذه مسألة عظيمة^(١).

فهذه المسائل التي استنبطها الشيخ؛ لإصلاح الواقع الدعوي هي مبنية على هذا التفسير المنهاجي لهذه الآية، بما يبين كيف يستفاد من تفسير هذه الآيات المجموعة في هذه الرسالة منهجياً في إصلاح جوانب هذا الواقع.

وبهذا يكون الباحث قد انتهى مما وعد بالوفاء به- بحسب خطة هذا البحث- من جمع الآيات المنهاجية في القرآن الكريم وتناولها بالدراسة والبيان والتفسير المنهاجي، وبيان كيف يستفاد منها في إصلاح الواقع الإسلامي؛ بما يتبين للعقلاء أن الهداية إنما تكون بالوحي، لا بغيره. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين.

(١) الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ط ٣، (١/١٠١-١٠٥).

الخاتمة

أسفرت هذه الدراسة عن النتائج والمقترحات والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

١. التعريف بالمنهاج القرآني النبوي الصحابي، وأنه منهاج الإسلام، ومنهاج الوحي والقرآن، وأن ما سواه سبل وأهواء وفتن عمياء.
٢. أن للمنهاج القرآني جوانب عدة، وهي كاملة وشاملة لجميع مناحي الأمور التي يحبها الله ويرضاها: عقدية، وعملية، وفقهية، وأخلاقية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، ودنيوية، ودعوية، وغيرها. ففي كل منها جاء القرآن بمنهاج واضح بيّن.
٣. أن أسباب الانحراف عن المنهج القرآني تتلخص في: اتباع المتشابه، واتباع الهوى. وهذا هو الجهل والظلم.
٤. أن كثرة المصطلحات ذات الصلة بالمنهاج تدل على عظم هذا المنهاج، وأنه الأصل لصحة العمل: فمن كان عمله مبني على غير هذا المنهاج؛ فهو باطل زاهق. وبهذا تتبين أهمية هذا المنهاج ومكانته ومنزلته.
٥. أن هناك أئمة أعلام - من المتقدمين ومن المتأخرين - في بيان منهاج الحق المبين؛ وهؤلاء هم المرجع والمرد، وهم الراسخون في العلم الذين أمر الله تعالى برد الأمور إليهم.
٦. أن الآيات القرآنية المشتملة على المنهاج النبوي الصحابي كثيرة، وهي دالة على طريقة القرآن الكلية في البيان بحيث يتكون من مثل هذا النوع من الآيات أصول المنهاج القرآني.
٧. أن هذه الآيات هي آيات منهجية للمنهاج بمعناه الخاص في جانبه العام، وأنه الطريقة العامة للقرآن الصالحة للتطبيق على جميع الأمور، وجميع الجوانب الأخرى للمنهاج وهي الجوانب الخاصة.

٨. أنه اجتمع في هذه الرسالة من هذه الآيات المنهاجية مائة وعشرون أصلاً وقاعدة من قواعد المنهاج القرآني.

٩. تصنيف هذه القواعد والأصول في مجموعات أخرى جامعة. ومرّد هذه المجموعات إلى اتباع الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

١٠. أن إصلاح الواقع الإسلامي لا يحصل إلا بتطبيق المنهاج القرآني النبوي الصحابي في جميع جوانب المنهاج السابق ذكرها، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

١. يوصي الباحث ويقترح ببحثاً ورسائل في الآيات المنهاجية لكل جانب من جوانب المنهاج على حدة: مثلاً: "الآيات المنهاجية العقدية"، "الآيات المنهاجية العملية"، "الآيات المنهاجية الأخلاقية"، "الآيات المنهاجية السياسية"، ...

٢. يوصي الباحث ويقترح تلخيص واختصار الكلام حول هذه الآيات المنهاجية التي وردت في البحث، ووضع تراجم لها: هي الأصول التي تم استنباطها، وتدريسها وتعليمها للنشء؛ فيتخرج لنا جيل - بإذن الله - على المنهاج الصحيح، وتكون هذه المادة بعنوان "أصول المنهاج القرآني النبوي الصحابي".

٣. يوصي الباحث أهل العلم وطلابه بضرورة التأكيد على صحة المنهاج، وعدم المداينة في ذلك؛ فإن التهاون في ذلك كان سبباً في المحن والفتن التي اكتوت بها الأمة الإسلامية.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية على ترتيب السور والآيات

سورة الفاتحة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٢ - ٤	٨٩
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾	٥	٨٩
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	٦ - ٧	٢، ٤٧، ٨٤
		١٢٠، ٨٩
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾	٧	٤٢

سورة البقرة

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أُولَئِكَ نَجْزِي عَذَابًا ﴿١﴾﴾	١ - ٥	٩٢، ٩٥، ١٧٧
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٢	١٧٧
﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾	٥	٢٨٢
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	١٧ - ٢٠	١٦٣
﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٢٠١
﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	١٨٢
﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٢٣﴾﴾	٦٣	٧٣
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾	٨٣	٦٤
﴿أَفْتَوْهُمْ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٨٥	١٠٥، ١٥٠
		٣٣٦، ٣٢١
﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠	١١٣
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾	١٢١	٢٠٧، ٢٠٦
﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾	١٣٧	٩٥، ٤٣
﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾	١٣٨	٣٨

٩٦	١٤٢	﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ ﴾
٩٦	١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾
٩٧	١٤٨	﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾
٦٢	١٥٣	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾
٩٨	١٦٨	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا ﴾
٩٩	١٧٧	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾
١٠١، ١٠٠	١٨٦	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾
١٠٢	١٨٩	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ﴾
١٠٢	١٩٥	﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾
١٧٠، ٥٣	١٩٧	﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ﴾
١٠٤، ٧٤، ٥٣	٢٠٨ - ٢٠٩	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ ﴾
١٠٥، ٤٩	٢١٣	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ ﴾
١٠٦		
١٩٩	٢١٧	﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾
١٠٧	٢١٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ﴾
٦٢	٢٣٨	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾
٢٦٧	٢٥٧	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ ﴾
٦٢	٢٧٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾
٢٦٨	٢٨٥	﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

سورة آل عمران

١٠٨، ٧٩	٧	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾
١١٠		
١٠٨	٨	﴿ رَبَّنَا لَا تُغِثْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾

١٧٣، ٥٦	١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾
٢١٤، ١١١	٣١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾
٣٥٧		
١١٢	٥١	﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾
١١٣	٧٣	﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾
١١٤	١٠١	﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾
١	١٠٢	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾
١١٥	١٠٢ - ١٠٥	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾
١٤٦، ٧٥، ٣	١٠٣	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
١٩١	١٠٦	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾
١١٨، ٥٠	١١٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾
٣١٨		
٦٨	١٢١	﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ ﴾
٦٠	١٣٠	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ ﴾
١١٩	١٦٢	﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾
١١٩	١٦٤	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾
١٢٠	١٨٧	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾

سورة النساء

١	١	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ ﴾
١٢١، ٦٦	٢٦ - ٢٨	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾
٧٤	٣٦	﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾
١٩٥	٥٣	﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَالِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴾
٧٢	٥٨ - ٥٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

٥٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ﴾	١٢٢، ١٢٤
		٢٣٩، ٢٤٠
		٣١٦
٦٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾	١٢٤، ١٩٩
		٢١٤، ٣١٣
		٣٦٣، ٣٦٥
٨٠	﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	٣٧٥
١٠٥	﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾	١٧٧، ٢٠١
١١٣	﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	٢٥٩
١١٥	﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾	١٢٥، ١٢٧، ١٢٨
١٦٥	﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾	٣٧٤
١٦٦	﴿لَكِنْ اللَّهُ يُشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾	١٧٦
١٧١	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾	٧٥
١٧٤ - ١٧٥	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	١٢٩

سورة المائدة

٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾	٦٠
١٥ - ١٦	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾	٣٤٢
١٦	﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾	٤٧
٤٤	﴿وَمَنْ لَّمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	٣١٥، ٣٧٥
٤٨	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾	١٣، ١٧
		١٨، ٢٠، ١٩
		٩٨، ١٨٣، ٣٧٤
٤٩	﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾	٣٠١، ٣١٤
٥٠	﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾	٤٣، ٣١٥
٤٨ - ٥٠	﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	١٣٠

٣٠٣	٦٣	﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمَا﴾
٢٧٣، ٢٧٢	٦٦	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾
٧٥	٧٧	﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾
سورة الأنعام		
٣١٦	١٤	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
١٥٤	٣٩	﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ﴾
١٢٨	٥٥	﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾
٤٢	٨٧ - ٩٠	﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾
١٣٣، ١٢١	٩٠	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾
٣١٢		
١١٣	٧١	﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الَّذِي هُوَ الْهَادِي وَأَمَرْنَا لِنُسْلِمَ﴾
٢٥٠	١٠٦	﴿أَتَبِعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
٢٥٢، ١٧٦، ١٥٥	١١٥	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾
٤٥	١١٦	﴿وَلِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾
٢٠٤	١١٩	﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
١٨٥	١٢١	﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾
١٥٤، ٧٣	١٢٢	﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾
٤٨	١٢٤	﴿لَنْ تُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْفَى مِثْلَ مَا أُوفِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾
٣٨	١٣٥	﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾
٤١، ٣٥، ٢	١٥٣	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾
١٣٣، ٩٤، ٨٨		
١٧٠، ١٣٥		
١٨١		
١٤٦	١٥٥	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ ١٥٩ ١٣٦

سورة الأعراف

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ ﴾ ٣ ٣٥٩، ١٤٦، ١٣٨
 ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُنْ ﴾ ٢٦ ١٧٠، ٥٣
 ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ ٩٦ ٢٧٣، ٢٧٢
 ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي ﴾ ١٤٢ ٣٦٦، ٥٢
 ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ١٤٥ ٢٣٣
 ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ ١٥٧ ١٠١
 ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ١٥٨ ١٣٩
 ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا ﴾ ١٦٤ ٣٠٠
 ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ ١٧٠ ١٣٩، ٥١
 ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ ١٧٢ - ١٧٤ ٥٥
 ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ١٩٩ ٦٥

سورة الأنفال

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ١ ٦٠
 ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ ٢٣ ١٥٣
 ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ٢٤ ١٤١
 ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ ﴾ ٥٣ ٢٩٥

سورة التوبة

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ ٣١ ١٤٢
 ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ٣٢ ١٤٢
 ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ ٣٣ ٢٥٣، ١٤٢
 ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ ﴾ ٣٤ ٣٠٢

﴿وَالسَّيْفُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ ٩٣ ١٠٠

سورة يونس

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ ٣٩ ٢
 ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ ١٠٦ ١٩
 ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ ١٤٤ ٣٢
 ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ ١٤٤ ٣٥-٣٦
 ﴿أَنْتُمْ بَرِيضُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٩٠، ٢٨٩ ٤١
 ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ ١٤٦، ١٤٥ ١٠٩

سورة هود

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ﴾ ٣٥٠ ١٥-١٦
 ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَبِينَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ ٢٦٣، ١٤٨، ١٤٧ ١٧
 ﴿مِثْلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ﴾ ٢٢٣، ١٥٣، ١٤٨ ٢٤
 ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ ٢٨٤ ٥٣
 ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ ١٧٣، ١٥٥، ١٥٤ ٥٦
 ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ ط، ٢، ١٥٥ ١١٢
 ٢٣٨، ١٥٧

سورة يوسف

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ٣١٧ ٤٠
 ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ ١٦٠، ٦٩، ٤١ ١٠٨
 ٣٧٨، ٣٠٨، ٣٠٧
 ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ٥٨ ١١١

سورة الرعد

٢٩٥	١١	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
١٥٢	١٧	﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾
٢٢٠ ، ١٦٣ ، ١١٩	١٩	﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾

سورة إبراهيم

٢٦٧	١	﴿كِتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾

سورة الحجر

٢٦٧	٩	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠	٤٢-٤١	﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

سورة النحل

٣٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١	٩	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾
٣٣	١٥	﴿وَأَنْهَرَا وَسُبُلًا﴾
٥٦	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾
١٧٢ ، ١٧١	٤٣-٤٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾
٨٢ ، ٢٦٨	٤٤	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾
٣٤٢	٦٤	﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾
١٧٢ ، ١٥٥	٧٦	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾
٣٤٩	٩٧	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ١٢٣ ٢٨

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ١٢٥ ٦٩

سورة الإسراء

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ٩ ١٧٥ ، ١٧٤ ، ٤٣

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ١٥ ٣٧٤

﴿ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا تَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ ١٨ ٣٥٠

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ ٢٣ ٢٩٠

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ ﴾ ٧٤ ١٨٧

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ ٨٠ ٣٨

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ ٨١ ١٧٧

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ ٨٤ ٢٨٩

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا ﴾ ٨٨ - ٨٩ ٤٥

﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ ١٠٠ ١٩٥

﴿ وَيُلْحِقِ أَنْزَلْنَاهُ وَيُلْحِقَ نَزْلُ ﴾ ١٠٥ ١٧٦

سورة الكهف

﴿ وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ ٢٦ ٢٤٠

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ﴾ ٢٩ ٢٨٩

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ٤٦ ٦٣

٣٧٣	٥٦	﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾
١٧٨ ، ٣	١٠٣ - ١٠٤	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ ﴾
١٧٩ ، ١٨٠ ، ٣٥٨ ، ٢٤٠	١١٠	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ ﴾

سورة مريم

٧٣	١٢	﴿ يَبْحِثُ خُذِ الْكِتَابَ يَفُوقَ ﴾
١٨١	٤٣	﴿ يَتَأْتِبَنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾

سورة طه

٣٥	٦٣	﴿ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿٦٣﴾ ﴾
٣٥	٧٧	﴿ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ ﴾
١٨٢ ، ٩٥ ، ٦٧	١٢٣ - ١٢٤	﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ ﴾

سورة الأنبياء

٢٢١	١٨	﴿ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾
١٩٥	٢٢	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾
٥٦	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا ﴾
١٨٣ ، ٤١	٩٢ - ٩٣	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ ﴾
١٨٣	٩٣	﴿ وَنَقَطَ عَمَّا أَمَرُهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾

سورة الحج

١٨٥	٣	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ ﴾

١٨٥	٨	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ﴾
١٨٦، ١٨٨	٥٥ - ٥٢	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾
١٨٩	٦٧	﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾
١٨٩	٦٨	﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾
٦٠	٧٧	﴿ يَتَأَيَّدُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾

سورة المؤمنون

١٨٣، ٤١	٥٢ - ٥١	﴿ يَتَأَيَّدُهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ﴾
١٩١	٥٣ - ٥٢	﴿ وَإِنَّ هَذِهِ ءُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾
٣٠٥، ١٨٤	٥٣	﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾
٢٣٣	٦٨	﴿ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾
١٩٤، ٥١	٧١	﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾
١٩٦	٧٤ - ٧٣	﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾
١٩٦	٩٠	﴿ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

سورة النور

١٧٨	٣٩	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾
٣١٥	٥١ - ٤٧	﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾
٣٧٥	٥١	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

٥٤	﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾	٢٨، ٢٩، ٤٨، ٣٤٠
٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٣٠٨
٦٣	﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ لِيُنْزِلَ عَلَيْكُمْ كُدُوعًا بَعْضُكُمْ﴾	٦٨، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٦، ٣٦٣

سورة الفرقان

٢٣	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	١٧٨
٢٧	﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي﴾	٢١٦

سورة الشعراء

٧٢-٧٣	﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يضُرُّونَ﴾	٨٠
٧٤	﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾	٨٠
٨٤	﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾	٣٩

سورة القصص

٢٢	﴿قَالَ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾	٣٤
٥٠	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾	١٤٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٦٠
٥٥	﴿لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾	٢٩٠
٦١	﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ﴾	١١٩
٧٧	﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾	٧١

﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ ٨٧ ٢٠٤

سورة العنكبوت

﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ٢ ٢٨٤

﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ ٤٥ ٢٠٦

﴿ بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ٤٩ ٢٠٧

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ ٥١ ٤٥

سورة الروم

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ٧ ٣٠٣

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ﴾ ٣٠-٣٢ ٤٩، ٥٥، ٢٠٩، ٢٦٣، ٢١٠

﴿ مِّنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ﴾ ٣٢ ١٥٦

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ ٤١ ٣٤١

سورة لقمان

﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ ١٥ ٢١١، ٢١٢

سورة السجدة

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ ١٨ ١٥٤

سورة الأحزاب

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ٣-١ ٢١٣

٢١٣، ١٤٦	٢	﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾
٤٣	٤	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۚ ﴾
٢٦٥، ٢١٣	٢١	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
٢١٦، ٢١٤	٣٦	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ﴾
٢١٨، ٢١٦	٦٧ - ٦٦	﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا ﴾
١	٧١ - ٧٠	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

سورة سبأ

٢٢٠، ٥٦	٦	﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾
٢٢١	٥٠ - ٤٨	﴿ قُلْ إِنِّي رَجِيْ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّمَ الْغُيُوبِ ﴾
٣٧٩، ٢٢٢	٥٠	﴿ وَإِنْ أَهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

سورة فاطر

٢٢٣، ١٥٤	٢٤ - ١٩	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ ﴾
٢٧٥	٢٨	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
٢٢٤	٣٢ - ٣١	﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ ﴾

سورة يس

٢٢٥	١١	﴿ إِنَّمَا نُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ ﴾
٢٢٩	٢١ - ٢٠	﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْفَوْر ﴾

سورة الصافات

﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣٧) ٣٧ ٢٣٠

﴿ وَءَايَاتُهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ ١١٧ - ١١٨ ٢٣٠

سورة ص

﴿ أَمَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ ﴾ ٢٨ ١٥٣

سورة الزمر

﴿ أَمَنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ﴾ ٩ ١٥٤

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ (١٤) ١٤ - ١٥ ٣٤٩

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ ١٧ - ١٨ ٢٣٢

﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾ ٢٣ ٢٣٣

﴿ قُلْ يَتَقَوَّمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ ﴾ ٣٩ - ٤١ ٢٣٤

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ٥٥ ٢٣٣

سورة غافر

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَتَقَوَّمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ ﴾ ٣٨ ٢٣٦

سورة فصلت

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ ﴾ ٦ ١٦١، ٤٠

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦) ٦ - ٧ ٢٧٥

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ ٢٦ ٢٠٥

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا ﴾ ٣٠ - ٣١ ٢٣٧، ١٥٧

٦٩	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾
٣٤٦	٤٢	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾
٥٧	٥٣	﴿سَتْرِيهِمْ أَإِتَيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

سورة الشورى

١٢٢، ١٢٥، ٢٣٩، ٢٤٠	١٠	﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾
١٢١، ١٣٤، ٢١٢	١٣	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾
٢٤١	١٥	﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾
٢٤٢، ٢٤٣	٢١	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾
	٤٨	﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَعُ﴾
٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٧، ٣٤١	٥٢	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾
٤١، ٢٤٤	٥٣	﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
٢٤٨	٥٢ - ٥٣	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾

سورة الزخرف

٢٨٥	٣ - ٥	﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
٣٣	١٠	﴿وَجَعَلْ لَكُمْ فِيهَا مَسَاجِدَ﴾
٢٤٧	٢١ - ٢٥	﴿أَمْ أَنْتُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾
١٨٤، ٢١٤	٢٢	﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

٨٠	٢٢ - ٢٤	﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾
١٩٥	٣١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَيْنِ عَظِيمٍ ﴾
١٩٥	٣٢	﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾
٣٣	٣٧	﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾
٢٤٨	٤٣	﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ^ط إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾
٥٦	٤٥	﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾

سورة الجاثية

٢٥٠، ٢٤٣، ١٨	١٨ - ١٩	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾
٢٥١		
١٥٣	٢١	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ ﴾

سورة الأحقاف

٢٥٢، ٢٣٨، ١٥٧	١٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾
٢٥٢	٣٠	﴿ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾

سورة محمد

٢٥٤	١٤	﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَلِينَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾
١٤٤	٢٢	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

سورة الفتح

٢٥٥	٢٨	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾

سورة الحجرات

٣١٢، ٢٥٦، ٢٠٢	١	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
٢٥٧	٢	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾
٦٥	١٥ - ١٤	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾

سورة ق

١٤٤	٥	﴿بَلْ كَذَّبُوا بِآلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

سورة الذاريات

٥٩	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

سورة النجم

١٨٦	١	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾
٢٥٨	٥ - ٢	﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾
١٨٧، ١٣٨	٤ - ٣	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾
١٨٦	٢٠ - ١٩	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةِ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾
٢٦١	٢٣	﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾
٢٦٠	٢٤ - ٢٣	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾
٢٦٢	٣٠ - ٢٨	﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾

سورة القمر

٣٩	٥٥ - ٥٤	﴿إِنَّ لِلنَّاقِثِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾

سورة الرحمن

٢٦٣	٧	﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾
		سورة الحديد
٢٦٣	٢٥	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾
		سورة الحشر
٢٤٤، ٢١٤، ٢٤٤	٧	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رُسُلًا فَخُذُوا مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
٣٥٧، ٣٤٩		
		سورة الممتحنة
٢٦٥	٤	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾
٢٦٥	٦	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾
		سورة الصف
٢٦٦	٩	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾
		سورة الجمعة
٣٧٤	٢	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾
		سورة الطلاق
٢٦٨، ٢٦٧	١١ - ١٠	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾
		سورة الملك
١٨٠، ٦٢	٢	﴿لِيَبْلُوكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
٧١	١٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾
٢٦٩	٢٢	﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾

سورة القلم

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۚ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٦) ١٥٣ ٣٥ - ٣٦

سورة الحاقة

﴿ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۚ ﴾ (٤٤) ١٨٧ ٤٤ - ٤٦

سورة الجن

﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا ﴾ ٢٧٠ ٢ - ١

﴿ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴾ ٢٧٠ ١١

﴿ وَالْوَلَوِ اسْتَقَمُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴾ (١٦) ٢٧٢ ١٦

﴿ وَالْوَلَوِ اسْتَقَمُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴾ ١٨ ١٦ - ١٧

سورة المدثر

﴿ وَيَا بَاكَ فَطَهِّرْ ۚ ﴾ (٤) ٢٧٤ ٥ - ٤

سورة القيامة

﴿ اِيْحَسِبُ الْإِنْسَنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (٣٦) ٢٨٥ ، ٢٨٤ ٣٦

سورة النازعات

﴿ قُلْ هَلْ لَّكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ ۚ ﴾ (١٨) ٢٧٥ ١٨ - ١٩

سورة عبس

﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۚ ﴾ (١٣) ٢٨٣ ١٣ - ١٦

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۚ ﴾ (٢٠) ٢٣ ٢٠

سورة التكويد

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ٢٧٧ ٢٨ - ٢٦

سورة الطارق

﴿ إِنَّهُمْ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ ﴿١٤﴾ ﴾ ٢٧٩ ١٤ - ١٣

سورة الأعلى

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ ﴾ ٢٨١ ، ٢٨٠ ١٤

سورة الغاشية

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ ١٧٨ ٤ - ٢

سورة الشمس

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ ﴾ ٢٨٠ ، ٢٧٤ ١٠ - ٩
٢٨١ ، ٢٩٣
٣٢٦ ، ٣٣٥

سورة الليل

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ ﴾ ١٦٧ ، ١٦٦ ١٣ - ١٢

سورة العلق

﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ ﴾ ٢٨٢ ١٢ - ١١

سورة البينة

﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾ ٢٦٨ ١

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ ﴾ ٢٨٣ ٤ - ١

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ ٢ ٢٦٨

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ٥ ٣٤٩

سورة العصر

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ٣-١ ٢٨٧

سورة الكافرون

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ ٦ ٣١٧، ٢٩٠، ٢٨٩

فهرس الأحاديث المرفوعة (القولية)

رقم الصفحة	طرف الحديث
١٩٢، ١٩٣	أبهذا أمرتم
٢٨٩	إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ (قل يا أيها الكافرون)
١٠٩	إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه
١٥٩	استقيموا ولن تُحْصُوا
١٣٧	أصدق الحديث كتاب الله
١٩٢	اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم
٢٥٨	اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما خرج مني إلا حق
٣٥٢	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً
١٤	أَمَّا الطَّرِيقُ الَّذِي رَأَيْتَ عَلَى يَسَارِكَ
٢٦٤، ٢٤٤	أمرنا رسول الله ﷺ أن نضرب بهذا من خرج عن هذا
٧٦	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس
١٨٣	نحن معشر الأنبياء
٢٥٨	إنما أقول ما أقول
٢٥٩	إني لا أقول إلا حقاً
١١٥	أوصيكم بتقوى الله
٢٩٨	أول ما يرفع من الناس الأمانة
٢٩٨	أول ما يرفع من الناس الخشوع
٧٥	إياكم والغلو في الدين
٢٠١	تراني أرضى وتأبى
٣٧٦	تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً
١٣٥، ١٣٤، ٩٤، ٣٤	خط خطأً مستقيماً، وقال: هذا سبيل الله، ...
٩٣	خير القرون القرن الذي بعثت فيهم

٢٤٣	خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ
١٥٦	شيتني هود
٨٨	ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً
١٠٩	فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه؛ فهم الذين عنى الله
٢٣٧ ، ١٥٨	قل آمنت بالله ثم استقم
٣٧٤	كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء
١٩١	لا تختلفوا فتختلف قلوبكم
٢	لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر
٢	لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع
٤٩	اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل
٢٢٥	اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة
٢٥٩	ما أخبرتكم أنه الذي من عند الله، فهو الذي لا شك فيه
٢٠٩	ما أنا عليه اليوم وأصحابي
١٣٥	ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به
٣٥٢	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم
٣٠٥	من اقتراب (وفي رواية: أشراف) الساعة أن ترفع الأشرار
٣٧٧	من التمس الهدى في غيره أضله الله
٣٤٨ ، ١١١	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد
٣٥٢	المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص
٢٩٨	هذا أوان رفع العلم
١٣٧	هم الخوارج
٢١٤	والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم
٩٠	والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم
١٣	وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء

يا ربعة! ما لك وللصديق؟
يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم
اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون

٤٦٩

١٩٣

٩٤

فهرس الآثار الموقوفة

رقم الصفحة	الصحابي	طرف الأثر
٢٤	ابن مسعود	اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم
١٥٨	عثمان بن عفان	استقاموا: أخلصوا العمل لله
١٥٨	علي بن أبي طالب	استقاموا: أدّوا الفرائض
١٣٧	ابن مسعود	أصدق الحديث كتاب الله
١٧٢	ابن عمر	أقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين
١٩٣	علي بن أبي طالب	اقضوا كما كنتم تقضون
١٥٧	أبو بكر الصديق	ألاً تشرك بالله شيئاً
٢١	عثمان	ألا وإني متبع ولست بمبتدع...
٢٠	عثمان	أما بعد فإنكم إنما بلغت ما بلغت بالاعتداء...
١٣٤	ابن عباس	أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف
١٨٨	حذيفة	إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال
١٥٧	عمر بن الخطاب	أن يستقيم على الأمر والنهي...
٢٩٧	ابن مسعود	إنكم في زمان: كثير فقهاؤه، قليل خطبائه
١٠٣	أبو أيوب	إنما تأولون هذه الآية هكذا
١٢٨	عمر بن الخطاب	إنما تنقض عرى الإسلام
٢٤٩	أبو بكر	إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصى ربه وهو ناصره
٢٠٥	ابن عباس	إياكم والرأي، فإن الله رد على الملائكة الرأي
٢٦	ابن مسعود	أيها الناس لا تبتدعوا ولا تنطعوا ولا تعمقوا
٢٤	عمر	أيها الناس، قد سُنّت لكم السنن...
١٢٠	ابن عباس	تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه
١٨٥	ابن عباس	تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه
	الصحابي	طرف الأثر

١٩٧	عمر بن الخطاب	رجالان من أصحاب النبي ﷺ اختلفا
١٦	أبو الدرداء	صدق والله رسول الله ﷺ، تركنا على مثل البيضاء
٢٧، ١٩	أبي بن كعب	عليكم بالسبيل والسنة
٢٤	عمر	فإن يك محمد ﷺ قد مات...
١٧٦	أنس بن مالك	كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران؛ ...
٢٩١	أبو مدينة الدارمي	كان الرجالان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا
١٠٩	ابن عباس	كان بين نوح وآدم عشرة قرون
١٧٤	عثمان، وابن مسعود	كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات
٢٩٩	أنس	لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة
١٩٢	عمر بن الخطاب	لا تختلفوا؛ فإنكم إن اختلفتم
٢٥٦، ٢٠٢	ابن عباس	لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة
٣	سعد بن أبي وقاص	لا. هم اليهود والنصارى ...
ط، ٢٤	أبو بكر	لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به...
١٩٨	ابن مسعود	لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم!
٣١٥	ابن عباس	ليس الكفر الذي تذهبون إليه
٢١	علي	ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد
٣٤٨	ابن مسعود	ما هذا الذي أراكم تصنعون
١٨٢	ابن عباس	من قرأ القرآن واتبع ما فيه؛ عصمه الله
٩٣	ابن مسعود	من كان منكم مستناً؛ فليستن بمن قد مات
٣	علي بن أبي طالب	هم الحرورية
٢٣	عمر	والذي نفس عمر بيده لئن خالفتكم عن سنتهم
٢١	عمر	وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم...
٢٠١	ابن عمر	يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة

٢٠١	عمر بن الخطاب	يا أيها الناس اتهموا الرأي على الدين
٣٣٥	عائشة	يا بُني هل عملت بعد بما سمعت مني؟
٩٤ ، ٢١	حذيفة	يا معشر القراء استقيموا
٢٢	حذيفة	يا معشر القراء اسلكوا الطريق
١١٠	ابن عباس	يؤمنون بحكمه، ويضلون عند متشابهه

فهرس الأقوال المنهجية للأئمة الأعلام

رقم الصفحة	اسم القائل	طرف القول
٣٦٢	أحمد بن حنبل	الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه
٢٠١	أحمد بن نصر	أترى على وسطي زنارا
٣٦١	الشافعي	أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة
٢٠٢	مالك	أخاف عليه من الفتنة
١٨٠، ٦١	الفضيل بن عياض	أخلصه وأصوبه
١١٢	الحسن البصري	ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية؛
٣٦١	الشافعي	إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي ﷺ
٣٦١	أبو حنيفة	إذا صح الحديث فهو مذهبي
٣٦١	الشافعي	إذا صح الحديث فهو مذهبي
٣٥٩	أبو حنيفة	إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول
٣٦١	الشافعي	إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ
٣٤٠	الحسن البصري	أرى قولاً، ولا أرى فعلاً
١٥٨	الحسن البصري	استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، ...
١٥٨	مجاهد	استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله،
١٥٨	بعضهم	استقاموا على محبته وعبوديته
٢٨	النَّصْرَابَازِي	أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة
١٩٩	أحمد بن حنبل	أعجب لقوم سمعوا الحديث
٢٢٠	مجاهد	أفضل العبادة الرأي الحسن
٣٦١	الشافعي	أنتم أعلم بالحديث والرجال مني
٣٦١	مالك	إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي
٢٤	عمر بن عبد العزيز	إني أحذركم ما مالت إليه الأهواء والزيغ البعيد

٢٤	عمر بن عبد العزيز	أيها الناس إنه ليس بعد نبيكم نبي
٢٤	سعد بن إبراهيم	بل أرد قضاء سعد ابن أم سعد، وأنفذ قضاء رسول الله
٣٥١	إبراهيم النخعي	تركت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري
٢٣	أبو العالية	تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه...
٢٠٠	بلال بن سعد	ثلاث لا يقبل معهن عمل: الشرك، والكفر، والرأي
٣٦٢	أحمد بن حنبل	رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة
١٢٧	عمر بن عبد العزيز	سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا
٢٦	أبو الحسين الوراق	الصدق: استقامة الطريق في الدين، واتباع السنة
٨٦	الحسن، وأبو العالية	الصراط المستقيم: رسول الله ﷺ وصاحبه
٢٥	أبو علي الجوزجاني	الطرق إلى الله كثيرة، وأوضح الطرق
٢٧	الجنيد	الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على
٢٨	أبو بكر الطمستاني	الطريق واضح، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا
٣٦١	الشافعي	كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي
٤٨	سهل التستري	كل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس
٣٦١	الشافعي	كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي
٣٦٠	الشافعي	كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ
٤٨	أبو عمرو بن نجيد	كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة؛
٢٠٠	سعيد بن جبير	لا أراك تعرض في حديث رسول الله ﷺ
٢٣	أبو قلابة	لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم
٣٦١	أحمد بن حنبل	لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء
٣٦١	أحمد بن حنبل	لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي
٣٥٩	أبو حنيفة	لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم
٢٦	أبو الحسين الوراق	لا يصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه
١٩٩	مالك	لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها

٣٥١	إبراهيم النخعي	لأننا لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة
١٩٩	أحمد بن حنبل	لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء
٤٤	الشافعي	لو أخذ الناس بها؛ لكفتهم
٣٦٠	مالك	ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله
٣١	إبراهيم الخواص	ليس العلم بكثرة الرواية
٥٢	بعضهم	ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه
٣٦٠	الشافعي	ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ
٢٧	الجنيد	مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة
٢٧	أبو عثمان الحيري	من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً؛
	(النيسابوري)	
٣٦٢	أحمد بن حنبل	من رد حديث رسول الله ﷺ؛ فهو على شفا
٢٥	أبو علي الجوزجاني	من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة
٢٨	أبو حمزة البغدادي	من علّم طريق الحق؛ سهل عليه سلوكه
٢٦	أحمد بن أبي الحواري	من عمل عملاً بلا اتباع سنة؛ فباطل عمله
٢٦	أبو حفص الحداد	من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت
١٦٠	ابن زيد	هذه سبيلي: هذا أمري وسنتي ومنهاجي
٣٥٩	أبو حنيفة	ويحك يا يعقوب لا تكتب كل ما تسمع

فهرس الأعلام

الاسم	رقم الصفحة
الآجري	٣٤٣، ٣٤٢
الآلوسي	٢٧٨، ٢٦١، ٢٤٠، ٢٣٥، ٢١٥
إبراهيم الخواص	٣١
إبراهيم النخعي	٤٠٥
أبي بن كعب	٢٨٧، ١٩٦، ٢٧
أحمد بن حنبل	٩٤، ١٢١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٦٢، ٢٦٣
	٣٦٢، ٣٢١
أحمد بن أبي الحواري	٣٠
أحمد بن سليمان النجاد	٢٧٥
أحمد الصاوي	١٦٩
أحمد بن نصر	٢٠٥
الأزهري	١٤
أسامة بن لادن	٣٢٩
أبو إسحاق الشيرازي	٣٥٤
أسلم بن سهل	٢٧٥
أسلم أبو عمران	١٠٧
أبو الأعلى المودودي	٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٢، ٣٢٠، ٣١٩، ٣٠٧
الأعمش	٢٧٥، ٤١
الألباني	١٠٧، ١١٠، ١٣٨، ٣٣٥، ٣٥٥، ٣٩٥
	٤٢٣، ٤١٣، ٣٩٧
أبو أمامة	٢٦٢، ١٤١، ١١٤

١٥٣	ابن الأنباري
٣٤٠ ، ١٨٠ ، ٩٥	أنس بن مالك
٤١٦ ، ٣٣٩	الأوزاعي
١٠٨ ، ١٠٧	أبو أيوب الأنصاري
٢٧	أيوب السختياني
حرف الباء	
٣٦٣	الباقوري
٣٢١ ، ٣	البخاري
٢٦٣	البنزار
٣٣٥	البشير الإبراهيمي
٣٤٠ ، ١٠٣ ، ٢٤	ابن بطة
ط ، ٢٤ ، ١٦١ ، ١٩٦ ، ٢٥٣ ، ٤٢٣ ،	أبو بكر الصديق
٤٢٤	
٣٢	أبو بكر الطمستاني
٩٠	بكر بن عبد الله المزني
٢٠٤	بلال بن سعد
٤١١	البيهقي
حرف التاء	
٣٠٧	توماس أرنولد
٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ،	ابن تيمية
٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ،	
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٠ ،	
١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ،	
١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ،	

١٥٣، ١٥٢، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٧، ١٤٣
 ١٧٩، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٠، ١٦٦، ١٥٧
 ١٩٩، ١٩٤، ١٩٢، ١٨٨، ١٨٤، ١٨٣
 ٢١٩، ٢١٦، ٢١٤، ٢١٠، ٢٠٧، ٢٠٢
 ٢٤٢، ٢٣٧، ٢٢٧، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢١
 ٢٥٨، ٢٥٤، ٢٤٩، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٤
 ٢٧٢، ٢٦٧، ٢٦٥، ٢٦٣، ٢٦١، ٢٥٩
 ٢٨٧، ٢٨٥، ٢٨٣، ٢٨١، ٢٧٩، ٢٧٥
 ٣١٢، ٣١٠، ٢٩٣، ٢٩١، ٢٨٩، ٢٨٨
 ٣٧٠، ٣٥٦، ٣٥٢، ٣٣٣، ٣٢٦، ٣٢٤
 ٣٧٢، ٤٢٣، ٤٠٦، ٣٩٥، ٣٩٢

حرف الجيم

٢٠٥
 ٢٦٨، ٢٤٨، ٩٠
 ١٧٨، ١٧٧، ١٧٥، ١٦٤، ٨٨، ٤٢
 ٢٣٨، ٢٣٦، ٢٢٨، ٢١٥، ١٨٥، ١٨٢
 ٢٦٠، ٢٥٦، ٢٥٤، ٢٥٢، ٢٤٥، ٢٤٣
 ٢٨٣، ٢٧٨، ٢٧٥، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧١

١٣٥

٣٥٢، ٤١

١٤

حرف الحاء

١٧٠

٣٥٧

جابر بن زيد
 جابر بن عبد الله
 ابن جرير الطبري

جنكزخان
 ابن الجوزي
 الجوهري

ابن أبي حاتم
 ابن الحاج

٣٥٧، ٣٥٤، ٣٥٢، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٢	أبو حامد الغزالي
٤١٠، ٢٣، ٢١، ٢٢	ابن حجر العسقلاني
١٩٢، ٩٨، ٢٤	حذيفة بن اليمان
٣٣٥، ٣٣٠	أبو الحسن الأشعري
١٧٣، ١٧٢، ١٦٢، ١١٦، ١١٥، ٢٨	الحسن البصري
٣٤٠، ٢٨٥، ٢٧٥، ٢١١، ١٨٧	
٣١٤، ٣١٢، ٣١١، ٣١٠، ٣٠٩، ٣٠٨	حسن البنا
٣٦٣، ٣٦٢، ٣٣٦، ٣٢٨، ٣٢٧	
٣٠٧	أبو الحسن الندوي
٣٥٦	الخطاب
٣٠	أبو حفص الحداد
٢٠٤	حماد بن سلمة
٣٦٥، ٣٦٤، ٣٦٢، ٣٥٩، ١٢١	أبو حنيفة
٢٨٨، ١٠٨	أبو حيان
حرف الحاء	
٢٠٥	ابن خزيمة
١٧، ١٤	الخليل بن أحمد الفراهيدي
٣٥٤	خليل بن إسحاق
حرف الدال	
٢٥٨، ١٩٧، ١٦	أبو الدرداء
٤١٨	ابن دقيق العيد
٣٠٣	دنلوب
حرف الراء	
٩١، ٣٩، ٣٧، ٣٥	الراغب الإصفهاني

٣١٧	ربيعي بن عامر
٣٦٩ ، ٣٠٦	ربيع بن هادي
٣٧٠ ، ٣٦٩	ربيعة بن كعب الأسلمي
٣٦٣ ، ٦٩ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١	ابن رجب
٣٥٦	ابن رشد (الجد)
١١٤	ابن رشد (الحفيد)
حرف الزاي	
١٥	الزبيدي
٢٨١ ، ١٥٢ ، ٢١	الزجاج
٣٥٨	الزركشي
٣٤٠	الزهري
٢٧٦	زيد بن أسلم
٣٦٥	زيد بن ثابت
حرف السين	
٣٥٨	السبكي
٢٧٥ ، ٢٣٦ ، ١٧٤ ، ١٧١	السدي
٣	سعد بن أبي وقاص
٩ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤	السعدي
٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٤	
٨٣ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١	
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ٧٤ ، ١٠٩ ، ١١٠	
١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩	
١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٣	
١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤	

١٥٠، ١٥١، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٥،
 ١٨٠، ١٧٨، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٥،
 ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣،
 ٢١٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٥،
 ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥،
 ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٨،
 ٢٥١، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤،
 ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨١،
 ٢٨٣، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٦٤،

٣٥٦، ٣٦٧، ٣٦٨

٩٠، ٩٥، ١٨٥، ٢٠٤

٣٣٥

١٩

٢٠٣، ٢٠٤

١٦٢، ٢٤١

٣٤٣

٣٠

٩٠

٥٢

٣٠٧، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٧

١٥

حرف الشين

٤، ٢٥، ٢٩، ٧١، ٨٣، ٨٤، ٨٦،

١١٢، ٣٠٦، ٣٣٢

سعيد بن جبير

سعيد حوى

سعيد بن أبي عروبة

سفيان الثوري

سفيان بن عبد الله الثقفي

سفيان بن عيينة

أبو سليمان الداراني

سهل بن عبدالله

سهل التستري

سيد قطب

ابن سيده

الشاطبي

٤٩، ١٠٥، ١٢١، ١٣٠، ٢٩١، ٣٢٥،	الشافعي
٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٧، ٤١٠، ٣٥٨،	
٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٤	
٣٥٢	أبو شامة المقدسي
٣٣٩	شداد بن أوس
١٨٥	الشعراوي
١٩٧	شعيب بن محمد
٢٢، ٤٨، ٦٠، ٦٤، ٨٧، ١٦٨، ١٧٩،	الشنقيطي
١٨٠، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٩، ٢١٠، ٢٣٦،	
٢٤٣، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٠،	
٢٦٩، ٢٧٦، ٣٤٧	
١٩، ٢٣، ٤١، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦،	الشوكاني
١٦٥، ١٦٧، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٤،	
١٩٩، ٢٠١، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠،	
٢٣٦، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٧٢،	
٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨١، ٢٨٣	
حرف الصاد	
١٩٨	أبو صالح
٧	صالح العبود
٣٦٩، ٣٤٩، ٣٧٧	صالح الفوزان
٣٦٣	صموئيل (قسيس نصراي)
حرف الضاد	
٤١	الضحاك

حرف الطاء

٢٠٣

أبو طالب المشكاني

١١٣

طاوس

٣٠٢

طه حسين

حرف العين

٣٣٩، ١٩٧، ١١٣

عائشة

٢٠، ٢٢، ٢٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩،

ابن عاشور

٤٣، ٤٨، ٥٦، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩،

١٢٥، ١٣٥، ١٤٩، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٥،

٢٠٩، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٠،

٢٤١، ٢٥٢، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٨٤، ٢٨٧،

٣٦٧

٢٧، ٩٠، ١٠٨

أبو العالية

٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٤٠، ٤١،

ابن عباس

٥٨، ٩٠، ٩٤، ٩٩، ١٠٨، ١٠٩،

١١٠، ١١٣، ١٢٠، ١٣٨، ١٦٢، ١٧٤،

١٧٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٠٦،

٢١٠، ٢٦٠، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٣، ٢٨٥،

٣١١، ٣١٤، ٣٣٠، ٣٤٤، ٣٦١

٢٢٢، ٣٥٠، ٤١٠

ابن عبد البر

٣٦١

أبو عبد الرحمن الحبلي

١٠٧

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

١٦٤، ١٧٨، ١٨٧

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

١٧٦

أبو عبد الرحمن السلمي

٣٣٧ ، ٣٣٠ ، ٣٠٧	عبد العزيز بن باز
٤٠٠	عبد الغني المقدسي
٣٥٣	عبد الكريم زيدان
٩٤	عبد الله بن بريدة
٣٥٣	عبد الله الجربوع
١٧	عبد الله بن سلام
٢٠٥	عبد الله بن عمر
٢٦٢ ، ٨٠	عبد الله بن عمرو
٢٧ ، ٢٦	عبد الله بن المبارك
٣٤٨ ، ١٨٠ ، ١٣٩ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٢٦	عبد الله بن مسعود
٤١٤	عبد الله بن وهب
٤٠٢	عبد المحسن البدر
٣٤٠	عبد الواحد بن زيد
٦٤	أبو عبيد (القاسم بن سلام)
٣١١ ، ٢٤١ ، ١٩٦ ، ١٦٢ ، ١٢١ ، ٢٤	عثمان بن عفان
٣٦٢ ، ٣١٥	
ط ، ١١٩ ، ٢٤٧	العرباض بن سارية
٣٥٤	ابن العربي المالكي
٤١٩	عصام بن يوسف البلخي
٣٣٩ ، ٢٨٥ ، ٤١	عطاء بن أبي رباح
٢٨٨ ، ٢٧٩ ، ٢٧٦ ، ٢٥٨ ، ٢١٥ ، ٩١	ابن عطية
٢٩٣ ، ٢٨٨	عطية سالم
١١٠	عطية العوفي
١٠٧	عقبة بن عامر

٢٠٥ ، ١٨٦	عكرمة
٢٧٥	علي بن الحسن بن سليمان
٣ ، ٢٥ ، ٩٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ،	علي بن أبي طالب
٣٧٧ ، ٣٥٨ ، ٢٤١ ، ١٩٧	
١٧٤ ، ١٣٨	علي بن أبي طلحة (الوالي)
٨	علي بن ناصر فقيهي
٣٣٥	عمر التلمساني
٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٦٦ ، ١٣٢ ، ١٦١ ،	عمر بن الخطاب
٣٣٥ ، ٢٤١ ، ٢٠٥ ، ١٩٦	
١٥٨ ، ١٣١ ، ٢٨	عمر بن عبد العزيز
٣٦١	عمرو بن الحارث
١٩٧	عمرو بن شعيب
٥٢	أبو عمرو بن نجيد
٣٣٩	عوف بن مالك
	حرف الفاء
٣٨ ، ٣٦ ، ١٦ ، ١٤	ابن فارس
٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ١٢٥	الفخر الرازي
١٧١	الفراء
٢٠٣	الفضل بن زياد
١٨٤ ، ٦٦	الفضيل بن عياض
١٦١	الفيروز آبادي
	حرف القاف
٣١	أبو القاسم الجنيد
٣٢	أبو القاسم النصرابادي

٢٧٣، ٢٤٢، ١٨٥، ١٤٢، ٩١	القاسمي
١٧	القاضي عياض
١٩، ١٧٠، ١٧٤، ٢١١، ٢٨١، ٢٨٣	قتادة
٣٩٥، ٢٨٦، ٢٨٥	
١٥٢	ابن قتيبة
٣٥٦	ابن قدامة
٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤	القرضاوي
٣٣٢، ٢٧	أبو قلابة
٢١، ٢٢، ٢٣، ٣٦، ٤٣، ٤٧، ٥٣	ابن القيم
٥٨، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧٣، ٧٦، ٨٧	
٨٨، ٩٣، ٩٤، ١٠٤، ١٠٥، ١١١	
١١٤، ١١٦، ١١٨، ١٢١، ١٢٩، ١٣٢	
١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٨، ١٦١، ١٦٥	
١٦٨، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٥، ١٨٣	
١٨٤، ١٨٩، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٨	
٢١١، ٢١٢، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢	
٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨	
٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٥	
٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨	
٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٩١	
٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٥٢، ٣٥٥	
٣٥٦، ٣٤٤، ٣٦٩، ٣٧٧	
حرف الكاف	
١٩، ٢٢، ٢٣، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٥١	ابن كثير

٥٧ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٩ ،
 ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٨ ،
 ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ،
 ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ،
 ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ،
 ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
 ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ،
 ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٤ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ،
 ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣

٢٩٩

كمال أتاتورك

٣٥٨

الكيداني

حرف اللام

٣٦٠

ابن لهيعة

١٤ ، ٣٦٠

الليث بن سعد

حرف الميم

٢٨ ، ١٣١ ، ١٧٦ ، ٢٠٢ ، ٢٧٦ ، ٣٥٤ ،

مالك بن أنس

٤١٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦١

٣٠٥

محب الدين الخطيب

٣٣٤

محمد بن إبراهيم

٣٠٧

محمد إقبال

٣٢٦

محمد إلياس الكاندهلوي

٤٣٠	محمد أمان الجامي
٨	محمد باكريم
٣٦٥ ، ٣٦٤	محمد بن الحسن
٣٥٣	محمد حياة السندي
٣٥٧ ، ٩١	محمد رشيد رضا
٣٥٠ ، ٣٤٧ ، ١١٢	محمد بن عبد الوهاب
٣٥٨	محمد بن موسى البلاساغوني
٢١٠	محمد بن نصر
٣٣٦	محمود عبد الحليم
٢٩١	أبو مدينة الدارمي
٢٨٦ ، ٢٢٥ ، ٢١٥ ، ٢٠١ ، ١٦٠	المراغي
٣٦٤	المزني
٣٦٠	المستورد بن شداد
٣٣٦	مصطفى السباعي
٨	مصطفى حلمي
٣	مصعب بن سعد
٢٧٥	أبو معاوية (محمد بن خازم الضرير)
٩٠	مقاتل بن سليمان
٣٥٧	ملا علي قاري
	حرف النون
٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٨٠ ، ١٧	النوي
	حرف الهاء
٣٥٨ ، ٢٦٣	أبو هريرة
	حرف الواو

٩٥	أبو وائل
٢٨٧	الواحدى
٣٠٧	وحيد الدين خان
١٧٠	ورقاء
٢٨ ، ٢٦	ابن وضاح
٧٥ ، ٥٥	وهبة الزحيلي
حرف الياء	
٣٦٠	يزيد بن عمرو المعافري
١٥	يعقوب (ابن السَّكَّيت)
٢٠٤	يعلى بن حكيم
٣٥٨	أبو يوسف (صاحب أبي حنيفة)

فهرس البلدان والأماكن

رقم الصفحة	البلد أو المكان
٣١٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٢	الأزهر
٣٥٤	الأندلس
٢٠٥	البصرة
٣٠٢	تونس
٢٦٢	ربيعة ومضر
٣٥٩	السعودية
٣٦٠	شبه الجزيرة العربية
٣٠٥	طهران (إيران)
٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠١	الغرب
٣٧١ ، ٣٦٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٠ ، ٣٤٩	
٣٠٤	فرنسا
١٠٨ ، ١٠٧	القسطنطينية
٣٠٥	قم (إيران)
٣٠٨	كمبردج (إنكلترا)
٢٠٥	الكوفة
٣٠٩ ، ٨	المدينة النبوية
٣٥٨ ، ٣٥٦ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ١٠٧	مصر
٣٠٤	المغرب
٣٠٨	ميونخ (ألمانيا)
٣٠٥	النجف

فهرس الفرق والأحزاب والملل والنحل والمذاهب الفكرية

الفرقة أو النحلة أو المذهب	رقم الصفحة
الأشعرية	١٠١، ٣٣٠، ٣٣٥
أهل الجدل والكلام	٦٥، ١١٤، ٢٤٠
الجبرية	٧٩، ١٠١
الجهمية	٤، ٨٠، ١٠١
الحرورية	٣، ١٨٢، ١٨٣، ٣٣١
الخوارج	٣، ٤، ٦، ٧٧، ٨٠، ١٠١، ١١٢، ١١٣، ١٢٨، ١٤١، ١٨٢، ١٨٣، ٣١٢، ٣١٦، ٣٧٢، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٦١، ٣٩٤
الدارونية	٣٠٤
الرافضة	٤، ٨٠، ١١٢، ٢٢١، ٢٧٥، ٣٠٤، ٣٣١
الروم	٢، ١٠٧، ٣٤٤
الشيعة	١٠١، ٢٧٥، ٣٠٤، ٣٠٥
الصوفية	٢٩، ٣٢، ٥٢، ٣٢٧، ٣٧١
فارس	٢، ٣٤٤
الفرويدية	٣٠٣
الفلاسفة	١١٠، ٣٩١، ٣٣٢
القدرية	٤، ١٠١، ٢٧٥
المجوس	١٠١، ١٤١، ١٧٥، ٣٣٢، ٣٩١
المرجئة	٤، ١٠١، ٢٧٥
المشبهة	١٠٠، ٣٧٩
المعتزلة	١٠١

١١٠، ١٧٩، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٣٤، ٣٣٦،

٣٦٣، ٣٦٥، ٤١١، ٣٧٩

٢، ٣، ٥٥، ٩٨، ١٠٠، ١١٦، ١١٧،

١٣٥، ١٤١، ١٤٦، ١٨٢، ٢٢١، ٣٠٤،

٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٩١

٣٦٠

٢، ٣، ٥٥، ٩٨، ١٠٠، ١١٦، ١١٧،

١٣٥، ١٤١، ١٤٦، ١٨٢، ٢٢١، ٢٦٢،

٣٠٤، ٣١٢٨، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٩،

٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٩١

الملاحدة

النصارى

الهندوسية

اليهود

أولاً: المراجع العربية:

حرف الألف

١. الآجري، محمد بن الحسين، أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته، تحقيق عبد الله عيلان، ط ٢، (بيروت، وسوريا: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
٢. الآجري، محمد بن الحسين، أخلاق العلماء، تحقيق إسماعيل الأنصاري، د. ط، (السعودية: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د. ت).
٣. الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة، تحقيق عبد الله الدميحي، ط ٢، (الرياض: دار الوطن، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٤. الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة، تحقيق الوليد سيف النصر، ط ١، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، جدة: مكتبة الخراز، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
٥. الألوسي، محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ).
٦. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، د. ط. (القاهرة: دار الدعوة، د. ت).
٧. الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق سليمان الخزي، ط ١، (المدينة النبوية: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
٨. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
٩. الإسكافي، محمد بن عبد الله الخطيب، درة التنزيل وغرة التأويل، ط ١، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
١٠. الأسمرى، حسن بن محمد حسن، النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها (دراسة نقدية)، (أصل الكتاب: رسالة علمية تقدّم بها المؤلّف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في

- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ط ١، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م).
١١. الأشقر، عمر سليمان، تاريخ الفقه الإسلامي، ط ٣، (عمّان: دار النفائس، ١٤٣٠ هـ / ٢٠١٠ م).
١٢. الأشقر، عمر سليمان، الرسل والرسالات، ط ٤، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م).
١٣. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط ٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
١٤. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، أصل صفة صلاة النبي ﷺ، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م).
١٥. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م).
١٦. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، جلاباب المرأة المسلمة في القرآن والسنة، ط ٢، (بيروت: دار ابن حزم، عمّان: المكتبة الإسلامية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م).
١٧. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، الحديث حجة بنفسه، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).
١٨. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، خطبة الحاجة، مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
١٩. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيئ من فقها وفوائدها، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ج ١ (١ - ٤): ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ج ٥: ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، ج ٦: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ج ٧: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م).
٢٠. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م).

٢١. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، ط ٣، (الجيل الصناعية (السعودية): مكتبة الدليل، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
٢٢. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، (تميز وتحقيق)، صحيح الترغيب والترهيب، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٢٣. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، (تميز وتحقيق)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط ٣، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٢٤. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، (تميز وتحقيق)، صحيح سنن أبي داود، ط ١، (الكويت: مؤسسة غراس، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٢٥. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، (تميز وتحقيق)، صحيح سنن أبي داود باختصار السند، ط ١، (الرياض: مكتب التربية العربي بدول الخليج، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٢٦. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، (تميز وتحقيق)، صحيح سنن ابن ماجه، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
٢٧. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، (تميز وتحقيق)، صحيح موارد الظمان إلى زوائل ابن حبان، ط ١، (الرياض: دار الصميعي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
٢٨. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، صفة صلاة النبي ﷺ، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١١هـ/١٩٩١م).
٢٩. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، ظلال الجنة في تخريج السنة، ط ١، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
٣٠. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، فقه الواقع، قام على نشرها وترتيبها والتعليق عليها علي الحلبي، ط ٢، (عمان: المكتبة الإسلامية، ١٤٢٢هـ).
٣١. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح، نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق، ط ٣، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

٣٢. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد بن نوح (تحقيق)، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصايح و المشكاة، ط ١، (الدّقام: دار ابن القيم، القاهرة: دار ابن عقّان، ١٣٢٢هـ / ٢٠٠١م).

٣٣. الأنصاري، فريد، أبجديات البحث في العلوم الشرعية (محاولة في التأصيل المنهجي)، ط ١، (الدار البيضاء، منشورات الفرقان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

٣٤. أيّوب، حسن محمد، تبسيط العقائد الإسلامية، ط ١، (بيروت: دار النّودة الجديدة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

حرف الباء

٣٥. باعبد الله، محمد باكريم ، وسطية أهل السنة بين الفرق، ط ١، (الرّياض: دار الراية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

٣٦. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، تحقيق سمير الزهيري، ط ١، (الرّياض: مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

٣٧. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، د.ط، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، د.ت).

٣٨. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (بشرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني)، تحقيق سيّد عباس وأيمن عارف، ط ١، (القاهرة: دار أبي حيّان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

٣٩. بدر، أحمد، أصول البحث العلمي ومناهجه، د.ط، (د.م، المكتبة الأكاديمية، د.ت).

٤٠. البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، ط ١، (الكويت: غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

٤١. البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ط ١١، (الرّياض: مكتبة الرشد، ط ١١، العدد الرابع، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

٤٢. البدر، عبد المحسن، الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرهما، ط ١، (الرياض: مطبعة سفير، ١٤٢٥هـ).
٤٣. البرصان، أحمد، وآخرون، الدين والسياسة والتحول في الوطن العربي، شهرية الشرق الأوسط، العدد الأول، أغسطس، ٢٠٠٧م.
٤٤. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، مسند البزار (المنشور باسم البحر الزخار)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله (الأجزاء من ١-٩)، وعادل بن محمد (الأجزاء من ١٠-١٧)، وصبري عبد الخالق (الجزء ١٨)، ط ١، (المدينة النبوية: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
٤٥. ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق رضا بن نعيان وآخرون، ط ٢، (الرياض: دار الراجعية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٤٦. البعلي، محمد بن الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، تحقيق الحسن العلوي، ط ١، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
٤٧. البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، التهذيب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط ١، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٤٨. البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، ط ٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٤٩. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق محمد النمر وآخرون، ط ١، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
٥٠. البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط ١، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).
٥١. البناء، حسن، نظرات في كتاب الله، جمع عصام تليمة، د.ط، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٥٢. البيهقي، أحمد بن الحسين، أحكام القرآن للشافعي، ط ٢، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ/١٩٩٨م).

٥٣. البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).

٥٤. البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي حامد بإشراف مختار الندوي، ط ١، (الرياض: مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

٥٥. البيهقي، أحمد بن الحسين، المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، د.ط، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٤٠٤هـ).

٥٦. البيهقي، أحمد بن الحسين، معرفة السنن والآثار، ط ١، (باكستان: جامعة الدراسات الإسلامية، بيروت ودمشق: دار قتيبة، حلب ودمشق: دار الواعي، القاهرة والمنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).

حرف التاء

٥٧. التركماني، عبد الحق بن ملا، التفسير السياسي للدين لوحيد الدين خان، والتفسير السياسي للإسلام لأبي الحسن الندوي، ط ١، (بيروت: دار البشائر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

٥٨. التركي، عبد الله بن عبد المحسن، مجمل اعتقاد أئمة السلف، ط ٢، (السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ).

٥٩. التركي، عبد الله بن عبد المحسن، مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة، ط ١، (الرياض: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٦هـ).

٦٠. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وغيره، ط ٢، (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

٦١. التويجري، عبد الله بن عبد العزيز، البدع الحولية، ط ١، (الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٦٢. التّوحيدي، حمود بن عبدالله، القول البليغ في التّحذير من جماعة التبليغ، ط ١، (الرياض: دار الصميعي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٦٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط ١، (السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ).
٦٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الاستقامة، تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، (المدينة: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣هـ).
٦٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر العقل، ط ٥، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ط ٧، (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م).
٦٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، أمراض القلوب وشفائها، ط ٢، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٩هـ).
٦٧. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ط ١، (الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ).
٦٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، جامع الرسائل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، (الرياض: دار العطاء، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
٦٩. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق عبد العزيز العسكر وحمدان الحمدان، ط ٢، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).
٧٠. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، حقوق آل البيت، تحقيق عبد القادر عطا، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
٧١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، (الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).

٧٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات)، تحقيق محمد السيد الجليند، ط ٢، (دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ).
٧٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الرد على المنطقيين، ط ١، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
٧٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الزهد والورع والعبادة، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، ط ١، (الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ).
٧٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط ١، (السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ).
٧٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الصارم السلول على شاتم الرسول، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، (السعودية: الحرس الوطني، د.ت).
٧٧. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العقيدة الواسطية، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط ٢، (الرياض: أضواء السلف ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
٧٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العقيدة الإصفهانية، تحقيق إبراهيم سعيداي، ط ١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ).
٧٩. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق عبد القادر الأرئوط، ط ١، (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
٨٠. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، قاعدة في المحبة، د.ط، (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د.ت).
٨١. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المسائل والأجوبة، تحقيق حسين بن عكاشة، (القاهرة: الفاروق، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
٨٢. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ط ١، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

٨٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة لجامعة الإمام، (الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٤هـ).

٨٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، **النبوات**، تحقيق عبد العزيز الطويان، ط ١، (الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

حرف الثاء

٨٥. الثعلبي، أحمد بن محمد، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق ابن عاشور، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

حرف الجيم

٨٦. الجامي، محمد أمان، **الحكم على الشيء فرع عن تصوره**، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الرابعة عشرة، العدد الخامس والخمسون، والسادس والخمسون، رجب - ذو الحجة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٨٧. الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، **أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة**، ط ١، (٢/٥٦١-٥٦٤)، (المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

٨٨. الجندي، أنور، **العالم الإسلامي**، ط ٢، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م).

٨٩. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **تلبیس إبليس**، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).

٩٠. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).

٩١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **صفة الصفوة**، تحقيق أحمد بن علي، د. ط، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٩٢. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **مناقب الإمام أحمد**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ٢، (القاهرة: دار هجر، ١٤٠٩هـ).

٩٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م).
- حرف الحاء
٩٤. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق أسعد الطيب، ط١، (مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
٩٥. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، **الجرح والتعديل**، ط٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- بحيدر آباد الدكن- الهند، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م).
٩٦. ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البغدادي الفاسي المالكي، **المدخل**، د.ط، (بيروت: دار التراث، د.ت).
٩٧. الحازمي، خالد بن حامد، **مصطلح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي** (دراسة نقدية)، ط٣٦، (المدينة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٤، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).
٩٨. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، **المستدرک علی الصحیحین**، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
٩٩. ابن حبان، محمد بن حبان، **صحيح ابن حبان** (ترتيب ابن بلبان)، تحقيق الألباني، ط١، (جدة: دار باوزير، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
١٠٠. حَبَنَكَةُ الميّداني، عبد الرحمن بن حسن، **البلاغة العربية**، ط١، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
١٠١. ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط١، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
١٠٢. ابن حجر، أحمد بن علي، **العجاب في بيان الأسباب**، د.ط، (الرياض: دار ابن الجوزي، د.ت).

١٠٣. الحريري، القاسم بن علي، **درة الغواص في أوهام الخواص**، تحقيق: عرفات مطرجي، ط١، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٨/١٩٩٨هـ).
١٠٤. حسين، طه، **مستقبل الثقافة في مصر**، د. ط.، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م).
١٠٥. الحسين، محمد بن عبد الله، **فتنة التكفير والحاكمية**، ط١، (الرياض: مطبعة سفير، ١٤١٦هـ).
١٠٦. الخطاب، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، ط٣، (لبنان: دار الفكر، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
١٠٧. حلمي، مصطفى، **منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
١٠٨. الحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، د.ط، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
١٠٩. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، **الزهد**، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
١١٠. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، **فضائل الصحابة**، تحقيق وصي الله عباس، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
١١١. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، **مسند أحمد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
١١٢. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، **مسند أحمد**، تحقيق أحمد شاكر، ط١، (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
- حرف الخاء
١١٣. خصاونة، عماد عبد الكريم، **منهج القرآن الكريم في عرض آيات الأحكام**، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد ٣، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
١١٤. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، **اقتضاء العلم العمل**، تحقيق الألباني، ط٤، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ).

١١٥. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد، ط ١، (بيروت: دار الغرب، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

١١٦. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الفقيه والمتفقه، تحقيق عادل العزازي، ط ٢، (السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ).

١١٧. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، مسألة الاحتجاج بالشافعي، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر، د.ط، (باكستان: المكتبة الأثرية، د.ت).

١١٨. الخطيب، محب الدين بن أبي الفتح، الخطوط العريضة (الأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثني عشرية) ط ١٠، (د.ن: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

حرف الدال

١١٩. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد، خالد السبع، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

١٢٠. أبو داود، سليمان بن الأشعث، الزهد، تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، ط ١، (حلوان: دار المشكاة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

١٢١. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

١٢٢. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل، ط ١، (د.م: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

١٢٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث، مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني، ط ١، (مصر: مكتبة ابن تيمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

١٢٤. دردور، إلياس، تاريخ الفقه الإسلامي، ط ١، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

حرف الذال

١٢٥. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط ٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

١٢٦. الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي معوض، وعادل عبد الموجود، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

حرف الراء

١٢٧. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط ١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

١٢٨. الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ط ٣، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

١٢٩. الراشدي، أبو محمد بديع الدين السندي، الطوام المرعشة في بيان تحريفات أهل الرأي المدهشة، ط ١، (الكويت: مكتبة أهل الأثر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

١٣٠. الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط ١، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٢هـ).

١٣١. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تفسير الراغب، تحقيق محمد بسيوني، ط ١، (جامعة طنطا: كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

١٣٢. الربيع، عبدالعزيز بن عبدالرحمن، البحث العلمي (حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطابعه ومناقشته)، ط ٦، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

١٣٣. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق ماهر الفحل، ط ٢، (الرياض: دار السلام، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

١٣٤. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: "بعثت بالسيف بين يدي الساعة"، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط ١، (دمشق: دار المأمون، ١٩٩٠م).

١٣٥. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمود بن شعبان وآخرين، ط ١، (المدينة: مكتبة الغريب الأثرية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
١٣٦. الرحيلي، حمود بن أحمد، المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، من منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد ١١٩، السنة ٣٥، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣م).
١٣٧. الرحيلي، عبد الله بن ضيف، الأخلاق الفاضلة وقواعد ومنطلقات اكتسابها، ط ٣، (السعودية: وكالة المطبوعات والبحث العلمي (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
١٣٨. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (الجد)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق محمد حجي وآخرين، ط ٢، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
١٣٩. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (الحفيد)، تهافت التهافت، ط ١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م).
١٤٠. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، الكشف عن مناهج الأدلة، تحقيق محمود قاسم، ط ٢، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م).
١٤١. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ط ١، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠م).
١٤٢. رو، جان بول، الإسلام في الغرب، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، ط ١، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة، ١٩٦٠م).
- حرف الزاي
١٤٣. الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، (القاهرة: دار الهداية).
١٤٤. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط ٢، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨).

١٤٥. الزُّرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط ٣ ، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت).
١٤٦. الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله المصري الحنبلي، **شرح الزركشي**، ط ١، (الرياض: دار العبيكان، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م).
١٤٧. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، **الأعلام**، ط ١٥، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م).
١٤٨. أبو زيد، بكر بن عبد الله ، **الردود**، ط ١، (السعودية: دار العاصمة، ١٤١٤ هـ).
١٤٩. زيدان، عبد الكريم، **أصول الدعوة**، ط ٣، (الإسكندرية: دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر، ١٣٩٦ هـ).
- حرف السين**
١٥٠. سالم، عطية محمد، **تكملة أضواء البيان المطبوع مع أضواء البيان**، د.ط، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م).
١٥١. السبت، عبدالله بن خلف، **هذا بيان للناس**، ط ١، (الشارقة: دار الفتح، ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦ م).
١٥٢. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، (القاهرة: دار هجر، ١٤١٣ هـ).
١٥٣. السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي، **فتاوى السبكي**، د.ط، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
١٥٤. السّدحان، عبدالعزيز بن محمّد، **الإمام الألباني (رحمه الله) دروس ومواقف وعبر**، ط ١، (الرياض: دار التّوحيد، ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨ م).
١٥٥. ابن سعد، محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م).
١٥٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، ط ١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩ م).

١٥٧. سعد، قاسم علي، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
١٥٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق سعد بن فواز الصميل، ط ٤، (السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٣٥هـ).
١٥٩. السلمي، محمد بن الحسين، طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
١٦٠. السلامي، عبد الرحمن بن أحمد، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، ط ١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).
١٦١. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، الانتصار لأصحاب الحديث، تحقيق: محمد بن حسين الجيزاني، ط ١، (السعودية: مكتبة أضواء المنار، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
١٦٢. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، تفسير القرآن، تحقيق ياسر إبراهيم، وغنيم عباس، ط ١، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
١٦٣. السندي، محمد حياة إبراهيم، تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه السلام، ط ٢، (الكويت، دار غراس، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
١٦٤. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
١٦٥. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)، جمع وترتيب عباس صقر وأحمد عبد الجواد، د. ط، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
١٦٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، د. ط، (بيروت: دار الفكر، د. ت).
١٦٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ط ٣، (المدينة النبوية: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- حرف الشين

١٦٨. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الاعتصام**، تحقيق مشهور بن حسن، ط ١، (البحرين: مكتبة التوحيد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
١٦٩. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، تحقيق مشهور بن حسن، ط ١، (السعودية (الخير): دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
١٧٠. النشال، سعد السيد، **أدب الاختلاف بين الصحابة وأثره على الواقع الإسلامي المعاصر**، رسالة ماجستير، كلية الإمام الأوزاعي، (لبنان، كلية الإمام الأوزاعي، ٢٠١٤م).
١٧١. أبو شامة المقدسي، أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل، **مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول**، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد، ط ٢، (الكويت: دار غراس، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
١٧٢. ابن شاهين، عمر بن أحمد، **شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن**، تحقيق عادل بن محمد، ط ١، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
١٧٣. ابن شاهين، عمر بن أحمد، **الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن**، تحقيق عبد الله بن محمد البصري، د.ط، (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٦هـ).
١٧٤. ابن شبة، عمر بن شبة، **تاريخ المدينة**، تحقيق فهد شلتوت، د.ط، (جدة: د.م، ١٣٩٩هـ).
١٧٥. الشثري، عبدالرحمن بن سعد، **عقائد الشيعة الاثني عشرية (سؤال وجواب)**، ط ١٢، (المدينة النبوية: الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
١٧٦. الشحود، علي بن نايف، **مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة**، ط ١، (د.م، د.ن، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

١٧٧. شَرَّاب، محمد بن محمد حسن، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٧ م).
١٧٨. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، د.ط، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ت).
١٧٩. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - مع تكملة عطية محمد سالم، ط ١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م).
١٨٠. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط ١، (دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤ هـ).
١٨١. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال الحوت، ط ١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩ هـ).
١٨٢. آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، فتاوى ورسائل، ط ١، (مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، ١٣٩٩ هـ).

حرف الصاد

١٨٣. الصاوي، أحمد بن محمد، حاشية الصاوي على الجلالين، ط ١، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م).
١٨٤. الصلابي، علي محمد، الدولة العثمانية، ط ٢، (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م).
١٨٥. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، (الهند: المجلس العلمي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ).

حرف الضاد

١٨٦. الضياء المقدسي، محمد بن عبد الواحد، الأحاديث المختارة - أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، تحقيق عبد الملك دهيش، ط ٣، (بيروت: دار خضر، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م).

حرف الطاء

١٨٧. أبو طاهر السلفي، أحمد بن محمد، الطيوريات (انتخاب من أصول الطيوري)،

تحقيق دسمان يحيى وعباس صخر، ط ١، (الرياض: مكتبة أضواء السلف،

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

١٨٨. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق أيمن شعبان، وسيد

إسماعيل، ط ١، (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

١٨٩. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور، ط ١،

(بيروت: المكتب الإسلامي، عمان: دار عمار، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

١٩٠. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، ط ١،

(بغداد: الدار العربية للطباعة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

١٩١. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية،

١٤٠٧هـ).

١٩٢. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد

المحسن التركي، ط ١، (السعودية: دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

١٩٣. طحان، أحمد، الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد، ط ١، (بيروت: دار المعرفة،

١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

١٩٤. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط ١، (القاهرة: دار نهضة

مصر، ١٩٩٧-١٩٩٨م).

حرف العين

١٩٥. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار، تحقيق عادل عبد

الموجود وعلي معوض، طبعة خاصة، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

١٩٦. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، منحة الخالق على البحر الرائق شرح كنز

الدقائق، ط ٢، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

١٩٧. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، ط ١، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).
١٩٨. ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، الآحاد والمثاني، تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط ١، (الرياض: دار الراجعية، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م).
١٩٩. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط ٦، (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م).
٢٠٠. ابن عبد الحكم، عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق أحمد عبيد، ط ٦، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م).
٢٠١. عبد الحليم، محمود، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، ط ٥، (الإسكندرية: دار الدعوة، ١٩٩٤م).
٢٠٢. عبد الخالق، عبد الرحمن، السياسة الشرعية، ط ١، (الكويت: شركة بيت المقدس، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م).
٢٠٣. عبد الكريم، عبد الرحمن عيسى، مسؤولية الأسرة المسلمة في تحقيق التربية الوقائية، ط ١، (المدينة: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤٣٣ هـ).
٢٠٤. ابن عبد الوهاب، محمد، أربع قواعد تدور الأحكام عليها، تحقيق عبد العزيز بن زيد الرومي، صالح بن محمد الحسن، د. ط، (الرياض: جامعة الإمام، د. ت).
٢٠٥. أبو عبيد، القاسم بن سلام، الإيمان، تحقيق الألباني، ط ٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م).
٢٠٦. ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق الألباني، ط ٩، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).
٢٠٧. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق علي شيري، ط ١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م).

٢٠٨. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
٢٠٩. عبد الرحمن عبد الخالق، السياسة الشرعية، ط ١، (الكويت: شركة بيت المقدس، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
٢١٠. العثيمين، محمد بن صالح، مكارم الأخلاق، ط ١، (الرياض: دار الوطن، د.ت).
٢١١. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق الأرناؤوط، ط ١، (دمشق وبيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
٢١٢. عواجي، غالب بن علي، فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ط ٢، (المدينة النبوية: مكتبة لينة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- حرف الغين
٢١٣. الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط ٤، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
٢١٤. الغزالي، محمد بن محمد، المستصفى، تحقيق محمد الأشقر، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- حرف الفاء
٢١٥. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ١، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
٢١٦. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط ١، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت).
٢١٧. الفقي، محمد حامد، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، (د. ن، ١٣٥٤هـ).
٢١٨. الفلاني، صالح بن محمد، إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم عن الابتداع الشائع في القرى والأمصار عن تقليد المذاهب

- مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار، تحقيق أبي عماد السخاوي، ط ١، (الشارقة: دار الفتح، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
٢١٩. الفوزان، صالح بن فوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ط ٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٢٢٠. الفوزان، صالح بن فوزان، الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، جمع وتعليق جمال بن فريحان الحارثي، ط ٢، (الرياض: دار السلف، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٢٢١. الفوزان، صالح بن فوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ط ٤، (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٢٢٢. الفوزان، صالح بن فوزان، عقيدة التوحيد وما يضادها، د. ط، (د. م: د. ن، د. ت).
٢٢٣. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، ط ٣، (القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- حرف القاف
٢٢٤. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٢٢٥. القاضي عياض، عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق ابن تاويت الطنجي وآخرون، ط ١، (المغرب: مطبعة فضالة - المحمدية، ١٩٦٥م).
٢٢٦. القاضي عياض، عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط ٢، (عمان: دار الفيحاء، ١٤٠٧هـ).
٢٢٧. القاضي عياض، عياض بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (تونس: المكتبة العتيقة، القاهرة: دار التراث، د. ت).
٢٢٨. القرضاوي، يوسف عبد الله، تفسير جزء عم، موقع القرضاوي.
٢٢٩. القرضاوي، يوسف عبد الله، "أولويات الحركة الإسلامية"، د. ط، (الدوحة: مكتبة وهبة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

٢٣٠. القرضاوي، يوسف عبدالله، مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط ١، (بيروت: المكتب الإسلامي. والجزائر: دار الوعي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م).
٢٣١. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).
٢٣٢. ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي، ط ١، (قطر: الشؤون الإسلامية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
٢٣٣. القشيري، عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، د. ط، (القاهرة: دار المعارف، د. ت).
٢٣٤. القصاب، محمد بن علي، نكت القرآن، تحقيق علي بن غازي التويجري، ط ١، (الدمام: دار ابن القيم، القاهرة: دار ابن عفان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٢٣٥. ابن القطاع، علي بن جعفر السعدي، كتاب الأفعال، ط ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م).
٢٣٦. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ٣٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
٢٣٧. قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ط ١، (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٢٣٨. القفاري، ناصر بن عبدالله، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ط ٤، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
٢٣٩. قوام السنة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط ٢، (السعودية: الرياض، دار الراية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
٢٤٠. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، تحقيق عواد عبد الله، ط ١، (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٢٤١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور بن حسن، ط ١، (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ).
٢٤٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، ط ٢، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
٢٤٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، ط ١، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
٢٤٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد حامد الفقي، ط ١، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
٢٤٥. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التفسير القيم، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط ١، (بيروت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، ١٤١٠هـ).
٢٤٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أو الداء والدواء، ط ١، (المغرب: دار المعرفة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٢٤٧. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الرسالة التبوكية، تحقيق محمد جميل غازي، ط ١، (جدة: مكتبة المدني، د.ت).
٢٤٨. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، تحقيق عبد الله بن محمد المديفر، ط ١، (الرياض: مطابع الشرق الأوسط، ١٤٢٠هـ).
٢٤٩. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٢٥٠. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط ٢٧، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٢٥١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل، ط ١، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٢٥٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، ط ٣، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
٢٥٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، ط ١، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٨هـ).
٢٥٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط ٢، (القاهرة: الدار السلفية، ١٣٩٤هـ).
٢٥٥. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
٢٥٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد المعتصم بالله، ط ٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
٢٥٧. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٢٥٨. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق سيد إبراهيم، ط ٣، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٦هـ).
- حرف الكاف
٢٥٩. الكرمي المقدسي، مرعي بن يوسف، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ).
٢٦٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، ط ١، (القاهرة: دار هجر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م).
٢٦١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط ٢، (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٢٦٢. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، طبقات الشافعيين، د.ط، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٢٦٣. كحالة، عمر بن رضا، معجم المؤلفين، د.ط، (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت).

حرف اللام

٢٦٤. اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط ٨، (السعودية: دار طيبة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

حرف الميم

٢٦٥. ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق محمود نصار، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٢٦٦. مالك، مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق سليم الهلالي، ط ١، (دبي: مكتبة الفرقان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٢٦٧. الماوردي، علي بن محمد بن محمد، الأحكام السلطانية، د.ط، (القاهرة: دار الحديث، د.ت).

٢٦٨. ابن المبارك، عبد الله بن المبارك، الزهد والرقائق - ومعه مارواه نعيم بن حماد في نسخه زائدة على مارواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٢٦٩. متولي، تامر محمد محمود، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، ط ١، (جدة: دار ماجد عسيري، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

٢٧٠. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، "الموسوعة القرآنية المتخصصة"، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، (مصر: مطبوعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٢٧١. محمد المصري، جميل عبدالله، حاضر العالم الإسلامي و قضايا المعاصرة، ط ٩، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

٢٧٢. محمد، يسري السيد، (تحقيق وجمع)، بدائع التفسير، ط ١، (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٢٧٣. محمود عبد الحليم، أحداث صنعت التاريخ، ط ١، (الإسكندرية: دار الدعوة، ١٩٧٩م).
٢٧٤. المدخلي، ربيع بن هادي، الإجابات الجلية عن القضايا المنهجية، ط ١، (الجزائر: دار الميراث النبوي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).
٢٧٥. المدخلي، ربيع، أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره، ط ٢، (عجمان: مكتبة الفرقان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٢٧٦. المدخلي، ربيع بن هادي، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ط ١، (الكويت: الدار السعودية السلفية، ١٤٠٦هـ).
٢٧٧. المدخلي، زيد بن محمد بن هادي، الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة (الجزء الخامس)، ط ١، (جدة: دار العلم، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٢٧٨. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، د.ط، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ت).
٢٧٩. المرزباني، محمد بن عمران، معجم الشعراء، تعليق ف. كرنكو، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
٢٨٠. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، موسوعة التفسير المأثور، إشراف مساعد الطيار، ط ١، (جدة: ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م).
٢٨١. المزني، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
٢٨٢. المصري، جميل عبد الله، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ط ٩، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
٢٨٣. المصري، محمد عبد الهادي، معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة، ط ٧، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٢٨٤. المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج، ط ١، (القاهرة: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، مراكش: النبلاء للكتاب، د.ت).
٢٨٥. ابن المقرئ، محمد بن إبراهيم، المعجم، تحقيق عادل بن سعد، ط ١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٢٨٦. المَلْطِي، يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين المَلْطِي الحنفي، المختصر من المختصر من مشكل الآثار، د.ط، (بيروت: عالم الكتب، د.ت).
٢٨٧. ابن الملقن، طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريعة، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٢٨٨. ابن منده، محمد بن إسحاق، الإيمان، تحقيق علي بن ناصر فقيهي، ط ٢، (بيروت: الرسالة، ١٤٠٦هـ).
٢٨٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ١، (بيروت: دار صادر، د.ت).
حرف النون
٢٩٠. الناصر، محمد حامد، بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية، ط ١، (جدة: مكتبة السوادي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
٢٩١. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، الناسخ والمنسوخ، تحقيق محمد عبد السلام، ط ١، (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ).
٢٩٢. النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط ٢٥، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
٢٩٣. الندوي، أبو الحسن، الشيخ محمد إلياس الدهلوي، ودعوته إلى الله، د.ط.، (د.م، مكتبة الإيمان، د.ت).
٢٩٤. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، بشرح السيوطي وحاشية السندي، ط ١، (بيروت: دار الفكر، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م).
٢٩٥. ابن نصر، محمد بن نصر، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط ١، (المدينة النبوية: مكتبة الدار، ١٤٠٦هـ).

٢٩٦. ابن نصر، محمد بن نصر، السنة، تحقيق سالم أحمد السلفي، ط ١، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨هـ).

٢٩٧. آل نعمان، شادي بن محمد بن سالم، (جمع وتحقيق)، موسوعة العلامة الألباني، ط ١، (صنعاء: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

٢٩٨. أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د.ط، (مصر: السعادة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).

٢٩٩. نكاوي، فاتح محمد، معجم مصطلحات الفكر الإسلامي المعاصر، د.ط، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

٣٠٠. نوح، عثمان عبد السلام، الطريق إلى الجماعة الأم، ط ٢، (الخرج (السعودية)، دار المنار، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٣٠١. النووي، يحيى بن شرف، شرح مسلم، تحقيق عصام الضبابي وآخرين، ط ١، (القاهرة: دار أبي حيان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٣٠٢. النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب، د.ط، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م).

حرف الهاء

٣٠٣. الهروي، عبد الله بن محمد، ذم الكلام وأهله، تحقيق عبد الرحمن الشبل، ط ١، (المدينة النبوية: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

٣٠٤. الهلالي، سليم، قرّة العيون، ط ١، (عجمان: مكتبة الفرقان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٣٠٥. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، د.ط، (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

٣٠٦. الهيثمي، علي بن أبي بكر، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، تحقيق حسين سليم أسد وعبد الكوشك، ط ١، (دمشق: دار الثقافة العربية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

حرف الواو

٣٠٧. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط ٢، (الدمام: دار الإصلاح، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
٣٠٨. الواعي، توفيق يوسف، الفكر السياسي المعاصر عند الإخوان المسلمين (دراسة تحليلية ميدانية موثقة)، ط ١، (الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
٣٠٩. ابن وضاح، محمد بن وضاح، البدع والنهي عنها، ط ١، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، جدة: مكتبة العلم، ١٤١٦هـ).
٣١٠. ابن وهب، عبد الله بن وهب، الجامع في الحديث، ط ١، (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

حرف الياء

٣١١. ابن ياسين، حكمت بن بشير، الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور، ط ١، (المدينة النبوية: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
٣١٢. يسري، محمد، طريق الهداية، ط ٢، (د.م: د.ن، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
٣١٣. ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، د.ط، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

ثانيا: مراجع شبكة الإنترنت:

- ١- برنامج آيات، مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود، تفسير المودودي " تفهيم القرآن".
- ٢- الخضري، أمل عاطف، "مفهوم التبشير" <https://almoqtabas.com/>، استعرض بتاريخ ٢٠١٨م.
- ٣- خيرى، صبري محمد خليل، "جماعة التبليغ: نشأتها وأصولها، والمواقف المتعددة منها، sabri.m.khalil@hotmail.com، استعرض بتاريخ يناير ٢٠١٣م.
- ٤- زناتي، أنور محمود، "مفهوم الاستشراق"، <https://www.alukah.net/>، استعرض بتاريخ ٢٦ / ١١ / ٢٠١٢م.
- ٥- العزاوي، فارس، "القرآن المجيد.. دراسة حول المفهوم والمحددات المنهجية"، <https://www.alukah.net/sharia/0/74482/>، استعرض بتاريخ ١٠ / ٨ / ٢٠١٤م.

- ٦- كتاب الأخلاق في الإسلام، منشور على موقع الإسلام، <http://www.al-islam.com>، استعرض بتاريخ ٢٠١٨/٥/٧ م.
- ٧- كمال، سناء، "فلسفة ديكارت ومنهجها"، <https://sotor.com/>، استعرض بتاريخ ١٢ ديسمبر ٢٠١٩ م.
- ٨- لبنى عبد الله، "الفكر السياسى لجماعة الإخوان المسلمين و ممارستها التطبيقية بعد ثورة ٢٥ يناير"، استعرض بتاريخ ٢٠١٨/٥/٧ م. <http://democraticac.de>
- ٩- Nassira sidali، "الشيخ الغزالي والإخوان"، <https://www.elhiwardz.com>، استعرض بتاريخ ديسمبر ٢٠١٥ م.
- ١٠- نبيل، أحمد بن نبيل، "مجموع طوام فرقة الإخوان المسلمين والردود عليها"، <https://alrbanyon.com/>، استعرض بتاريخ ٢٠١٨/٥/٧ م.
- ١١- الندوة العالمية للشباب الإسلامى، "جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)"، <http://www.saaid.net>، استعرض بتاريخ ٢٠١٨/٥/٦ م.
- ١٢- النيفر، حميدة، "محمد إقبال و"الإنسية" القرآنية" <https://www.mominoun.com>، استعرض بتاريخ ٢٠١٥/٦/٤ م.
- ١٣- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، "الربيع العربى"، <https://ar.wikipedia.org>، استعرض بتاريخ ٢٠١٨/٥/٧ م.